أحمد الكاتب

السنة والشيعة..
وحـــدة الـــــدين
خلاف التاريخ والسياسة

الطبعة الأولى:2007
الطبعة الثانية:2008
الطبعة الثالثة (الترجمة التركية): 2009
الطبعة الرابعة:2010

ahmad@alkatib.co.uk
www.alkatib.co.uk

بسم الله الرحمن الرحيم
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم

المقدمة
من هم الشيعة والسنة؟

قد يحلو للبعض تصوير الخلاف الشيعي السني وكأنه خلاف عقدي جـذري وخالـد لا يمكن معالجتـه الى يـوم القيامـة، ولكـني اعتقد انه بالدرجة الأولى خلاف سياسي تجـاوزه الـزمن، وهـو ان كـان يتضـمن معـنى من معـاني الخلاف السياسـي في التـاريخ السحيق، فانه قد فقد مـبرر وجـوده اليـوم بعـد حـدوث تطـورات هائلة في حياة المسـلمين. ولم تبـق منـه سـوى بعض الرواسـب والمخلفات البسيطة التي لا تشكل مادة جدية للخلاف فضـلا عن التناحر بين المسلمين. واذا كان ينبغي التخلص من تلك الرواسب التاريخية فانه يجدر أيضا مقارنة تلك الخلافـات بعوامـل الاختلاف العديدة الأخـرى الـتي تحفـل بهـا حياتنـا اليوميـة، والـتي يجب ان نعمـل سـوية من أجـل التخلص منهـا أيضـا، من أجـل بنـاء وحـدة اسلامية متينة.
لم يكن الخلاف الطائفي الشيعي – السـني ، هـو الخلاف الوحيـد في تاريخنا الاسلامي وواقعنا المعاصر، فقد كانت ولا تزال هنالـك خلافات مريرة داخل كل طائفـة، داخـل الشـيعة والسـنة، اضـافة الى الخلافات القومية والقبلية والطبقيـة والحزبيـة الـتي تفجـرت

عبر التاريخ وتتفجر هنا وهناك باستمرار. بحيث نستطيع القول ان الخلاف الشيعي – السني يتراجع الى درجة كبيرة أمام تلك الخلافات، وانه لا يوجد في الحقيقة خلاف جدي بين الطائفتين في الخارج، ما عدا بعض الحواجز النفسية والمسائل البسيطة. وما عدا بعض التوتر الطائفي الذي يعشش في صدور المتطرفين والغلاة من الفريقين، وهم على أية حال فئات صغيرة ومعزولة.

وقبل أن نسترسل في الحديث، يجدر بنا ان نحدد مصطلح "السنة" و"الشيعة" لنحدد عوامل الخلاف بينهما تمهيدا لتصفية ذلك الخلاف والتخلص من رواسبه. ومن المؤكد ان المعنى البسيط الظاهر المتبادر من المصطلح الأول "السنة" هو اتباع سنة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو لا يمكن ان يتناقض مع التشيع لأهل البيت الذي يتضمن اتباع السنة، وبناء على ذلك فان السنة هم شيعة لأهل البيت وان الشيعة هم جزء لا يتجزأ من السنة. وقد مضى زمن في الصدر الأول قبل تكوُّن الطوائف، لم يكن أحد يشعر بوجود تناقض بين المفهومين أو الالتزام بهما. وربما كان شيعة الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يشكلون (أهل السنة والجماعة) في مواجهة الخارجين عليه. ولكن المصطلحين (الشيعة والسنة) افترقا فيما بعد ليشكلا علامتين على طائفتين أو طوائف من المسلمين. وقبل ان يستقر المصطلحان كما هما في الأذهان اليوم، كان مصطلح "السنة" يعني في القرن الثاني الهجري "الحديث النبوي" في مقابل ما كان يصطلح عليه "أهلُ الحديث" بالبدعة. وغلب في القرن الثالث على الحنابلة في مقابل المعتزلة والأحناف، في حين كان أئمة أهل السنة، أو أهل الحديث، يعتبرون أئمةَ أهل البيت أئمةً لأهل السنة أيضا. ولم يأخذ مصطلح أهل السنة دائرته الواسعة التي تضم المذاهب الأربعة المعروفة (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة) الا في القرن الخامس الهجري، رغم استمرار الصراع والتنافس بين المذاهب السنية نفسها الى أمد طويل. وظل الحنابلة أو أهل الحديث يشككون بسنية الأحناف والأشاعرة والماتريدية (الذين يشكلون غالبية المسلمين السنة) الى هذا اليوم، ولا يعترفون بهم الا بمعنى عام في مقابل الشيعة وعلى أساس بعض المقاييس.

وبعد أن كان "الشيعة" يمثلون أنصار ومحبي وأتباع وجيش وجماهير الامام علي في أيام حكومته، حيث كانوا يشكلون غالبية المسلمين، تقلص مفهوم الاسم مع الزمن الى دوائر أضيق

فأضيق، فاعتبر "شيعيا" من يقول بأفضلية الامام علي على غيره من الصحابة، أو من يقول بحقه الالهي في الخلافة، كما اعتبر شيعيا (أو رافضيا) من ينتقد معاوية بن أبي سفيان أو عثمان بن عفان أو أحدا من الصحابة. وهكذا خرج كثير من "أهل السنة" من دائرة "السنة" ليدخلوا في دائرة "الشيعة" رغم اختلاط الدائرتين لدى كثير من الناس وخاصة شيوخ أهل الحديث الذين كانوا يجمعون بين التسنن والتشيع في كثير من النقاط المشتركة.

ويكاد اسم الشيعة يطلق اليوم على من يقول بنظرية الامامة الالهية لأهل البيت من الإثني عشرية والاسماعيلية، وربما شمل أيضا الزيدية الذين يقولون بانحصار الامامة في سلالة الامام علي والحسن والحسين. بينما يطلق اسم السنة على من يقول بشرعية انتخاب أبي بكر على أساس الشورى والبيعة العامة من المسلمين.

ولم يكن هذا الخلاف النظري التاريخي ليشكل قاسما مفرقا بين المسلمين، لولا وجود بيئة مناسبة ونسبة عالية من الجهل والتعصب والطمع والاستبداد والتفكك الاجتماعي والانحطاط الخلقي والديني، وانعدام المؤسسات الدستورية والأجواء الديموقراطية التي تنظم عملية الصراع على السلطة بشكل سلمي وتحول دون انفجار المشكلة. وربما كانت الفتنة الكبرى التي تفجرت بين الجيل الأول من المسلمين، جيل الصحابة الكرام، تشكل دليلا واضحا على وجود تلك البيئة المساعدة على اشتعال الخلاف ، التي حدثت قبل نشوء الطوائف من السنة والشيعة. فلو كان ثمة دستور واضح ينظم عملية تبادل السلطة، ويضع قنوات شرعية للمعارضة لما تحولت عملية الاحتجاج على سياسة عثمان الى فتنة وأدت الى قتل الصحابي الجليل ونشوب الحروب المتتالية بين كبار الصحابة، رضي الله عنهم. وكذلك لم يكن الخلاف الطائفي الذي تفرع عن تلك الفتنة ليستمر طويلا أو ليحتدم بين آونة وأخرى، أو يتفجر دما في فتن مزمنة ومؤلمة ومؤسفة.

وأخيرا.. فان الخلاف الطائفي الشيعي – السني، اذا كان يحمل في نشأته اي معنى، فان جماهير المسلمين من الطائفتين لا يدركون اليوم له اي معنى أو مضمون، وآن له ان يدفن في مقابر التاريخ.

وفي الحقيقة لا يوجد اليوم مذهب شيعي أو سني متكامل أو نسخة واحدة رسمية لأي مذهب ، وانما المذاهب عرضة للزيادة والنقصان والآراء الفردية، ولا يوجد أحد ملزم بتبني جميع الآراء

التي كتبها الرجال السابقون بالجملة في مختلف الأبـواب العقدية والفقهية والتاريخيــة، وانما هو حر بانتقــاء ما يجتهد فيــه، وطبع نسخة خاصة بـه، قد لا تكـون متطابقة مع أية نسـخة أخـرى، لان الانسان المسـلم يلـتزم بالعقيـدة الاسـلامية الـواردة في القـرآن الكريم، وفيما عدا ذلك فان كل شيء مظنـون واجتهـادي وخـاص ومختلف فيـه، ولـذلك لا يجـوز تكـوين صـورة كلية عن الطوائف والمــذاهب وتطبيقها على أي انســان، وانما يجب التعــرف على آراء كل شــخص بصــورة ذاتيــة. خاصة وان المجتمعــات تتطــور وتتغير ولا تبقى على حال واحدة.

وعموما فإن في الدين قواعد لا يجوز أن يختلف عليها النـاس. واجتهادات مبنية على أدلة ظنية لا يجـوز أن تكـون سـببا لاختلاف الأمة، وانما مدعاة للحوار والنقاش. والخلاف بين الشيعة والسنة لا يــدور حــول القواعد الثابتــة، وانما يتعلق بالقضــايا الاجتهادية القائمة على أساس الأدلة الظنية.

ان تكوين صورة الآخر سواء كان سنيا أو شيعيا، تتم أحيانا في أجواء الصراعات السياسـية والأحقـاد العاطفية الشخصـية، الـتي تــدفع باتجــاه التقــاط عيــوب الآخــرين من أجل التشــهير بهم والتحريض ضدهم والتعبئة العسكرية من أجل محاربتهم، والقضاء عليهم، وفي هذه الاجـواء لا يمكن وضع النقـاط على الحـروف أو تقـييم السـلبيات والإيجابيـات، ومعرفة الانحرافـات الكبـيرة من الاجتهادات الصغيرة الهامشية الخاطئة، التي يمكن التسامح فيها، وانما يتم اســـتغلال كل نقطة ســـلبية وتضـــخيمها ورفعها الى مصـاف الاختلافـات العقدية الجوهرية الـتي تـبرر قتل المخـالف ومحاربته وتصفيته.

وإذا كـان القـاريء الكـريم يعيش هكـذا أجـواء حربيــة، فمن الأفضل له أن يطــوي الكتــاب ووضــعه جانبــا، ريثما تهــدأ نفسه ويصبح مستعدا نفسيا لمعرفة الحق من الباطـل. ولتقـريب الأمر اضــرب مثلا بــزوجين في حالة خناقة عصــبية وتبــادل اللكمــات والكلمـات الجارحــة، والإصــرار المســبق على الطلاق، فــان كل واحد منهما يحاول أن يسـتذكر سـلبيات الطـرف الآخر وتقـديمها للمحكمة لاتخـاذ القـرار لصـالحه، ولن يفيـدهما التـذكير بمحاسن الخصـم، أما إذا كـان لـديهما قـرار مسـبق بالمحافظة على عش الزوجية، ويتحليان بهدوء نفسي وراحة أعصـاب فيمكنهما بـالطبع وضع الامور في نصابها، وتـذكر الإيجابيـات وتحديد السـلبيات من أجل معالجتها بكل محبة ولطف. أي ان المهم هي إرادة التعايش وبعدها تهون الأمور. وكما ان من الخطأ في أية حياة زوجية تـرك

الســـلبيات تنمو وتتضـــخم لأنها قد تفجر الحيـــاة المشـــتركة في المستقبل، فكذلك ان ترك الأمور السلبية بين الطوائف المختلفة ليس في صـــالح الوحـــدة والتعـــايش المشـــترك، ولا يجـــوز دفن الـــرؤوس في الرمـــال، وانما تجب المبـــادرة الى معالجتها بـــروح أخوية، بعيدا عن التضخيم و التهريج والحرب الإعلامية.

واذا كان التعرف على أية مشكلة هو طريق حلها، فانه ينبغي ان نقـوم بدراســة المشـكلة الطائفيـة بهـدوء وموضـوعية. ولكي نقوم بهذه العملية علينا أولاً أن نضـع النقـاط على الحـروف في مسائل الخلاف، ونميز بين العناصر الجوهرية والقشرية، والبائـدة والمعاصـــرة، والأصـــولية والفرعيـــة، والموضـــوعية والخارجيـــة، والحقيقية والمفتعلة والمضخمة.

وقد اقترح فكرة هذا الكتاب فضيلة الأخ الشيخ محمد المختـار الشنقيطي الذي آلمه تفـرق المسـلمين، فـدعاني قبـل عـام الى تأليف كتـاب مشـترك نـدرس فيـه نقـاط الالتقـاء بين الطـائفتين الاسلاميتين الكبيرتين (الشيعة والسـنة) ونقـاط الاختلاف بينهمـا، وقـد تضـمن العنـوان المعـبر الـذي وضـعه هـو أيضـا إشـارة الى اتفاقهما في الأصـل والـدين، واختلافهمـا في السياسـة والتـاريخ. وقـــد بـــادرت الى تقـــديم رؤيـــتي في حزيـــران من عـــام 2005 وانتظرت عاما كاملا ليقدم الأخ الشـنقيطي رؤيتـه، حـتى يتضـمن الكتاب رؤيتينا معا، ولكني لم أعد أسـمع من الأخ جوابـا، فقـررت نشر الجزء المتعلق بي، بانتظار أن يكمل الأخ الشـنقيطي الجـزء الثاني المتعلق به، وعدت في هذه الأثناء الى وثائق نـدوة عقـدت في اسطمبول من 13 ـ 15 أيلول من سنة 1993 تحت عنوان (الندوة العلمية الدولية حول التشيع عبر التـاريخ وفي يومنا هـذا) تحت إشـــراف وقف الدراســـات الاســـلامية في تركيـــا، برئاسة الدكتور علي أوزك، ومشـاركة ثلة من أسـاتذة الجامعـات التركية والعلمـاء السـنة والشـيعة. وكـان لي شـرف المشـاركة في تلك الندوة، فاستفدت كثيرا من الملاحظات التي قدمها العلماء السنة في نقد مختلف الجـــوانب الفكرية الشـــيعية، كما اســـتفدت من الردود والأجوبة الـتي قـدمها العلمـاء الشـيعة، واحتفظت بـالطبع بآرائي النقدية لكل من السنة والشيعة، التي أرجو من الجميع أن ينظر فيها ويقـــدم ملاحظاته عليهـــا، من أجل ترســـيخ الوحـــدة الاسلامية والتقدم بالأمة الاسلامية نحو الأمام.

واسأل الله التوفيق

أحمد الكاتب

لندن، حزيران 2006

الباب الأول: وحدة الدين

الفصل الأول: العقائد

المبحث الأول: المتفق عليه في العقائد (أسس العقائد مثل التوحيد والنبوة والمعاد)

يحدد الله تعالى أسس العقيدة الإسلامية في بداية القرآن الكريم في أول سورة البقرة حيث يقول: "ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون". حيث تتضمن هذه الآيات المباركة أسس العقيدة الاسلامية : الإيمان بالله تعالى والنبوة والمعاد، والتي لا يوجد خلاف حولها بين أحد من المسلمين من أية طائفة. ومع أن هذه الأسس تكفي لتوطيد قاعدة الوحدة بين المسلمين، الا ان حدوث بعض الاختلاف حول تفاصيل موضوع التوحيد أو المعاد، مثل التنزيه والتجسيم، أو المعاد الجسماني والمعاد الروحاني، ومعنى توحيد الله وعبادته، أثار عبر التاريخ نوعا من الجدل ليس بين الشيعة والسنة، وانما بين مختلف الطوائف بصورة عامة ، وخصوصا بين أهل الحديث (أوائل السنة) وبين المعتزلة والأشاعرة الذين أصبحوا يشكلون فيما بعد العمود الفقري لأهل السنة، والذين وافقهم الشيعة في كثير من الأمور.

وربما كان التفسير السلفي أو الوهابي للتوحيد، وهو الذي يؤكد على توحيد العبادة بدلا من الاكتفاء بتوحيد الربوبية والخالقية، يشكل اليوم أكبر خلاف بين المسلمين، حيث يعتبر بعض الوهابية، على ضوئه، عامة المسلمين من السنة والشيعة الذين لا يتفقون معهم على التركيز على توحيد العبادة فقط، أو تفسيره بشكل معين، ويكتفون بتوحيد الربوبية، أو إعلان التوحيد بصورة عامة، مشركين وكفارا جاهليين.

وقد سار على خطى السلفية بعض قادة الحركات الاسلامية المعاصرة (كالمفكر المصري سيد قطب)، الذين اعتبروا المجتمعات الاسلامية مجتمعات جاهلية مشركة لأنها لا تلتزم

بتوحيد العبــادة في التشـــريع وتتبع أو تــوالي حكاما "كفــارا" لا يحكمون بما أنزل الله.

واذا اسـتثنينا موضـوع تكفـير الخـوارج للامـام علي بسـبب التحكيم، وتكفيرهم لمرتكب الكبيرة، فان أول خلاف عقدي جدي عصف بالأمة الاسلامية، كان يدور حول القدر أو الجبر والتفويض، وهل الانسان مسير؟ أم مخير؟.. ومن المعـروف أن هـذا الخلاف نجم بين المسـلمين قبل تبلـور الفـرق الاسـلامية كطوائـف. ثم حـدث الخلاف الأكـبر الـذي أدى الى نشـوء فرقة "أهل السـنة" وولادتها على يـدي الامـام أحمد بن حنبـل، وهو الخلاف الـذي دار مع الامام ابي حنيفة الذي كان يقول بشـرعية الـرأي في مواجهة الأحاديث الضـعيفة المتكـاثرة المنسـوبة الى النـبي (ص)، والـذي كـان من آثـاره القـول بعـدم خلق القـرآن، خلافا لما كـان يقوله الامــــام أبو حنيفة ومن ورائه المعتزلـــــة. وقد أدى ذلك الخلاف العنيف الى تكفير الامام أحمد لمن يقول بخلق القرآن ووصــمهم بأهل البدعــة، في مقابل "أهل السـنة". حيث أصر الامــام أحمد على اعتبار القول بخلق القرآن بدعة ومخالفة للسنة، وبدَّع حـتى من يقف في ذلـك، فقـال: "ومن قـال باللفظ وغـيره، ومن وقف فيه قال: (لا أدري مخلوق أو ليس بمخلـوق، وإنما هو كلام اللـه). فهذا صاحب بدعة مثل من قال: (هو مخلوق)، وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق".[1]

ورغم تنازل "الأشـاعرة" عن كثـير من آرائهم "الاعتزاليـة" لصالح أهل الحديث، فـان "السـنة الأصـليين" أي الحنابلـة، ظلـوا يعتبرونهم من أهل البدعة، ولم يقبلوا بهم في دائـرة أهل السـنة، الا على مضض ، وفي مقابل الشيعة.[2]

---

[1] - اللالكائي، شرح اصول اعتقاد أهل السنة، فقرة رقم:450 والأشعري، الإبانة عن اصول الديانة،ص 42 – 43 وراجع أيضا: "السنة" للامام الخلال، ج5 ص 127

[2] - يقول الدكتور محمد بن سعيد القحطاني (محقق كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبــل) **:** إن أهل الحــديث والســنة المحضة ، لا يــدخل في مصــطلحهم "أهل السـنة" الا من يثبت الصـفات لله تعـالى، ويقــول: ان القرآن غير مخلوق، وان الله يرى في الآخرة ويثبت القـدر، وغـير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة. لذا دأب كثير من المصنفين في العصور الأولى على تسمية كتبهم بالسنة ، أو شرح السنة، أو أصول السنة ، حــتى يخــرج بــذلك الطوائف المبتدعة الــتي تخالفنا في الأمــور الــتي ذكرها..." . ص 57 مجلد 1

المبحث الثـــاني: المختلف عليه في العقائد (عقيـــدة الإمامة الالهية)

وفي تلك الأيام الأولى لنشوء المذاهب، لم يكن موضوع الامامة أو الخلافة يعتـبر أصلا من أصـول الـدين، لأن القـرآن الكـريم لم يتحـدث عنه بالتفصـيل، ولكن مبـادرة فريق من الشـيعة عُـرف بالإماميـة، أو الرافضـة، الى القـول في القـرن الثـاني الهجـري بموضـوع النص من النـبي على الامـام علي بالخلافـة، وانحصـار الحق بها في البيت العلوي الحسيني، والاسـتدلال عليها بتـأويلات معينة لبعض آيات القرآن الكريم، أو الاستعانة على ذلك بأحـاديث عامة أو ضـــعيفة.. كل ذلك رفع موضـــوع الامامة الى مصـــاف العقيدة، وجعل الموضوع جزءا ملحقا بـالنبوة وامتـدادا لهـا.[3] وهو ما اسـتثار العقل السـني لاعتبـار أفضـلية الخلفـاء الراشـدين وتسلسلهم في الفضل، جزءا من الأمـور الاعتقاديـة، بـالرغم من اعتراف السنة بعـدم وجـود نص صـريح على الخلافة وتـرك الأمر شورى بين المسلمين.[4]

وقد استعرض الـدكتور علي أوزك، في النـدوة العلمية الدولية حول الشيعة، التي عقدت في اسطمبول سنة 1993 الخصائص

---

[3] - وبعد رفع الشيعة موضوع الامامة الى مصـاف العقيـدة، كـان لا بد أن ينعكس ذلك على الموقف من غير المؤمنين بها، تكفيرا وتفسيقا وتضـليلا. وقد أثار الدكتور عوني إلخان، في الندوة العلمية العالمية عن الشيعة التي عقدت في اسطنبول سنة 1993 موضوع تكفير المخالفين، فقـال:"يـزعم علمـاء الشـيعة تكفـير محـاربي علي. وأما مخـالفي علي في الامامة آراء مختلفة. وادعى بعض علمائهم كفر المخالفين وقـال آخـرون انهم فسـاق. وهذا الرأي أقـوى وأرجح. ويقـول الشـيعة والمسـلمون الـذين لا يعتقـدون أصول الامامة والعدل كاعتقاد الشـيعة ليسـوا كفـارا بل هم مخطئـون في التأويل فقط".

الندوة العلمية الدولية حول التشيع عـبر التـاريخ وفي الـوقت الحاضـر، ص 440

[4] - وفي هذا المجال يروي البربهـاري عن طعمة بن عمـرو وسـفيان بن عيينة أنهما قالا: من وقف عند عثمان وعلي فهو شيعي، لا يعدّل، ولا يكلم، ولا يجـالس. ومن قـدم عليا على عثمـان فهو رافضـي، فقد رفض آثـار اصحاب رسـول الله (ص) ومن قـدم الثلاثة على جمـاعتهم، وتـرحم على البـاقين، وكف عن زللهم فهو على طريق الاسـتقامة والهـدى في هـذا الباب. (الإمام البربهـاري، شـرح السـنة، ص 49)ـ ويقـول الخلال:أخـبرني محمد بن هارون ان اسـحاق بن ابـراهيم حـدثهم قـال: سـألت ابا عبد الله (أحمد بن حنبـل) عمن قـدم عليا على عثمـان فقـال: **هـذا رجل سـوء**. (الخلال أبو بكر، السنة، ج 2 ص 382)

المشتركة بين أهل السنة والشيعة، في كلمته التي حملت عنوان (رأي الشـيعة الامامية الاثـني عشـرية في التفسـير) فقـال: ان الخصائص المشتركة هي:

1- التوحيـد: حيث لا فـرق بين عقيـدة الشـيعة وأهل السـنة في التوحيـــد. لأن الشـــيعة تـــؤمن بوجـــود الله تعـــالى ووحدانيتـــه، الا انها أقـــرب الى المعتزلة في المســـائل الاعتقادية والكلامية.
2- النبوة: ان الشيعة تؤمن أيضا بنبوة محمد (ص)
3- المعاد: أي الإيمان بالآخرة والبعث بعد الموت، والحساب والجنة والنار وأمثالهـا. فـان هـذه المسـائل غـير مختلف فيها بالكثير.

واستدرك قائلا:"أما المسائل التي تختلف الشيعة فيها مع أهل السـنة فهي الامامـة، وانما يقـوم أسـاس اختلاف الفـريقين على هـذه المسـألة، حيث ان فكـرتهم حـول مبـدأ الامامة انما تمثل الفارقة الأساسـية للشـيعة. ان الشـيعة الامامية الاثـني عشـرية يبنون كل شـيء من عقائـدهم على مبـدء النبـوة والامامـة. فـان الامـام عنـدهم – أي عند الشـيعة القـدماء بـالأخص – شـارع (أي صالح للتشريع) كما ان النـبي شـارع. ويتلقى الامـام الـوحي مثل النبي، ويقـوم بحل الأمـور عن طريق الـوحي. والأئمة مسـؤولون عن الشـــــؤون الادارية والسياســـــية والتعليمية والاقتصـــــادية والاجتماعية للناس، فيقـوم الامـام ببيـان الأحكـام ويفـتي ويفسر آيات الأحكام، ويؤولها حسب معتقداتهم. فبهذا الاعتبار يجب على النــاس اتباعه مطلقا الا انه من حق الامــام أيضا أن يلــزم التقية حسب الأحوال والمصالح".[5]

وأضاف:"إن التشيع نزعة سياسـية أكـثر من أن تكـون عقيـدة دينيـة، بيد ان هـذه النزعة السياسـية قد انقلبت الى عقيـدة دينية مع الزمان، ولهذا يشترط على من يتمذهب بالتشيع أن يعتقد بأن الخلافة مقصورة على سلالة علي مطلقا. وفي الأصل فان اعتبار هـذا المعتقد الـذي لا يتعـدى عن نزعة سياسـية (اعتبارها عقيـدة دينيـة) أمر يتنـاقض مع تعـاليم القـرآن والسـنة في ذات الـوقت. وهذا المعتقد قد اعتبر من الأسس التي يتوقف عليه اسلام المرء (أي يشــترط عليه أن يعتنقه اذا أراد أن يكـــون مســـلما) وذلك حسب المصادر القديمة للشيعة. غير ان آية الله مكارم شــيرازي – أثناء لقائنا معه في شهر أيلول عام 1991 بمدينة قم – كان قد

---

[5] - الندوة العلمية الدولية حول التشيع عبر التاريخ وفي الوقت الحاضر، ص 242

أفاد بأن عقيدة الامامة ليست من شروط الاسـلام، وانما هي من شروط التشيع، وجاء يومئذ بتوضيحات معقولة وافية في ذلك.

إن عقيـــدة الامامة تعـــني أن رئيس الدولة يجب أن يكـــون معصـــوما كالأنبيـــاء، وأن الامـــام يتلقى الـــوحي من الله مثلهم بالضـــبط كما انهم يمتـــازون بصـــفات الأنبيـــاء ولهم من الحق وصـــلاحيات التصـــرف ما للأنبيـــاء (حسب زعمهم) ونتيجة هـــذه العقيدة فيما يخص الامام ورئيس الدولة ان الشيعة تعتقد للامــام شخصـــية متفوقة عن الطـــابع البشـــري، كما تعتقد ان كل عمل يقوم به الامام انه عمل صحيح ومقبول، ويجب التصديق على كل ما يأمر به وينهاه. وهي في حكمها كأوامر الدين ونواهيــه. وبحكم الطبع ان هذه العقيـدة تجتـذب معها نزاعـا، لأن عامة المسـلمين تؤمن بـأن محمـدا (ص) هو خـاتم الأنبيـاء والمرسـلين كما تشـهد على ذلك الآية 30 من سورة الاحـزاب وهو قوله تعـالى (ما كـان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخـاتم النبـيين وكـان الله بكل شيء عليما). كذلك يؤمن المسلمون بأن الوحي مختوم أيضـــا. ولم يعد أحد ذا عصـــمة على وجه الأرض بعد محمد (ص) وهـذا هو السـبب الـذي قد أدى الى نشـوب معـارك ضـارية بين مؤيدي هذين الرأيين المتناقضين على امتداد التاريخ. **لذا يجب – أولا وقبل كل شـــــيء – أن يتم ادخــــال المرونة على هـــذين الـــرأيين المتضـــاربين تمهيـــدا للاصـــلاح بينهما**. وحسب اعتقادنا ان أهم الفوارق التي تتمـيز بها الشـيعة عن بقية الفرق هي مسألة الامامة".[6]

وقال الدكتور أوزك:"ثمة حقيقة يعلمها الجمهور بأن الرسالة قد ختمت بمحمد صلى الله عليه وسـلم، كما ختم الـوحي، لـذلك ان النـاس سـيتبعون ثلاثة أشـياء الى قيـام السـاعة، وهي القـرآن والسنة الشريفة والعقل السليم. لذا اذا صدقنا ما يزعمه الشـيعة في هذا الأمر أفلا نكون قد خالفنا التعاليم العامة للقرآن والســنة التطبيقية للرسول صـلى الله عليه وسـلم؟ ثم اذا قلنا كما يـزعم الشيعة : ان رسول الله أراد ان يستخلف عليا ولكنه لم يسـتطع، لأن الذين كانوا حوله منعوه من ذلك. ان هـذا القـول لغو كما انه يشـير الى ان رسـول الله قد كتم بعض الحقـائق خوفا من بعض النـــاس، وذلك مخل لوصف النبـــوة، مع ان النـــبي معصـــوم ولا يستطيع اطلاقا أن يكتم شيئا من الحقائق الدينية بمنع الغـير، والا عجز الرســـول (ص) عن أداء مهمته الرســالية، وهـــذا أمر غـــير معقول".[7]

---

[6] - المصدر السابق ، ص239
[7] - المصدر السابق، ص 241

وقد رد السيد مهدي الحسيني الروحاني، على كلمة الـدكتور أوزك واشار الى قوله"ان الامام عند الشيعة شارع كما ان النـبي شارع ويتلقى الامام الوحي مثل النبي" وقـال:"هـذه النسـبة غـير صحيحة الى الشيعة، فـان أحـاديث الشـيعة متظـافرة عن أئمتهم (ع) في أن كل ما يقولونه انما هو بروايتهم عن رسول الله (ص) مثل قول الباقر : يا جابر انا لو كنت حدثتكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله (ص) كما يكـنز هـؤلاء ذهبهم وفضـتهم ، وفي رواية محمد بن شـريح عن الصـادق: والله ما نقـول بأهوائنا ولا نقـول برأينا ولا نقـول الا ما قال ربنـا. وروايـات الشـيعة في هـذا المعـنى كثـيرة جـدا ونسـبة خلافها الى أئمة أهل البيت كذب وافتراء.

ومن العجيب ان الـذي نسـبه الكـاتب (أوزك) الى الشـيعة هو قول أهل السنة فهم الذين جعلوا حق التشـريع للصـحابة وجعلـوا للصحابة سـننا كسـنن رسـول الله ، فراجع أعلام المـوقعين ج 4 ص 120 حيث يـذكر ما يزيد عن أربعين وجها لـذلك، منها عليكم بسنتي وسـنة الخلفـاء المهـدين الراشـدين تمسـكوا بهمـا، فقـال **قرن سنة خلفائه بسنته** (وسنة الخلفاء غير سـنة النـبي) والا كان ذلك سنة النبي".[8]

وعلق الدكتور علي أوزك على رد الروحـاني، فقـال:"الحقيقة انني حينما أذكر أشـياء قد وردت عن الشـيعة في القـديم أذكرها كأنها آراء اعتنق بها بعض النـاس في الماضي ، وغـايتي الآن هي الوصـول الى طريق وسط يمشي فيه أهل السـنة والشـيعة لأن كل النـاس مسـؤولون عند الله وهـؤلاء الـذين سـبقونا ليسـوا مسـؤولين عنا ونحن لسـنا مسـؤولين عنهم، لـذلك يجب علينا أن ننصف ونتحد في أصل الدين ، لأن كل ما ذكرته موجـود في كتب وتفاسير الشيعة وأهل السنة، وهم مـاتوا ونحن الآن نعيش. كـان المطلوب منا أن نجتمع ونتذاكر هذه الآراء ونأخذ ما كـان صـحيحا منها ، ونـترك ما كـان مختلفا فيه لنصل الى الحق وهو الاسـلام الذي استند على كتاب الله وسنة رسوله (ص) الصحيحة".[9]

المبحث الثالث:الغلو والغلاة

وربما كان الأمر يهون بالنسبة للإمامية الذين اعتقدوا بنظرية النص على الامام، إذا قسنا ذلك بالنسبة للغلاة الذين نشـطوا في أواخر القرن الأول الهجري، واندسوا في صفوف الشيعة، وراحوا

---

[8] - المصدر السابق، ص 255
[9] - المصدر السابق، ص 257

يبثون عقائدهم المنحرفة التي استوردوها من الأديان والحضارات السـابقة على الاسـلام، كالنصـرانية واليهودية والمجوسـية والهرمسية، باسم أهل البيت.
وتمحـور غلـوهم حـول رفع أئمة أهل الـبيت من المسـتوى الانساني العادي، الى مستوى النبوة والألوهية. حيث كـان البعض من الغلاة يـرفض فكـرة الخاتمية للنـبي محمد (ص)، ويقـول بضرورة استمرار الوحي الى يوم القيامة، أو يقول بنظرية حلـول الإله عز وجل في اشخاص الأئمة، وقيامهم بمهام الله تعـالى في الـدنيا والآخـرة، من الـرزق والخلق والمـوت والحسـاب وما الى ذلك. وهو ما يرفعهم الى درجة الألوهية.
وقد اشتهر من هؤلاء الغلاة:
1- عبد الله بن سبأ، الذي كان أول من أظهر الغلو في حيـاة الامام علي، وقال: حل في على جـزء إلهى و اتحد بجسـده و به يعلم الغيب، و أتي في الغمام، و الرعد صـوته و الـبرق تبسـمه و ينتقل هذا الجزء الالهى بنوع من التناسخ من إمام إلي إمام.
وهناك جدل حول حقيقة هذا الشخص وحجم الدور الذي لعبه في الفتنة الكـبرى والثـورة على عثمـان، وفيما اذا كـان شخصـية حقيقية أو شخصية أسطورية، واذا كان من المبالغ فيه نسـبة كل الحركـات السياسـية والحـروب الـتي انخـرط فيها كبـار الصحابة وأهل المدينة ومصر والعراق الى رجل يهودي واحد، فانه لا يمكن إغفـال ظـاهرة التطـرف والغلو الـتي انتشـرت في الكوفة في أوسـاط السـبئيين، وهم قسم من قبائل اليمن الشـيعية الـتي اسـتوطنت الكوفـة. كما لا يمكن إنكـار تـذمر الشـيعة وأئمة أهل البيت من (عبد الله بن سبأ) و (السبئية).
2- بيان بن سمعان النهدي، في زمان الامام علي بن الحسين
3- المغيرة بن سعيد، في زمان الامام الباقر
4- حمزة بن عمارة البربري
5 – الحارث الشامي
6 – عبد الله بن الحارث
4 - أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الاسدى، الذي قـال: إن جعفر الصـادق هو إله زمانـه، وقد قـال الشهرسـتاني:قد بـالغ الصادق في التبرى من أبي الخطاب و اللعن عليه.
وردت أسماء هؤلاء في حديث للامام جعفر بن محمد الصـادق يلعنهم فيه، ويقول:" (هل أنبئكم على مَن تـنزل الشـياطين تـنزل على كـل أفـاك أثيم) قـال : هم سـبعة: المغـيرة وبيـان وصـائد وحمـزة بن عمـارة الـبربري والحـارث الشـامي وعبـد اللـه بن الحارث وأبو الخطاب". وقد تكونت من هـؤلاء ومن غـيرهم فـرق

متعددة كمــا يلي:البيانية والخطابية والشــعيرية والمغيرية والبائية والغرابية والعليائية والمخمسة والبزيعية والمنصورية والمفوضــة، وهم الذين قــالوا: إن الله خلق الائمــة، ثم اعــتزل تاركا لهم خلق العالم، و تدبير شئونه .

وقد قام هـؤلاء المفوضة بتأويل بعض آيـات الله في القـرآن الكريم التي تتحدث عن معاجز الأنبياء، كانقلاب العصـا الى حيـة تسعى، بالنسبة للنبي موسـى (ع) وإحيـاء المـوتى وإبـراء الأكمـه والأبرص، بالنسبة للنبي عيسى (ع) وإلانة الحديد، بالنسـبة لـداود (ع) وتسخير الرياح لسـليمان (ع)، وخلـق الطيـور ودعـائهن كمـا حدث بالنسـبة للنـبي ابـراهيم (ع) حيث يقـول النـبي عيسـى (ع) مثلا: "إني قد جئتكم بآية من ربكم أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطـير فـانفخ فيه فيكـون طـيرا بـاذن الله وابـرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيــوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمــنين".ال عمــران، 49 فقـال الغلاة أن ذلـك يعـني تفـويض اللـه للأنبيـاء التحكم في الكائنـــات والتصـــرف في الواقـــع الخـــارجي، ومنحهم الولايـــة التكوينية، لأن القرآن يتحـدث عن تلـك المعـاجز وكأنهـا من فعـل الانبياء بإذن الله (ومـا كـان لرسـول ان يـاتي بايـة الا بـاذن اللـه) وان من يأتي بالآية أو المعجزة أو الأمر الخارق للعـادة هـو النـبي بصريح القران ولكن بإذن الله، وهذا ما يدل بـزعمهم على وجـود مبدء الولاية التكوينية.

ثم انطلقوا من هذه النقطة ليثبتوا (الولاية التكوينية) لأئمة أهل الــبيت، وذلــك بعــد أن قــاموا بقياســهم على أوصــياء الأنبيــاء السابقين، أو الرجـال الصـالحين الـذين كـانوا حـول الأنبيـاء مثـل صاحب العفـريت الجـني أو صـاحب النـبي سـليمان (ع) كمـا في الآية التالية:" قال يا أايها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين. وقال عفريت من الجن أنـا آتيـك به قبـل ان تقـوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك" سورة النمل 40

وقالوا: مـادام وصـي سـليمان (آصـف بن برخيـا) أو العفـريت الجني قادرين على التصرف بـالكون، فـإن أوصـياء النـبي محمـد (ص) وهم أئمة أهل البيت قادرون على إتيان المعاجز والتصــرف بالكون، إذن فلهم الولاية التكوينيــة من اللــه، وادعى الغلاة عـددا من المعاجز لبعض الأئمـة، كمـا ادعـوا علمهم بـالغيب من اللـه، وقالوا: ان وصي سليمان: آصف بن برخيـا كـان عنـده شـيء من علم الكتاب (وقال الذي عنده علم من الكتاب)، وأما الامام علي أو الأئمة الآخرون فـان عنـدهم (علم الكتـاب كلـه) واسـتندوا في

دعواهم هذه على تأويل آية أخرى من القرآن الكريم، وهي:"وقل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب" التي يدعون أنها نزلت – حسب الروايات المتواترة من الخاصة والمخالفين – في علي وآل علي. وكما يقول أحدهم:"لا قياس بين بين علم آصف بن برخيا وبين علم مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليه الا كما تقاس البعوضة التي تأخذ الماء من البحر بحسب تشبيه الامام الصادق عليه السلام عندما سئل عن النسبة بين العلمين".[10][13] ثم زعموا "أن أهل البيت عندهم علم الكتاب وعلم جميع الانبياء والمرسلين كما تواترت الروايات في تفسير الايات القرانية الكريمة النازلة بحقهم عليهم السلام".

وقد بنى الغلاة دعاواهم تلك على ضوء دعواهم الأولى بأن أئمة أهل البيت هم أوصياء النبي (ص) وانهم معينون من قبله لقيادة الأمة الاسلامية الى يوم القيامة، واعتبروا "المعاجز" المدعاة دليلا على صدقهم وعلامة على إمامتهم، بالرغم من انه لم يثبت قيام أحد من الأئمة بأية معجزة أو تحدث بالغيب. ولكن الغلاة صنعوا لهم حكايات وقصص وروايات وأحاديث على لسان أهل البيت، وصدقوها، لا بل اعتبروها روايات متواترة لا تقبل النقاش.

وعندما كان أئمة أهل البيت ينفون كل مقولات الغلاة تلك من العلم بالغيب أو نزول الوحي أو إتيان المعاجز، وينكرون نسبة أي طبيعية غير بشرية عادية لهم، كان الغلاة يتسترون بشعار التقية، ويقلبون أقوال الأئمة رأسا على عقب، ويدعون أنهم يسرون لهم بما لا يستطيعون البوح به أمام الناس.[11][14]

ولعل في قصة أبي الخطاب الأسدي، أفضل شاهد على ذلك حيث لعنه الامام الصادق، لأنه كان يدعي له صفة الربوبية، وتبرأ منه، فما كان منه عندما وصله خبر اللعن، حتى قال بأن الامام يقصد رجلا آخر في البصرة يكنى بأبي الخطاب، ولكن الامام الصادق عاد فلعنه بالتحديد، ومع ذلك فان أبا الخطاب الذي كان يسكن الكوفة، لم يستسلم أمام هذا الموقف ، وانما قال: بان الامام الصادق يلعنه أمام الناس لأنه يريد المحافظة على سلامة السفينة، كما أراد صاحب موسى الذي خرق السفينة لكي ينجيها من الملك الغاصب "اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت ان أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا". الكهف 79[12][15]

10

11

12

وفيما خرج معظم الغلاة الذين قالوا بألوهية الأئمة أو نبوتهم، عن دائـرة الاسـلام، فـان (المفوضـة) ظلـوا يلصـقون أنفسـهم بالشيعة ويحاولون تسريب شبهاتهم الى صفوف الامامية.

واذا كـان الشـيعة بصـورة عامة قد رفضـوا دعـاوى الغلو الصـارخة والمتطرفـة، فـان بعضا من أفكـارهم مثل اسـتمرار نـزول الـوحي بشـكل أو بـآخر، على الأئمـة، ودعـوى علمهم بالغيب، وإتيانهم بالمعـاجز، كعلامة من علامـات الإمامة الإلهيـة، ومهمة من مهماتها، قد تسرب الى الفكر الامامي الذي اسـتبعد بعض الغلاة فيه، انتهاء النبوة وقال بضرورة وجود العالم الرباني الذي يعلم الكتاب ويقدم للناس الأجوبة عما يحـدث من مسـائل جديـدة، ليس بالاجتهـاد ورواية الأحـاديث النبويـة، وانما بـالعلم اليقين من الله.

وبالطبع فان هذا القول هو ليس قـول كل الشـيعة الاماميـة، ولكنه قـول بعضـهم، وهو ينطـوي على درجة من الغلـو، حيث يعتبر الأئمة شبه أنبياء يتنزل عليهم الوحي، وانهم يعلمون الغيب من الله، ويجترحون المعاجز، في حياتهم وبعد مماتهم.

وذهب بعض الإمامية الى اعطاء دور أكبر للأئمة من الخلافة السياسـية (الظاهريـة) وفضـلهم لـذلك على كثـير من الأنبيـاء والمرسلين، ما عدا النبي محمد (ص).

وربما كان الخلط بين الفكر الامامي وأفكار الغلاة، هو سـبب ما حصل ويحصل لـدى كثـير من الكتـاب في نسـبة جميع فـرق الشيعة حـتى الامامية الى الغلاة، مع أن الامامية يكفـرون الغلاة ويتبرأون منهم ويلعنونهم، وذلك بسـبب اختلاط الغلاة بالاماميـة، والارتفاع بالأئمة الى مستويات عليا فـوق الـدور الأساسي الأول الـــذي انطلق منه الكلام، وهو الـــدور السياسي التشـــريعي والتنفيذي، الذي يحتاج اليه المسلمون في كل زمان ومكان.

موقف أئمة أهل البيت من الغلاة

ونظرا لخطورة الغلاة بكل أصنافهم على حركة التشـيع، فقد اتخذ أئمة أهل الـبيت أشد المواقف منهم، فقـال الامـام جعفر الصـادق:" ما نحن إلا عبيد الـذي خلقنا واصـطفانا، و الله مالنا على الله من حجـــة، و لا معنا من الله بـــراءة، وإنا لميتـــون و موقوفون ومسئولون، من أحب الغلاة فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبنا، الغلاة كفار و المفوضة مشركون، لعن الله الغلاة، ألا

كـــانوا نصـــارى ألا كـــانوا قدريـــة! ألاكـــانوا مرجئـــة! ألا كـــانوا حرورية".[13][16]

وقـــال :" لعن الله من قـــال فينا ما لا نقوله في أنفســـنا ، لعن الله من أزالنا عن العبودية لله الـــذي خلقنا ، وإليه مآبنا ومعادنا ، وبيده نواصينا".[14][17] وقال :" لعن الله عبدالله بن سبأ ، إنّه ادعى الربوبية في أمـــير المؤمـــنين عليه الســـلام ، وكـــان والله أمـــير المؤمنين عليه السلام عبـداً لله طائعـاً ، الويل لمن كـذب علينا ، وإنّ قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا ، نبرأ إلى الله منهم ، نبرأ إلى الله منهم ".[15][18]

وقال له أحد أصحابه وهو سدير : إنّ قوماً يزعمون أنكم آلهة ، يتلون بذلك علينا قرآناً (وَهُـوَ الَّذِي في السَّـماءِ إلَـهٌ وفي الاَرضِ إلَهٌ)؟ فقال عليه السـلام :" ياسـدير ، سـمعي وبصـري وبشـري ولحمي ودمي وشـعري من هـؤلاء بـراء ، وبـريء الله منهم ، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي ، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلاّ وهو ساخط عليهم ".[16][19]

وكان الامام الصـادق يحـذر الشـيعة من الغلاة قـائلا : " إحـذروا على شـبابكم الغلاة لا يفسـدونهم ، فـان الغلاة شـرّ خلق الله ، يصغّرون عظمة الله ويدّعون الربوبية لعبـاد الله ، والله إنّ الغلاة شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا" .

وعندما قتل أبو الخطاب، قال الامام الصـادق:" لعن اللـه أبـا الخطاب ولعن الله مَن قُتِل معـه ولعن الـه مَن بقي منهم ولعن الله مَن دخل قلبه رحمة ".

وروى الكشي: أن الصادق (ع) قال لأحد أصحابه:"قل للغالية توبوا إلى الله فإنكم فسّاق كفّار مشركون".

وسـأل رجـل الامـام الرضـا عليـه السـلام : مـا تقـول في التفويض؟ قال: ان الله تبارك وتعالى فوض الى نبيـه أمـر دينـه ، فقال :" وما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فـانتهوا" فأمـا الخلق و الرزق فلا ، ثم قال: ان الله عز وجل يقول:" الله خـالق كل شيء" وهو يقول:" الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء؟ سـبحانه و تعـــــالى عمـــــا يشـــــركون".

وروى ابو هاشم الجعفري ، قال سـألت أبـا الحسـن الرضـا عن الغلاة و المفوضة ، فقال: الغلاة كفار و المفوضة مشركون ، من

13

14

15

16

جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زاوجهم أو تـزوج منهم أو آمنهم أو ائتمنهم على أمانـة أو صـدق حـديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية اللـه عـز وجل وولايـة رسـوله وولايتنا أهل البيت".

وقال في حديث آخر:"الإمام يولد ويلد، ويصح ويمرض، ويأكـل ويشرب، ويبـول ويتغـوط، وينكح وينـام، وينسـى ويسـهو، ويفـرح ويحـزن، ويضـحك ويبكي، ويحيـا ويمـوت، ويُقـبر ويُـزار، ويُحشـر ويُوقف، ويُعرض ويُسأل،ويُثاب ويُكرم، ويشفع".

وروى الكشي: أن الإمام الرضا (ع) قال:" كان بنان يكذب على علي بن الحسين (ع) فأذاقه الله حـرّ الحديـد، وكـان المغـيرة بن سـعيد يكـذب على أبي جعفـر (ع) فأذاقـه اللـه حـر الحديـد".

وعقد المجلسي في موسوعته (بحار الأنـوار) بابـاً تحت عنـوان (نفي الغلـو في النـبي والأئمـة صـلوات اللـه عليـه وعليهم وبيـان معـاني التفـويض ومـا لا ينبغي أن ينسـب إليهم منهـا ومـا ينبغي) أورد فيـه أربعـاً وتسـعين روايـة عنهم (ع) في نفي الغلـو وأربعـاً وعشرين رواية في التفويض، كما أورد آراء بعض شيوخ الشيعة.

موقف الشيعة من الغلاة

ومن هنا قال الشيخ الصدوق (- 381هـ):"اعتقادنـا في الغلاة والمفوضـة أنهم كفـار باللـه جـل جلالـه وأنهم شـرّ من اليهـود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميـع أهـل البـدع والأهواء المضلة، وأنه ما صغر اللـه جـل جلالـه تصـغيرهم شـيء، وقال جل جلالـه: (مـا كـان لبشـر أن يؤتيـه اللـه الكتـاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون اللـه ولكن كونـوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسـون ، ولا يـأمركم أن تتخـذوا الملائكـة والنبـيين أربابـاً أيـأمركم بـالكفر بعـد إذ أنتم مسـلمون) آل عمـران، 79، وقـال اللـه عـز وجـل: (لا تغلـوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) النساء، 171.ـ قيـل للامـام الرضا (ع): أن الامام يخلق و يرزق.؟.. فمـا كـان من الامـام الا أن قال وهو يدعو الله تعالى مستغفرا من مقالتهم تلـك : " اللهم اني أبرأ اليك من الحول و القوة و لا حول و لا قوة الا بك ، اللهم اني أعوذ بك و أبرأ اليك من الذين ادعوا لنـا مـا ليس لنـا بحـق ، اللهم اني أبرأ اليك من الذين قالوا فينا مـا لم نقلـه في أنفسـنا ، اللهم لك الخلق و منك الرزق و اياك نعبد و اياك نسـتعين ، اللهم أنت خالقنا و خالق آبائنـا الأولين و آبائنـا الآخـرين ، اللهم لا تليـق الربوبية الا بك و لا تصلح الالهية الا لـك ، فـالعن النصـارى الـذين

صغروا عظمتك و العن المضاهئين لقـولهم من بريتـك . اللهم انـا عبيدك و أبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعا و لا ضرا و لا موتـا و لا حيـاة و لا نشـورا ، اللهم من زعم أنا أربـاب فنحن منـه بـراء ، و من زعم أن الينا الخلق و علينا الرزق فنحن اليك منه براء كبراءة عيســى بن مــريم من النصــارى ، اللهم انــا لم نــدعهم الى مــا يزعمون , فلا تؤاخذنا بما يقولون و اغفر لنا ما يزعمــون " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبـادك و لا يلدوا الا فاجرا كفارا ".[17][20]

وقال الشيخ المفيد:"الغلو في الغلة: هو التجـاوز عن الحـد والخروج عن القصد. قال الله تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلـوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحـق ...) النسـاء 171، فنهى عن تجاوز الحد في المسيح وحذّر من الخروج عن القصـد في القـول وجعل ما ادعته النصارى فيه غلواً لتعديه الحد على بينــاه، والغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمـنين والأئمـة من ذريتـه (ع) إلى الألوهيـة والنبـوة ووصـفوهم من الفضـل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحـد وخرجـوا عن القصـد، وهم ضُلاّل كفار حكم فيهم أمير المؤمنين (ع) بالقتل والتحريـق بالنـار وقضت الأئمة (ع) عليهم بالإكفـار والخـروج عن الإسـلام". وقـال مبيناً حد الغلو في نسبة صفات الألوهيـة إلى البشـر:"ويكفي في علامة الغلو نفي القائل (به) عن الأئمة سـمات الحـدوث وحكمـه لهم بالإلهية والقِـدَم، إذ قـالوا بمـا يقتضـي ذلـك من خلـق أعيـان الأجسام واختراع الجواهر وما ليس بمقدور العباد من الأعراض". وقال:"المفوضـة صـنف من الغلاة وقـولهم الـذي فـارقوا بـه من سواهم من الغلاة اعترافهم بحـدوث الأئمـة وخلقهم ونفي القـدم عنهم وإضافة الخلـق والـرزق مـع ذلـك إليهم، ودعـواهم أن اللـه سبحانه وتعالى تفرّد بخلقهم خاصة وأنه فوض إليهم خلـق العـالم بما فيه وجميع الأفعال".[18][21]

ومع ان الشيخ المفيد كان يعتقد بعدم استحالة نزول نوع من الــوحي على الأئمـــة، وظهــور المعجــزات على أيــديهم، حيث يقول:"إنّ العقل لا يمنع من نـزول الـوحي إليهم وإن كـانوا أئمة غير أنبياء، فقد قـال تعـالى: (وأوحينا إلى أم موسى أنّ أرضـعيه فــإذا خفت عليه فألقيه في اليم). فعــرفت صــحة ذلك بــالوحي وعملت بـه، ولم تكن نبيـاً ولا رسـولاً ولا إمامـاً ولكنها كـانت من عباد الله الصالحين،كما أنّ العقل لم يمنع من بعثة نــبي بعد نبينا ونسخ شــرعه" الا ان المفيد يــرفض ذلك الاحتمــال اســتنادا الى

17

18

إجمــاع المســلمين، حيث يقــول:" منع ذلك الإجمــاعُ والعلمُ بأنه خلاف دين النـبي محمّد ــ صـلى الله عليه وآله ــ من جهة اليقين وما يقارب الاضطرار. والإمامية جميعـاً على ما ذكـرت ليس بينها على ما وصفت خلاف". [19][22]

ولذلك اعتبر الشيخ المفيد نسبة النبوة أو الألوهية للأئمة غلوا ، لا يقــول به الا المتظــاهرون بالاســلام، كما رأينا قبل قليــل. ورد على الغلاة الـذين يتشـبثون ببعض الأحـاديث الضـعيفة المنسـوبة الى أهل البيت، فقال:"ما روي من خبر الواحد في هذا الباب ولو رواه ألف إنسـان وألف ألف لما جـاز أنّ يجعل ظـاهره حجة في دفع الضرورات وارتكاب الجهالات بدفع المشاهدات". [20][23]

ومع ان الشيخ المفيد نفى علم الأئمة بـالغيب، الا انـه قبـل نسبته اليهم بتعليم الله لهم، وليس بصفة ذاتية فقال:"أمــا إطلاق القـول عليهم (أي الأئمـة) بـأنهم يعلمـون الغيب، فهـو منكـر بَيِّن الفساد، لأن الوصف بذلك إنما يستحقه من علم الأشـياء بنفسـه، لا بعلمٍ مستفاد، وهذا لا يكون إلا لله عز وجـل، وعلى قـولي هـذا جماعةً أهل الإمامـة، إلا مَن شـذّ عنهم من المفوضـة ومَن انتمى إليهم من الغلاة". وحكى بعض الإماميــة عن رجــل ســأل الإمــام علي (ع) : هل أُوتيت علم الغيب، فأجابه:"يـا أخـا كلب! ليس هـو بعلم غيب وإنما هو تعلّم من ذي علم". وهذا ما ينسجم مع ادعـاء بعض الإمامية بعلم الأئمة بالغيب تعليما ، تبعا للرسول الذي أخبر الله تعالى باطلاعه على الغيب. وذلك في مجال استدلال الإمامية على ارتباط الأئمة (أو نوابهم) بالله تعالى.

وهذا في الحقيقة أيضا نوع من الغلـو الـذي يضـطر الاماميـة للقول به، من أجل إنقاذ نظرية الامامة التي لا تقوم من دون تلك الدعاوى، وخاصـة حين التحـدث عن علم للأئمـة (محمـد الجـواد، وعلي الهادي، والمهدي) الذين تركهم آبـاؤهم وهم أطفـال صـغار لم يتعلموا، مما يضطر الإمامية للادعاء بأنهم علمـوا العلـوم كلهـا من الله مباشرة بدون معلم، وخشية من الاعــتراف بتلقي العلم من أحــد، لأن ذلــك المعلم ســوف يصــبح أفضــل منهم وأولى بالامامة.

وهذا ما يكشف عن أن الغلو كان مراتب ودرجات، ويختلف من رجل الى آخر، ومن جماعـة الى أخـرى، ففي الـوقت الـذي كـان الامامية يتبرءون من المفوضة والغلاة الذين ينسبون صفات اللــه وأعماله الى الأئمة، كان بعضـهم يسـير في نفس الطريـق الـذي أدى بغيره الى المراتب العليا من الغلو، ولذلك وُجد عــبر التــاريخ

19

20

نـوع من التلازم بين القـول بنظريـة الامامـة الالهيـة وبين الغلـو، وخيم نـوع من الغمـوض في الموقـف من خاتميـة النـبي محمـد، ودور الأئمة المكمل للنبوة، أو ضرورة استمرار نزول الـوحي الى يوم القيامة. وان لم يكن الاماميـة يقولـون بهـذا القـول بصـراحة لأنه سـوف يخـرجهم من الـدين الاسـلامي ويضـطرهم الى إنكـار ضـروري من ضـروريات الـدين وهـو "الخاتميـة". ولكنهم كـانوا يوسعون دائرة الـوحي ليشـمل مثـل الـوحي الـذي أنـزل على أم موسـى فيقولـون بنزولـه على الأئمـة. حيث كـانوا يفرقـون بين كيفية نزول الملائكة على الأنبيـاء والأئمـة فيـدعون رؤيـة الأنبيـاء لهم وسماع الأئمة لأصواتهم فقط.

وإذا أثبتنا القول بحصول أي نوع من الوحي على الأئمـة، حـتى من قبيل وحي أم موسى، فاننا سـوف نبـني رابطـة خاصـة بينهم وبين السماء ترفعهم عن مستوى الناس العـاديين الـذين يتلقـون علومهم عن طريق الروايـة والتعليم أو الاجتهـاد. وهـذا بحـد ذاتـه نوع من الغلو.

وبناء على اختلاف نظرية كل مجتهد شيعي، كان يختلف موقفه من الآخـرين، فيعتـبرهم غلاة أو مقصـرين، أو في أي درجـة من الغلو، فبينما كان معظم مشـايخ الطائفـة الشـيعية الاماميـة (في القرنين الرابع والخامس) يعتبرون التفويض غلـوا مكفـرا مخرجـا عن الملة، رأينـا بعض المتـأخرين كالوحيـد الخراسـاني، يقبـل بـه بسهولة.

وبينما كان موقف ابن الغضائري، وهـو من علمـاء الرجـال في القـرن الخـامس الهجـري، موقفـا سـلبيا من المفضـل بن عمـر الجحفي (أحـــد أصـــحاب الامـــام الصـــادق) مثلا، حيث يقـــول عنه :"ضعيف متهافت. مرتفع القول خطابي وقد زيد عليه شـيء كثـير وحمـل الغلاة في حديثـه حملاً عظيمـاً لا يجـوز أن يكتب حديثه". فان آخرين (كالخوئي) اتخذوا منـه موقفـا إيجابيـا وقبلـوا رواياته.

وكان علماء الشـيعة الأولـون في قم يعتـبرون من لا يقـول بسهو النبي مغاليـا، بينمـا كـان آخـرون يعتـبرون من يقـول بـذلك مقصرا. وذكر الكشي: أن الحسين بن عبيد الله القمي أخرج من قم في وقت كـانوا يخرجـون منهـا مَن اتهمـوه بـالغلو. وروى ابن الغضائري أن محمد بن علي الصيرفي الملقب بأبي سمينة دخـل قم واشتهر أمره بها ونفاه أحمد بن عيسى الأشعري (رحمه الله) عنها ـ لغلوه ـ وكان شـهيراً في الارتفـاع، لا يُلتفت إليـه ولا يُكتب حديثه. وقال النجاشي في ترجمة محمد بن أورمة القمي:" ذكره

القميون وغمزوا عليه ورموه بالغلو، حتى دسّ عليه مَن يفتك به، فوجدوه يصلي من أول الليل إلى أخره فتوقفوا فيه".

ظاهرة الغلو الحديثة

ورغم انتهــاء عهد الأئمــة، ووصــول نظرية الامامة الى طريق مسدود بوفاة الامام الحسن العسكري في أواسط القرن الثـالث الهجـري، دون خلـف، حـتى مع افـتراض وجـود ولد له غـائب في السر، فان نظرية الامامة، وخصوصا في عصر الغيبــة، واسـتحالة قيـام الامـام المهـدي الغـائب بممارسة دور الامامـة، أي الخلافة والرئاســـة، اتخـــذت طابعا مغاليا للتغطية على الفشل من ناحية ولإعطــاء الإمــام دورا عمليا يقــوم به في ظل الغيبــة، فكــان أن أعطى الغلاة "المفوضـــة" دور إدارة الكـــون وحفظ الأرض وما الى ذلك من أساطير الغلاة.

وقد انتشـرت الأفكـار المغالية في موجة جديـدة، مع انتشـار الحركة الاخبارية في القرون القليلة الماضية ، قبل ان تتصدى لها المدرسة الأصــولية الــتي أعــادت التشــيع الى توازنه واعتدالــه، ورفضت الكثير من خرافات الأخباريين، ومع ذلك فقد انبثقت من القــرن التاسع عشر مدرسة أو حركة عــرفت بالحركة الشــيخية، التي انتمت الى المدرسة الأصــولية في الفــروع، ولكنها تشــبثت بالمدرسة الأخبارية في العقائد والأصول.

وقد استطاعت المدرسة الأصولية التي ترعرعت في النجف وكــــربلاء في القـــــرن التاسع عشــــر، أن تقضي على الحركة الأخبارية والشيخية، وتعزلهما في نطاق ضيق جدا، ولكنها شهدت أيضا بعض من يــدعي الانتمــاء الى المدرسة الأصــولية يميل الى النهج الأخباري الحشوي فيما يتعلق بنظرته الى أئمة أهل الــبيت. حيث أخذ بعض رجــال الــدين، يتلقف الروايــات الضــعيفة دون تمحيص أو نقد أو تأكد من مصـــــــادرها وأســـــــانيدها، أو دراسة لرجالها، ولذلك وقع في فتنة الغلــو، وأخذ ينسب صــفات الربوبية الى أئمة أهل الـبيت، أو يـدعي لهم مقامـات عليـا، وأدوارا فـوق مستوى البشر، ومهمات من أعمال الله تعالى، كـإدارة الكـون أو الخلق والـــــرزق وما الى ذلـــــك، تحت غطــــاء نظرية (الولاية التكوينية) التي كان يقول بها المفوضة من قبل.

ويمكننا أن نأخذ أمثلة على ظـاهرة الغلو الجديـدة بعـدد من المشـايخ من أمثـال: الشـيخ محمد حسـين الوحيد الخراسـاني، مدرس علم الأصول في قم، والذي يقـول بصـراحة بتفـويض الله

تعالى للأئمة الخلق و الرزق وما الى ذلك من أعمال الله تعـالى ، وان الأئمة هم وسائط فعاليات مخلوقاته ، ويدعي أن هذا تفويض صحيح لا ينافي الايمان بالله تعالى. وممـا يقولـه الخراسـاني:"إن الأئمة هم **فاعلو** ما به الوجود ، وان الله **منه** الوجود. وان امـام العصر صار عبدا ، وعندما صار عبدا **صار ربا** ، فالعبودية جوهرة كنهها الربوبية ، فمن ملك هذه الجوهرة **تحققت ربوبيته بالله** تعالى لا بالاسـتقلال ، بالنسـبة الى الأشـياء الأخـرى".[21] والسـيد محمد الشيرازي، الذي يعتقد بتفويض الله للنـبي وللأئمة من أهل البيت الولاية التشريعية والولاية التكوينية، وذلك بمعـنى ان زمـام العالم بأيديهم فلهم التصـرف فيه إيجـادا وإعـداما ، كما ان زمـام الاماتة بيد عزرائيل ، وانهم الوســـائط في خلق العـــالم والعلة الغائية له ، كما انهم سبب لطف الله تعالى وإفاضته على العـالم واستمرار قيام العالم بهم .[22]

وقد نشر مؤخرا كتاب نسب الى الامام الخميني تحت عنوان (مصباح الهداية الى الولاية والخلافة)[23] ولم يتسـن لي التأكـد من صحته، لأنه كان مجهولا في حياة الامام ونشر بعد وفاته بأكثر من عشـر سـنين، وقـد ورد فيـه مـا يلي:"إن لهم (للأئمـة) مـراتب متعددة مثل: مرتبة (ان أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله الا ملـك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان. ومرتبة (ان لنـا حـالات لا يحتملهـا لا ملـك مقـرب ولا نـبي مرسـل ولا عبد ممتحن. ومرتبة (**ان لنا حالات مع الله نكون فيها هو نحن ونحن هو الا انه هو هـو ونحن نحن**) والـتي اشـارت اليهـا **ادعيـــة الناحيـــة المقدســـة في رجب** (**ولا فـــرق بينك وبينها الا انهم عبـادك**) ...وكمـا ورد في **الزيـارة الجامعـة الشريفة (حساب الخلق عليكم وإيابهم اليكم** ..) او قـول امير المؤمنين صلوات الله عليه: (**أنا الذي يدخل أهل الجنـة لجنانهم** ...) فهو قسيم النـار والجنـة **كما ورد متـواترا". و"** وبما علمناك من البيـان وآتينـاك من التبيـان يمكن لـك فهم قـول مولى الموحدين وقدوة العارفين أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين :كنت **مع الانبياء باطنا ومع رسـول اللـه ظاهرا** ، فانـه صـلوات اللـه عليـه **صاحب الولايـة المطلقـة**

---

[21] - الوحيد الخراسـاني، مقتطفـات ولائيـة، محاضـرة بتـاريخ 13 شـعبان 1411 في قم، ص 39

[22] - الشيرازي ، محمد: من فقه الزهراء ص 10 - 11 و17 ج1 نقلا عن كتاب : عوالم العلوم ومستدركاتها مجلد فاطمة ج1

[23] - http://www.al-kawthar.com/maktaba/moallef1.htm#imam

الكلية والولاية باطن الخلافة والولايـة المطلقة الكليـة باطن الخلافة الكذائية فهو عليه السلام بمقـام ولايتـه الكليـة **قائم على كل نفس بما كسبت ومع كـل الاشـياء معيـة قيوميـة ظلية الهيـة، ظـل المعيـة القيوميـة الحقـة الالهية".**[24]

وهذا ما ينسجم مع ما ورد في كتاب (الحكومة الاسلامية) الذي يقول فيه**:"ان من ضروريات مـذهبنا ان لأئمتنـا مقامـا لا يبلغه ملك مقـرب ولا نـبي مرسـل،** وبمـوجب ما لـدينا من الروايات والأحاديث فان الرسول الاعظم (صـلى اللـه عليـه والـه وسـلم) والائمة (عليهم السـلام) كـانوا قبـل هـذا العـالم أنـوارا فجعلهم الله بعرشه محدقين وجعل لهم من المنزلة والـزلفى مـا لا يعلمه الا الله، وقد قال جبرائيل - كما ورد في روايات المعـراج - : لو دنـوتُ أنملـة لاحـترقت. وقـد ورد عنهم عليهم السـلام: **ان لنــا مــع اللــه حــالات لا يســعها ملك مقــرب ولا نــبي مرسل".** [25] وقوله: **"**ان **حقيقة التوحيد لا تكـون تامـة من غير ولايتهم** عليهم السـلام". أو "ان ثبـوت الولايـة والحاكميـة للامام لا تعني تجرده عن منزلته التي هي لـه عنـد اللـه ولا تجعله مثل من عداه من الحكام **فان للامام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون".**[26]

وممـا ورد في ذلـك الكتـاب المنسـوب الى الامـام الخميـني، قولـه:"وامـا السـالكون على طريـق الشـريعة مـع رفض الانانيـة بجملتها وترك العبودية لأنفسهم برمتها مع طهارتها وعدم التوجــه الى اظهـار القـدرة والسـلطنة والفرعونيـة فهم في أعلى مرتبـة التوحيد والتقديس واجل مقامات التكثـير ولم يكن التكثـير حجابـا لهم عن التوحيد ولا التوحيد عن التكثـير لقـوة سـلوكهم وطهـارة نفوسـهم **وعـدم ظهـورهم بالربوبية** الـتي هي شـأن الـرب المطلق مع ان **هيولى عـالم الامكـان مسـخرة تحت يـدي الولي يقلبها كيف يشاء** وجاء لهم في هذا العالم الكتاب من الله العزيز الذي اخبر عنه رسول الله صلى الله عليه واله وسـلم على ما نقل مخاطبا لاهل الجنة من يكون مخاطبا لـه **من الحي القيوم الذي لا يموت الى الحي القيوم الـذي لا يمـوت** اما بعد فاني اقول للشئ كن فيكون وقد جعلتك تقول للشـئ كن

---

[24] - الخميني، مصباح الهداية الى الخلافة والولاية ص 84

[25] - الخميني، الحكومة الاسلامية ص 52 -53

[26] - المصدر السابق ، ص 25

فيكون فقال صلى الله عليه واله وسلم فلا يقول احد **من اهل الجنة للشئ كن الا ويكون،** ومن ذلك المقام إباء الانبياء المرسلين والاولياء الراشدين صلوات الله عليهم اجمعين عن اظهار المعجزات والكرامات التي **أصولها اظهار الربوبية والقدرة والسلطنة والولاية في العوالم العالية والسافلة** الا في موارد اقتضت المصلحة لاظهارها وفيها ايضا كانوا يصلون ويتوجهون الى رب الارباب باظهار الذلة والمسكنة والعبودية ورفض الانانية وايكال الامر الى بارئه واستدعاء الاظهار عن جاعله ومنشا علة قدرته مع **ان تلك الربوبية الظاهرة بايدهم عليهم السلام هي ربوبية الحق جل وعلا الا انهم عن اظهارها بايديهم ايضا يأبون** ..". [27]

وهناك قول آخر له في (كتاب الأربعين حديثا):" ان الأحاديث المأثورة في طينة ابدانهم وخلق ارواحهم ونفوسهم وفيما منحوا من الاسم الاعظم والعلوم الغيبية الالهية من علوم الانبياء والملائكة ومما هو اعظم مما لا يخطر على بال احد وهكذا الاخبار المنقولة في فضائلهم في مختلف الابواب من الكتب المعتبرة وخاصة كتاب اصول الكافي ان مثل هذه الاخبار الكثيرة بقدر تبعث على تحير العقول ولم يقف احد على حقائقهم واسرارهم عليهم السلام الا انفسهم**".**[28]

كما وجدت في كتاب منسوب الى الشيخ مرتضى المطهري، تحت عنوان (الامامة) ما يلي من أفكار مغالية:

يقول :" الأئمة هم أشخاص متخصصون في الإسلام، بيد أن تخصصهم ومعرفتهم في الإسلام لم تكن انطلاقا من عقلهم واعتمادا على فكرهم، لأن معرفةً مثل هذه واختصاصا من هذا القبيل يداخله الخطأ بالضرورة، **بل إن الأئمة أخذوا علوم الإسلام من النبي (صلى الله عليه وآله) بطريق غيبي نجهله.** لقد تحولت المعرفة من النبي (صلى الله عليه وآله) إلى علي (عليه السلام)، ومنه بلغت الأئمة من بعده. وفي جميع أدوار الأئمة، كان هناك علم إسلامي معصوم لا يخطىء، يتحول من إمام إلى الذي يليه".[29]

---

[27] - الخميني، مصباح الهداية ص 53

[28] - الخميني، الأربعون حديثا، ص 489 الحديث رقم 31 طبعة مؤسسة دار الكتاب الاسلامي تعريب محمد الغروي

[29] - المطهري، الامامة، ص**47**

ويقـول:"للإمامة درجة ومرتبة ثالثة (بالاضـافة الى القيـادة السياسـية والعلميـة)، هي ذروة مفهـوم الإمامـة. وكتب الشـيعة مليئة بهذا المفهوم للإمامة، الذي يُعَـدّ وجها مشـتركا بين التشـيّع والتصـوّف... أن للـولي الكامل الـذي ينطـوي على (صـفات) الإنسانية بشكل تامّ وكامل، مقاماتٍ بعيـدة كل البعد عن أذهاننـا. من بين المقامـات الـتي تـذكر لـه، تسـلّطه على الضـمائر أي القلوب، انطلاقا من كونه روحا كلية يحيط بجميع الأرواح".[30]

ويضيف**:"** ان مسألة الولاية تطرح عادة في الاعتقاد الشيعي بهـذا المعـنى نفسـه، ولكن على نحو مكثف جـدا. فهي تطـرح بمعنى - أن يكون الولي- حجة الزمان، بحيث لا يكـون ثمة زمـان خالٍ من الحجة أبدا "ولولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها". ومؤداه أن الأرض لم تخل ولن تخلو من الإنســان الكامل أبــدا. ويعتقد الشيعة أن هـذا الإنسـان الكامل ينطـوي على مقامـات ودرجـات كثيرة. ونحن في أغلب التحيات والزيارات التي نقرأهـا، نقر بمثل هذه الولاية ونعـترف بهـذه الإمامـة، أي أننا نعتقد أن للإمـام مثل هـذه الـروح الكليـة. نحن نقـول في الزيـارة الـتي نقرأها جميعا باستمرار، وهي جزء من أصول التشيع: "أشهد أنك تشهد مقامي وتسمع كلامي وترد سلامي". نحن نخاطبه بهـذا الكلام وهو ميت، ولا فرق بالنسبة لنا- في تحلّيه بهـذا المقـام - بين حياته ومماتـه. وهذا لا يعنى أنه لم يكن كذلك في حياته، وأنها من مختصـاته بعد مماته. فأقول- مثلا-:" السلام عليك ياعلي بن موسى الرضـا" ثم أشهد له وأعترف أنه يسمع كلامي، ويردّ سلامي**".**[31]

ويؤكد المطهـري هـذا المعـنى في الفصل الثـاني من كتابـه: (الإمامة ومهمة بيان الدين بعد النبي) فيقول:"حين نطرح الإمامة بمثل هذا التصور الساذج، ونختزلها في الحكم وحده، بحيث نقول إن الإمامة تسـاوي الحكومة وحسـب، فعندئذ نجد أن نظرية أهل السـنة وما يـذهبون إليه في المسـألة تتحلى بجاذبية أكـبر من نظرية الشيعة وما يعتقدون به. علينا أن لا نـرتكب أبـدا مثل هـذا الخطأ، بحيث ما إن تطرح مسـألة الإمامة في السـياق الشـيعي، حتى نسـاويها بالحكومـة، ونقـول إنها تعـني الحكم. فـالوقوع في مثل هـــذا الخطأ يفضي إلى أن تكتسب الإمامة شـــكلا بســـيطا

---

http://www.al-kawthar.com/maktaba/moallef2.htm#motahari

30 - المصدر السابق، ص52

31 - المصدر السابق، ص52

ساذجا، تترتب عليه [منطقيا وموضوعيا] النتائج والفروع التي يجب أن تترتب على مثل هذا المنهج".[32]

ويقول:"أما اليوم فكثيرا ما يكرر هذا الخطأ، فما إن تذكر الإمامة حتى تتجه الأذهان إلى الحكم كمرادفٍ لها، مع أنّ الحكومة من الفروع، وهي لا تعدو أن تكون شأنا صغيرا جدّاً من شؤون الإمامة. ما ينبغي الحذر منه هو الخلط بين هاتين القضيتين، بني الإمامة والحكومة وإذا كان الأمر كذلك، فما هي الإمامة إذن؟ الإمام خليفة النبي في بيان الدين. إنّ ما ينطوي على الأهمية الأولى في قضية الإمامة، هي خلافة النبي في بيان الدين وتبيينه من دون وحي (أي من دون أن يوحي إلى الإمام). **فممّا لا شك فيه أن الذي يوحي إليه هو الرسول الأكرم فقط، وبمغادرته الحياة انقطع الوحي وخُتِمت الرسالة.**

وعودة إلى السؤال: هل هناك بعد النبي شخص يعكس في موقعه ووجوده مرجعية أحكام الدين، تماما كما كان النبي مرجعاً ومبيِّناً ومفسّراً؟ هل ثمة وجود لإنسان كامل بمثل هذه المواصفات؟

في نهج البلاغة يتحدث الإمام علي (عليه السلام) عن رفقته النبي بحراء حين كان فتىً، وكيف سمع رنّة الشيطان حين نزل الوحي على رسول الله، فقال: يارسول الله ما هذه الرنة؟ فأجابه النبي (هذا الشيطان قد أيس من عبادته)، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أري، إلا أنك لست بنبي". (نهج البلاغة، الخطبة 192) (نجد نظير هذه الكلمات في مواطن أخرى كثيرة). [33]

ومع ان المطهري ينفى هنا بصراحة نزول الوحي على الامام علي، أو مشاركته للنبي في النبوة، الا انه يعود بشكل أو بآخر ليشركه في سماع ما يسمع ورؤية ما يرى. ثم يقول:"**الإمامة عند الشيعة مفهوم يناظر النبوّة.** ثَمَّ آية في القرآن عجيبة تقع في سياق مجموعة آيات عن الإمامة وهذه الآية ترتبط بشخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بل هي تتصل بمسألة الإمامة نفسها، وفي نطاق المعنى الذي عرضناه ونعود للإشارة إليه مجددا".[34]

"ذكرنا - فيما سبق - أنه خطأ كبير، ذلك الذي وقع به المتكلمون المسلمون منذ القديم، وهم يطرحون الإمامة في صيغة السؤال التالي: ما هي شرائط الإمامة؟ فهذه الصيغة في

---

[32] - المصدر السابق، ص 67 - 68

[33] - المصدر السابق، ص 69 - 72

[34] - المصدر السابق، ص 186

الطـرح تسـتبطن فرضـية فحواها أن أهل السـنة يقبلـون الإمامة كما نقبلها نحن الشـــــيعة، وغاية ما هنالك أننا نختلف معهم في شرائطها، إذ نقول نحن بالعصمة والنص شـرطين في الإمـام، ولا يعتقد الطرف الثاني بهما. وواقع الحال أن الإمامة الـتي نعتقد بها نحن الشيعة لا يعتقد بها السـنة أساسـا، وما يعتقد به أهل السـنة باسم الإمامة هو تعبير عن الشأن الدنيوي في الإمامة، الذي يُعـدّ أحد شؤونها.

مثـال ذلـك: هو ما نلتقي به في مضـمار النبـوة، فأحد شـؤون النـبي أنه كـان حاكما للمسـلمين، بيـدَ أن ذلك لا يعـني أن تكـون النبوة مساوية للحكم والحكومة، النبوة بحـدّ ذاتها حقيقة تنطـوي على آلاف القضـايا، ولكن من شـؤون النـبي - كما أسـلفنا- أنه بوجوده لا يحتاج المسلمون إلى حاكم آخر، لأنه هو الحاكم.

ما يـذهب إليه أهل السـنّة أن الإمامة تعـني الحكومة (الإمامة تسـاوي الحكومـة) وأن الإمـام يعـني الحـاكم الـذي يوجد بين المسـلمين، وهو من الحيثية شـخصٌ من المسـلمين يجب عليهم انتخابه لممارسة الحكم.

وبهـذه الصـيغة لم يتعـدَّ أهل السـنّة في الإمامة أكـثر من حـدّ الحكومة. أمّا الإمامة عند الشيعة فهي تـأتي تـالي تلو النبـوّة، بل هي أرفع من بعض درجـات النبـوة. فـأولو العـزم من الأنبيـاء هم الذين جمعوا الإمامة إلى النبوة، وكثير من الأنبياء لم يكونوا أئمة، أما أولو العزم فقد بلغوا رتبة الإمامة في آخر المطاف".[35]

" ومحل الشاهد في الكلام: أننا لا نسأل عن الحـاكم من يكـون في حال وجود النبي، ذلك أن للنبي جنبة فوق بشـرية [في صـلته بالسماء وانفتاح الغيب عليه] وكذلك لا معنى للسؤال عن شخص آخر يتولى زمام الحكم بوجود الإمام. إنما يمتلك الحديث عن هذا الشـخص - مبرراته الموضـوعية - في حـال عـدم وجـود الإمـام (وذلك بافتراض عدم وجوده مطلقا، أو لغيابه كما هو الحـال في زماننا).

ما يجب أن نحـذر منه هو خلط مسـألة الإمامة بمسـألة الحكومة، ثم أن نتساءل على أسـاس ذلك الخلـط: ما هو موقف أهل السنة، وما هو موقفنا؟ فالإمامة مسـألة أخـرى غـير الحكم، وهي عند الشيعة ظاهرة ومفهوم يناظر النبوة في أعلى درجاتها.

نخلص مما مرّ في الفارق بين الشـيعة والسـنة، إلى أننا نعتقد بالإمامـة، والسـنة لا يقولـون بها من الأسـاس، وليس الأمر أنهم يعتقـدون بها ويختلفـون معنا في شـروط الإمـام، بـأن يضـعوا له شـروطا غـير الـتي نعتقد بهـا. **الإمامة في معناها المقصود**

35 - المصدر السابق، ص 187

هي تـالي تلو النبـوة، ولكن لا بـالنحو الـذي تعـني فيه أنها أدنى مرتبة من أي نبـوّة كـانت. كلا، بل المقصـود أنها أمر شبيه بنبوة الأنبيـاء العظـام، وهم حـازوا على الإمامة أيضا، وجمعوا بين النبـوة والإمامـة. إن الإمامة حالة معنوية".[36]

"ان ما انتهى بعد الرسول هو الرسالة والنبوة، فلن يأتي - بعد النبي الخاتم - إنسـان يحمل للبشـرية شـريعة جديـدة ودينا آخـر. فليس هنـاك غـير دين واحد هو الإسـلام. وبنـبي الإسـلام خُتمت الرسالة والنبوة. أما الحجّة والإنسـان الكامل - حيث كـان الكـائن البشري الأول إنساناً كاملا، وكذا ينبغي أن يكون الإنســان الأخـير في خط الخليقة على الأرض - فهذا خطٌّ لم يغلق أبـدا بين أفـراد النوع البشري". [37]

ومع ان موقف الشـيخ المطهـري لا يمثل موقف الشـيعة الامامية العام ، كما يبدو من خلال تذمره من عـدم فهم الشـيعة لـه، الا انه يقـدم نموذجا عن تـأثر الفكر الامـامي بشـيء من الغلو، برفع الامامة فـوق الخلافة السياسـية ، ويقربها من درجة النبوة أو يرفعها فوقها أحيانا.

ويمكن أن نجد شيئا من ذلك أيضا في كتاب للسـيد محمد تقي المدرسي الذي يقول:"إن الإنسان الذي يعتقد بـــ (الـوحي) الذي هو تجـلٍ من تجليـات قـدرة الله تعـالى ورحمته بالإنسـان، لابد له أن يعتقد بالإمـــام الحجة عليه الســـلام، لأن الـــذي ربط الأرض بالسماء بفضل الوحي تأبى رحمته ، ويأبى فضـله العميم على الإنسان ، ويأبى لطفه أن يترك البشـرية دون رابط يربطها بالسماء بعد وفاة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآلـه. فـالأرض ومنذ أن وُجد فيها الإنسـان وحـتى مبعث النـبي الأعظم صـــلى الله عليه وآله لم تخـــلُ من حجّة إلهيـــة، فكيف يترك الله جلّت أسماؤه، هذه الأرض من غـير حجـة، وهل كـانت البشـــرية في الســـابق أقـــرب إليه تعـــالى لكي يبعث لها مائة وأربعـة وعشـرين ألف نـبي عـدا الأوصيــاء وثم يتركنا بعد وفـاة النبي محمد صلى الله عليه وآله دون أن تكون له حجة عليهـا؟.. إنّ الإنسان الذي يعتقد بالوحي لابد أن يؤمن أيضـاً بامتـداد هـذا الــوحي المتمثل في الأئمة عليهم الســلام ، وانّ هــذا الامتــداد يتجسد، بل يرتفع، وينمو حتى يصل إلى قمته، وإلى ذروة امتداد

---

[36] - المصدر السابق، ص 213
[37] - المصدر السابق، ص 233

الرسالة الإسلامية المتمثلة في الإمـام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه".[38]

الغلاة والمنهج الأخباري

وكما هو ملاحظ بصـورة بينـة، فـان الغلاة الجـدد، القـائلين بالتفويض يعتمـدون على روايـات موضـوعة و ضـعيفة مدسوسـة في تراث أهل البيت ، كخطبة البيـان المنسـوبة الى الامـام أمـير المؤمنين عليه السلام ، و التي اعتبرها السيد كاظم الرشـتي من الروايات **المتواترة بـل المستفيضة** ، مـع انهـا روايـات غـير مسـندة ولا تُعـرف مصـادرها، وقـد رفضـها حـتى صـاحب (بحـار الأنوار) الشيخ المجلسي، الذي جمع في كتابه ما هب ودب، حيث نوّه الى عدم وجود خطبة البيان الا في كتب الغلاة و أشباههم ، و قال :" لكن الأخبار الكثيرة ممـا أوردناهـا في كتـاب بحـار الأنـوار يمنع من القول به فيما عدى المعجزات ظاهرا بل صريحا، مع أن القول به قول بمـا لا يعلم، إذ لم يـرد ذلـك في الأخبـار المعتـبرة فيما نعلم و ما ورد من الأخبار الدالة على ذلك كخطبـة البيـان، و أمثالها فلم توجد إلا في كتب الغلاة و أشـباههم ". وقـال صـاحب كتــاب (بشــارة الاســلام) " الســيد مصــطفى آل الســيد حيــدر الكاظمى:" إنا لم نعثر على مستند صحيح لهذه الخطبة المسـماة بالبيان، و لم يثبتها أحد من المحدثين كالشيخ الطوسى و الكلينى و نظائرهم و عدم ذكر المجلسى لها توهين لهـا لإحاطته بالأخبـار و يبعد عدم اطلاعه عليها مع أنها غير بليغة كثيرة التكرار غير بينة الألفاظ". وكتب السيد جعفر مرتضى العاملي في موقـع (الامـام علي.نت) الذي تديره الحوزة العلمية في قم ، عن خطبـة البيـان ما يلي، فقال:"لقد أوردوا لهذه الخطبة ثلاثة نصوص تختلف فيمـا بينها بصـورة كبـيرة، و ليس لأي واحـد منهـا سـند يصـح الاعتمـاد عليه... و أما بالنسبة لمتن الخطبة فهـو أكـثر إشـكالا بـل لا يكـاد سطر منها يمر بدون إشكال أو أكثر" . و تحدث السـيد العـاملى عمـا جـاء فيهـا من أكـاذيب و أباطيـل ودس و تحريـف لأهـداف شيطانية لا تخفى. وقال أيضا : كان ما ذكرنـاه من وجـوه الإيـراد على بعضي فقرات خطبة البيان غيظا من فيض و قطرة من بحر مما يمكن الإيراد به على هذه الفقرات و سـواها من المئـات بـل الألوف مما خصت بها نصوصها الثلاثة... و قد يكون لبعض الغلاة، و الباطنية، و الصوفية و ربما لليهـود أيضـا اليـد الطـولى في هـذا

[38] - المدرسي، الامام المهدي قدوة الصديقين، ص 9

البلاء الذي حاق بها حيث وجد هؤلاء و أولئك فيها مرتعا خصبا، و مادة صالحة لإشاعة أضاليلهم و أباطيلهم. وقد قال السيد الخوئى عن هذه الخطبة الموضوعة المنسوبة للإمام على :" باسمه تعالى: لا أساس لها و الله العالم"... كما قال السيد على الحسيني السيستانى:"إنها لم تصح عنه صلوات الله و سلامه عليه". و الذي يدل على ضعف هذه الرواية أو الخطبة و وهنها عدم ذكرها في نهج البلاغة، و هذا ان دل على شي فإنما يدل على أنها من وضع الغلاة. و أما بالنسبة لمتن الخطبة فهو أكثر إشكالا بل لا يكاد سطر منها يمر بدون إشكال أو أكثر. و ذلك لوجود الكثير من العبارات الصريحة الدالة عل الغلو و تفويض أمر الخلق للإمام على (عليه السلام) فهذه الصفات التي وصف الإمام على (عليه السلام) نفسه بها، كلها من صفات أفعاله سبحانه لا يشاركه فيها أحد من عباده و نحن نعلم بأن الإمام أمير المؤمنين و هو سيد الموحدين لايستجيز لنفسه أن يتصف بهذه الصفات المختصة بالله تعالى.[39]

المبحث الرابع: موضوع تحريف القرآن

وقد تفرع عن موضوع الامامة ، ورفع منزلتها الى درجة (العقائد)، سؤال عن الحكمة وراء إغفال القرآن الكريم للنص بصراحة على إمامة أهل البيت اذا كانت تحتل تلك الأهمية في العقيدة الاسلامية؟ فقام بعض غلاة الامامية، وليس كلهم ولا كل الشيعة بالطبع، بادعاء تحريف القرآن الكريم وحذف الآيات الناصة بصراحة على الامام علي وأهل البيت. ولم يقدم أولئك الغلاة أي دليل على دعواهم الباطلة سوى روايات ضعيفة ومختلقة نسبوها لبعض أئمة أهل البيت، وهم منها براء. وقد ذكر تلك الروايات الكليني في (الكافي) ومحمد بن حسن الصفار القمي في (بصائر الدرجات) وعلي بن ابراهيم القمي في (تفسيره) وكذلك العياشي وابن فرات وغيرهم، ولكن هذا الرأي

---

[39] - جعفر مرتضى العاملى، دراسة في علامات الظهور، ط 1 بيروت دار البلاغة 1992م صفحه 95 ـ 94 و محمد باقر المجلسي، مرآة العقول ط 2 طهران دار الكتب الإسلامية 1363هـ ج 3 صفحه 143 –ـ 142 و مصطفى آل السيد حيدر الكاظمي، بشارة الإسلام في علامات ظهور صاحب الزمان، بيروت دار الكتب إلا سلامي 1991م صفحه 82 –ـ 81 و مسائل عقائدية للدكتور السيد علاء الدين القزويني ص 61 ـ 74 ، وللمزيد راجع موقع : الامام علي.نت

لم يصبح رأيا عاما ولا ملزما للشيعة الامامية الذين قام علماؤهم الأصوليون بنقد الأخبار وضرب ما يتعارض منها مع القرآن الكريم عرض الجدار. الا ان بعض خصومهم ظلوا عبر التاريخ يثيرون هذه التهمة التي أختلقها الغلاة، ضد الشيعة عموما، ويتخذون منها أداة لضربهم واتهامهم بالكفر وانحراف العقيدة.

وقد طرح الدكتور موسى كاظم يلماز، في ندوة اسطمبول حول الشيعة، موضوعا تحت عنوان (آراء الشيعة المتعلقة بعلوم القرآن) قال فيه:" يحسن بنا أن نقول ان علماء الشيعة المعتدلين رفضوا التحريف في القرآن لا سيما من عاش منهم بعد القرن الرابع والخامس الهجري. منهم الشيخ الصدوق صاحب كتاب الاعتقادات المتوفى سنة 381 وشيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي صاحب تفسير التبيان المتوفى سنة 461 وأبو علي الطبرسي صاحب مجمع البيان، المتوفى سنة 548 الا انه يؤسفنا جدا أنهم ينفون قطعا الزيادة في القرآن ولا ينفون النقيصة فيه بصراحة قطعية كذلك، بل قالوا بأن اسقاط بعض الآيات من القرآن أمر مختلف فيه ولكنهم يضيفون بأن الصحيح من مذهبهم خلافه، كما صرح به الطبرسي في تفسيره".

واستشهد يلماز بأقوال عدد من علماء الشيعة عبر التاريخ، ممن أكدوا على سلامة القرآن من التحريف، كالشيخ البهائي الذي قال:" اختلفوا في وقوع الزيادة والنقصان فيه ، والصحيح ان القرآن محفوظ عن ذلك زيادة ونقصانا".[40] والطبرسي الذي نقل عن المرتضى قوله:" ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة".[41] ومحمد جواد البلاغي النجفي، العالم في القرن العشرين صاحب تفسير آلاء الرحمن، الذي صرح " بأن القرآن الذي بين أيدينا هو نفس القرآن الذي أنزله الله على محمد (ص) وليس بأكثر من ذلك، وأضاف قائلا: ان من نسب الينا انا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب".[42] و"ان جهد المحدث المعاصر (يعني به ميرزا حسين النوري) في كتابه فصل الخطاب باء بالفشل في جميع الروايات التي استدل بها على النقيصة في القرآن، حيث ان كل ما ذكره عبارة عن المراسيل عن الأئمة، مراسيل العياشي وفرات وغيرهما، الا ان المتتبع المحقق يجزم بأن تلك المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد التي

---

40 - (مقدمة محمد جواد البلاغي ص 27)
41 - (مجمع البيان ج1 ص 83)
42 - (مقدمة البلاغي ص 26)

غالبها مما لا يمكن احتمـال صـدقها".[43] وكـذلك آية الله الخـوئي الذي جـزم " بـأن المشـهور بين علمـاء الشـيعة هو القـول بعـدم التحريف. وأضاف قـائلا: ذهب جماعة من المحـدثين من الشـيعة وجمع من علمـاء أهل السـنة الى وقـوع التحريـف، الا ان كلا من هـــؤلاء ممن لا صـــناعة لهم الا الظن والتأويـــل".[44] والمفسر المعاصر الطباطبائي، صاحب تفسير الميزان، الـذي قـال:" ذهب جماعة من محدثي الشـيعة والحشـوية وجماعة من محـدثي أهل السنة الى وقوع التحريـف، بمعـنى النقص والتغيـير في اللفظ أو الترتيب، دون الزيادة، فلم يذهب اليها أحد من المسلمين".[45]

وأضـاف الـدكتور موسى كـاظم يلمـاز:"أفـاد العلمـاء الـذين يرفضـون التحريف أن قوله تعـالى: انا نحن نزلنا الـذكر وانا له لحـافظون، نص صـريح في صـيانة القـرآن عن التحريف والتغيـير والتبـديل... والضـرورة التاريخيـة... والأخبـار الـواردة في لـزوم التمسك بـالقرآن، من أبـرز ما يـدل على عـدم التحريف ومن أهمها حـديث الثقلين.. ويعتـبر هـذا الحـديث عند علمـاء الشـيعة القـائلين بعـدم التحريف دليلا قويا في رفض التحريـف، حيث أمر الرسول الأكرم (ص) الأمة بالتمسك بالكتاب والعترة أهل الـبيت، فوجـود التمسك بالكتـاب بـاق الى يـوم القيامـة، لصـريح أخبـار الثقلين، فيكون التحريف باطلا جزما.[46] وان الروايات الواردة في التحريف لا يسـتدل بهـا، إذ ان الأخبـار الـواردة من عـدة طـرق الدالة على سقوط بعض الآيـات، غالبها ضـعيفة ليس فيها حـديث متواتر ولا محفـوف بقـرائن قطعية تضـطر العقل الى قبولـه، بل كلها آحاد ، والصحاح منها غير مأمون فيه من الوضع والدس، فان من له أدنى تأمل يعلم ان مثل ما ورد في (فصل الخطـــاب) من أن ثلثي القرآن سقط بين الشرط والجزاء في قوله تعالى (فـإن خفتم ألا تقســطوا في اليتـــامى فـــانكحوا ما طـــاب لكم من النساء...) موضوعة.[47] ومما يعلم أنه ورد في روايات أهل الـبيت ان عليا جمع مصـــحفا، الا انه من المحقق ان جمع علي لا يـــدل على مخالفة ما جمعه لما جمعه أبو بكر رضي الله عنـــــــه، في شـيء من الحقـائق الدينيـة، الا ان يكـون في شـيء من تـرتيب السـور أو الآيـات، ولو كـان مصـحفه مخالفا لما جمعه الأصـحاب

---

[43] - (مقدمة البلاغي ، ص 27)

[44] - (تفسير الخوئي ص 201)

[45] - الندوة العلمية الدولية حول التشيع عبر التاريخ وفي الوقت الحاضر، ص 200

[46] - (الخوئي 211 – 210)

[47] - (الميزان ، 12، 116 ومكارم الشيرازي، تفسير نمونه ، 21، 30)

لعارضهم علي بالاحتجاج، ودافع فيه ولم يقنع بمجرد اعراضهم عما جمعه، ولم ينقل عنه رضي الله عنه فيما روي من احتجاجه أنه قرأ آية في ولايته.[48] وهل يمكن لعاقل أن يدعي ان كل الآيات التي يرى الخصم سقوطها، كانت جميعها في الولاية أو كانت خفية على المسلمين عامة؟ أم هل يمكن أن يتصور أن عليا رضي الله عنه سكت عند تحريف القرآن حفظا لوحدة المسلمين وتحرزا من شق العصا؟ أليس التحريف هو أعظم الفتن في الدين؟".

وعلق الدكتور يلماز على ذلك قائلا:"يمكن للباحثين ملاحظة حركة قوية ضد التحريف والقائلين به بدأت بالشيخ الصدوق المتوفى سنة 381 وهذه الحركة دامت الى يومنا هذا مع كثرة أتباعها قدما، والى جانبهم دام أيضا تمسك بعض الأخباريين منهم بالروايات الضعيفة الدالة على التحريف، الا ان العلماء المعارضين لهؤلاء يحاولون رد أقوالهم علميا، ولهذا كان القائلون بالتحريف لم يعارضوا أهل السنة فحسب، بل كانوا اضطروا الى المعارضة من علماء الشيعة أنفسهم. ورغم كل هذا فان إزالة فكرة عاشت وقويت طوال العصور في المجتمع الشيعي كفكرة تحريف القرآن لم يكن من السهل للمعتدلين من علماء الشيعة مقاومتها. فمن أجل ذلك من الممكن أن نلتقي مع أناس اذا كنا في مجتمع شيعي يعتقدون بتحريف القرآن حقا، ولكن من الصعب كما قلنا آنفا العثور على مثل هذه الآراء من علماء الشيعة، وهذا أمر يحبذه كل مسلم سليم العقيدة".[49]

وقد رد الدكتور محمد باقر حجتي، استاذ كلية الالهيات والمعارف الاسلامية في طهران، على الدكتور يلماز، فقدم ورقة تحت عنوان (جمع القرآن في عهد رسول الله (ص)) قال فيها:"ان استعمال كلمة المصحف في عهد رسول الله (ص) بلسانه ولسان معاصريه يوضح لنا بجلاء ما ذهب اليه كبار علماء الشيعة بشأن جمع القرآن في زمن النبي... الى غيرها من الروايات التي وردت فيها كلمة المصحف أو المصاحف، واستعملت في زمان حياة رسول الله ، وكلها تدل بصراحة أن القرآن جمع في حياته المباركة، لأن المصحف يعني المجموعة المدونة بين الدفتين... وان الرواية التي تتحدث عن النقاش الذي دار في زمن أبي بكر بشأن البحث عن اسم للقرآن في زمانه

---

[48] - (الميزان 12، 116)

[49] - الندوة العلمية الدولية حول التشيع ، ص 201 – 202

كاذبـــة، لأن الرواية تـــذكر أن كلمة المصـــحف أخـــذت من اللغة الحبشية".[50]

واستعان الدكتور حجتي بما قاله الامام الخوئي حـول موضـوع تحريف القــرآن، فقــال:"من الضــروري أن نــذكر ملخص ما بينه الخوئي في هذا الصدد، إذ قـال: علينا أن نبحث عن مـداليل هـذه الروايات، وهي طوائف:

الطائفة الأولى: الروايـات الـتي تـدل على التحريف بعنوانـه، وأجيب عن هذه الروايات بأن الظاهر من بعضها تفسـير التحريف باختلاف القراء، والمراد بالتحريف في بقية الروايات حمل الآيات على غير معانيها.

الطائفة الثانية: الروايات الـتي دلت على أن بعض الآيـات قد ذكرت فيها أسماء الأئمة عليهم السلام، وهي كثـيرة. أما الجـواب عن الاســـــتدلال بهـــــذه الطائفة ان بعض التنزيل فيها من قبيل التفسير وليس من القرآن نفسه، فلا بد من حمل هـذه الروايـات على ان ذكر أســـماء الأئمة عليهم الســـلام في التنزيل من هـــذا القبيـــل، واذا لم يتم الحمل فلا بد من طـــرح هـــذه الروايـــات لمخالفتها للكتاب والسنة والأدلة النافية للتحريف.

الطائفة الثالثة: هي الروايات التي دلت على وقـوع التحريف بالزيــادة والنقصــان، وان الأمة بعد النــبي (ص) قد غــيرت هــذه الكلمـات وجعلت مكانها كلمـات أخـرى. الجـواب عن الاسـتدلال بهـذه الروايــات – بعد الغض عما في ســندها من الضــعف – انها مخالفة للكتاب والسنة، ولإجماع المسلمين على عدم الزيادة في القرآن، وان مجموع ما في الدفتين كله من القرآن. وممن ادعى الاجماع الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والشيخ البهـائي وغـيرهم من أعاظم علماء الشيعة.

الطائفة الرابعة: هي الروايـات الـتي دلت على التحريف في القــرآن من حيث النقيصة فقــط. والجـواب عن الاسـتدلال بهـذه الطائفة أنه لا بد من حملها على معنى الزيادة في مصـحف أمـير المؤمنين عليه السلام من أنها كـانت تفسـيرا بعنـوان التأويل وما يؤول اليه الكلام، أو بعنوان التنزيل من الله شرحا للمراد.

وان لم يمكن الحمل في جملة منها فلا بد من طرحهــا، لانها مخالفة للكتاب والسنة.

على أن أكـثر هـذه الروايـات بل كثيرهـا، ضـعيفة السـند عند الشـيعة، وان جملة منها قد نقلت من كتـاب (التنزيل والتحريـف) أو (القراءات) لأحمد بن محمد السياري الذي اتفق علماء الرجال من الشيعة على فساد مذهبه وانه ضعيف الحــديث مجفو الرواية

[50] - المصدر السابق، ص 206

وكثـير المراسـيل، ويقـول بالتناسـخ، وأخذ المحـدث النـوري عنه كثـيرا وأدرجه في كتـاب (فصل الخطـاب) فلهـذا لا يعتد علمـاء الشيعة على ما في هذا الكتاب "من تحريف كتـاب رب الأربـاب" وحرموا طبع هذا الكتاب وكأنهم عـدوه من جملة كتب الضـلال... مضافا الى ذلك كله، عندنا عشرات من الكتب الـتي دونها علمـاء الشيعة الامامية في نفي التحريف أو رد من قال به".[51]

وأضاف الدكتور حجتي:" ان الروايات التي وردت في الجوامع الحديثية السنية في هذا الصـدد كثـيرة جـدا، الـتي تـدل بصـراحة على أن القـــرآن أصـــيب بـــالتحريف في حد واســـع، ولكنا نحن معاشر الشيعة لا نعتد بهذه الروايـات السـنية ولا الروايـات الـتي نجـدها في الجوامع الحديثية الشـيعية لأن جل هـذه الروايـات بل كلها موضوعة أو مؤولة عند الفريقين، ولـذلك لا نتهم أهل السـنة بـــأنهم يقولـــون بـــالتحريف، كما ينبغي لأهل الســـنة ان لا يتهمونا بالقول بالتحريف.

وأخيرا أقول:لما كان المدى الزمني لنبوة الأنبياء عليهم السلام محدودا لم يبق شيء من كتبهم وصحفهم الأصلية، بل أبيدت كلها من صفحة الدهر، ولكن المدى الزمني لنبوة نبينا غير محدود، بل يسـتمر الى يـوم القيامة بقي كتابه مصـانا عن التحريف محفوظا من أي تصرف.

ان القرآن المجيد الـذي هو سـندنا في التـدين بـدين الاسـلام واحد عنـدنا جميعـا، وليس بيننا أي خلاف – مهما ضـؤل – بشـأن كتابنا الســماوي، وعلى الــرغم من أن بعضــنا يتهم البعض الآخر بالاعتقـاد بـالتحريف فاننا عمليا نتلو قرآنا واحـدا، ونعمل بقـرآن واحد، ونستند الى قرآن واحد...

وليس بين أتبـاع الكتب السـماوية سـوى المسـلمين الـذين هم بالرغم من اختلافهم في الأسماء والمذاهب والفـرق والطوائف – يحملـون نظـرة واحـدة ومسـلم بها بالنسـبة لكتـابهم السـماوي القرآن المجيد الموجود عند جميع الفرق الاسلامية، والـذي يفتخر باتباعه المسلمون كافة.

ان القرآن الذي يتلوه الشـيعي ويتلـوه السـني، القـرآن الـذي يتلـوه الشـيعي الامـامي والزيـدي والاسـماعيلي، وكـذلك القـرآن الذي يتلـوه السـني الحنفي والشـافعي والمـالكي والحنبلي هو لا يختلف في كلمة ولا حرف".[52]

وتسـاءل قـائلا:"أفلا نجد في بقـاء القـرآن محفوظا من كل تحريف عند جميع الفرق الاسـلامية، ومصـانا في وحدته بيننا نحن

---

[51] - المصدر السابق، ص 208

[52] - المصدر السابق، ص 210

أمة الاســـلام درسا نعتـــبر به يحملنا على أن نســـعى في توحيد الكلمة؟ ألا تـدفعنا تلك الحقيقة يعـني وحـدة القـرآن الكـريم عند جميع الفـرق الاسـلامية الى عـدم التلـويح والتشـهير بالروايـات المتحدثة عن التحريف المذكورة في كتب حديث الفريقين، والتي هي بعضها ضـعيف وبعضـها قابل للتأويل وان لا يتهم بعضـنا بعضا بالتحريف. ونحن لا نرى من أقدم العصور الى الآن بين مصـاحفنا أي اختلاف، وليس بين ظهرانينا نحن الشيعة والسنة أي مصـحف آخـر، واذا وجد في مصـحف أي اختلاف مع المصـاحف المتداولة نعتبره محرفا".[53]

وقد أكد الدكتور علي أوزك، في الندوة العالمية حول الشيعة، التي عقـدت في اسـطمبول، ان الشـيعة يؤمنـون بـالقرآن الـذي انزل على محمد، ومع هذا فان هناك بعض اختلافات حـول ثبـوت القرآن ومحتواه. الا ان شيعة اليوم تؤمن بنفس المصـحف الـذي يجمع عليه في العالم الاسلامي. وقـال:"إننا لم نعـثر على نمـوذج يختلف محتواه مع القرآن الذي بين أيدينا، لا في ايران ولا في أي بلد آخر من خلال بحثنا الـذي قمنا بـه. اذن ليس هنـاك خلاف بين أهل السنة والشيعة حـول أصل القـرآن، ولكن الخلاف في تأويله وتفسيره".[54]

وكذلك أكد الدكتور عوني إلخان:" ان الشـيعة الامامية يقبلـون اليـوم المصـحف الموجـود بين أيـدينا من الحقيقة الظـاهرة أيضا على أن خصوم الشـيعة لا يسـتندون في مـزاعمهم على أي دليل قوي. ومن الممكن ان سبب نشأة التهم بأن الشـيعة لا يعتقـدون المصحف الموجود قرآنا تاما روايات الكليـني وما يشـبهها انه "ما ادعى أحد من النـاس أنه جمع القـرآن كله كما أنـزل الا كـذاب ، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعـــالى الا علي بن أبي طـــالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السـلام".[55] ولا شك ان حل هذه المشـكلة ليس صـعبا بشـرط امعـان النظر في كتب علمـاء الشـيعة المعـروفين. يقـول الشـيخ المفيـد: وقد قـال جماعة من أهل الامامة انه لم ينقص كلمة ولا آية ولا سـورة ولكن حـذف ما كـان مثبتا في مصـحف أمـير المؤمـنين (ع) من تأويله وتفسـير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كـان ثابتا مـنزلا وان لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز، وقد يسـمى تأويل القرآن قرآنا. (المفيد، أوائل المقالات، 67، و68).[56]

---

[53] - المصدر السابق، ص 211

[54] - المصدر السابق، ص 242

[55] - الكليني ، الأصول من الكافي 1/ 441

[56] - الندوة العلمية الدولية حول التشيع ، ص 436

وقد علق السيد مهدي الحسيني الروحاني، على كلام الدكتور عوني إلخان، وخاصة قولـه:"بـأن الشـيعة الامامية يقبلـون اليـوم المصـحف الموجـود الخ..." فقـال:" ان فيه إشـعار بـأن الامامية يقبلون اليوم المصحف الموجود وأما في قـديم الزمـان فكـانوا لا يقبلونه، وهذا كذب وافتراء مـأثور يكـرره خصـوم الشـيعة فوصل الى كاتبنا فأظهر بعض الحق وبقي في ذهنه الافتراءات المأثورة، والحق أن يقال: ان الشيعة أولاً وآخراً لا يعرفون مصحفا غـير ما بأيديهم وبأيدي سائر المسلمين".[57]

ولا اعتقد ان دعـوى قـول الشـيعة بتحريف القـرآن، تسـتحق التوقف عندها، بعد نفي الشيعة عبر التاريخ لها ، واصرارهم على القول بسلامة القـرآن وحفظه من قبل الله تعـالى. وهكـذا يمكن القول بقوة: إن جميع المسلمين والحمد لله ومن جميع الطوائف يشتركون بالالتزام بعقيدة واحدة ثابتة لا خلاف بينهم حولها.

المبحث الخامس: التقية

وبعد ان تحدثنا عن الغلو والغلاة، لا بد أن نشير الى موضوع مهم في العلاقات الشيعية السـنية، وهو موضـوع "التقيـة" الـذي لعب دورا سلبيا في تعكير العلاقات بين الطرفين، وأصـبح عقـدة لـدى الكثير من أهل السنة في التعامل مع اخـوانهم الشـيعة. حـتى أن بعض السـنة يتهمـون أي شـيعي يقـترب منهم ويعلن تخليه عن الأفكـار المتطرفـة، أو يعلن احترامه للصـحابة مثلا، بأنه يمـارس التقيـة. وبـالرغم من أني شخصـيا أعلنت رفضي للفكر الامـامي ولمبدأ التقية، وكتبت مفنـدا للكثـير من النظريـات الإماميـة، فقد واجهت تشـكيكا من بعض السـنة بحقيقة مـوقفي. وقد أشـار الدكتور محمد سعيد رمضان البـوطي، في كلمته الـتي ألقاها في الندوة العلمية الدولية عن الشـيعة والتشـيع في اسـطمبول، الى موضـوع "التقيـة" وأزمة الثقة بين الطـائفتين، وقـال:" عنـدما لا تكون الثقة موفورة فان المساعي الـتي تبـذل من اجل التقـريب لن تكـون ذات جـدوى. ولكي تتحقق هـذه الثقـة. لا بد من شـيء واحد لا ثـاني لـه، **هو أن يعلن اخواننا الشـيعة أن عهد التقية قد مضى وولى**. كـانت التقية حاجة ضـرورية في التاريخ وكان أمـرا لا بد منه لا سـيما في العهد الأمـوي، ذلك لأن الضرورات تبيح المحظورات ، واننا في يومنا هذا لا نحتـاج اطلاقا الى أن نخفي شـيئا ونظهر شـيئا آخـر. من أجل أن تشـيع الثقة

[57] - المصدر السابق، ص 447

وتتـألق فيما بيننا دعونا نتصـارح وليكن عربـون هـذا التصـالح أن نعلن ان عهد التقية قد ولى".[58]

ولذلك فان من الضروري القاء الضوء على حقيقة "التقيـة". وهل تشكل لدى الشيعة مبدأ أساسيا أو جزءا من الـدين؟ وهل لا يزالوا يمارسونها الى اليوم؟

يستند السنة في اتهامهم للشيعة بممارسة التقية، على حديث مشـهور لـديهم، وهو قـول الامـام الصـادق :" التقية ديـني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية لـه". ويـبرر علمـاء الشـيعة عـادة هـذا الحديث بأنه مبدأ قرآني وعقلي يلجأ اليه كل من يقع تحت ضغط شديد أو يخاف على نفسه أو ماله، وقد أعذر الله عمـار بن ياسر الذي تفوه بكلمة الكفر أمام كفـار قـريش تحت التعـذيب، فقـال تعالى:" الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان". النحل 106 وقال:" لا يتخذ المؤمنون الكـافرين اوليـاء من دون المؤمـنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شـيء الا ان تتقـوا منهم تقـاة ويحـذركم الله نفسه والى الله المصـير". آل عمـران 28 وان الشـيعة قد لجئوا الى "التقية" اضطرارا في ظروف خاصة، وانهم لم يحتاجوا الى ممارستها في ظروف أخرى، ولا يمارسونها اليوم.

وإذا كان الشيعة قد مارسوا "التقية" فعلا في ظـروف غـابرة، وعندما كانوا شـلة صـغيرة، فانه ليس من المعقـول أن يسـتمروا في ممارسة "التقية" بعد أن أصبحوا طائفة كبـيرة تضم الملايين، وشعوبا كبيرة. فان قوانين الأحزاب السرية لا تنطبق على قوانين الأمم. ومــاذا يمكن أن يخفــوا؟ وقد نشــروا كتبهم وأفكــارهم ونظرياتهم منذ مئات السنين؟

ولكن المشــكلة – في الحقيقة – لا تكمن هنــا. ولا أعتقد ان الشيعة بصورة عامة كـانوا يمارسـون التقية ، أو يعرفونهـا، فضلا عن أئمتهم من أهل الـبيت. وانما الصـقت بهم ظلما وعـدوانا من قبل الغلاة الـذين كـانوا يدسـون أنفسـهم في صـفوف الشـيعة، ويـدعون الانتمـاء الى مـذهب أهل الـبيت، وهم منهم بـراء، حيث كانوا يحاولون نسبة مقـولات متطرفة ونظريـات مغالية الى أئمة أهل الـبيت كـدعوى النبـوة أو الالوهيـة، أو حـتى الامامة الالهيـة، والعصــمة وما شــابه من الأمــور الــتي لا يعرفها أهل الــبيت، وينكرونها أشد النكـران علنا وأمـام النـاس، ويسـيرون بسـيرة

---

[58] - المصدر السابق، ص 727

مضـادة لكل مقـولات الغلاة من مختلف الأصـناف. فكـان هـؤلاء يضطرون الى تـبرير التنـاقض الظـاهر بين أقـوال الأئمة من أهل الـبيت وانكـارهم السـافر لمقـولاتهم الباطلـة، بالادعـاء بـأن أهل البيت يمارسون "التقية" ويعلنون غير ما يبطنون.

وحسبما يقول الـدكتور موسى الموسـوي في كلمته في نـدوة اسطمبول عن الشيعة والتشيع:" ان أئمة أهل الـبيت لا يمكن أن يفكــروا بالتقية بــذلك المعــنى ناهيك من أن تمر بخلــدهم. وان التقية هي المصيبة التي انبثق منها كل اعوجـاج وتحريف وبدعـة، ظهرت في عقيدتنا نحن الشيعة الامامية، فبالتقية فسرنا الــ"لا " بـ "نعم" والـ"نعم" بـ "لا". وبالاستناد عليها جعلنا لظواهر الأعمال بواطنا، ولظواهر الكلام معان، لم يقصدها قائلها. وبها قضينا على حجية ظـواهر الكتـاب ونصـوص القـرآن وسـنة الرسـول وعمل الامــام علي وأقواله وعمل الأئمة وأقــوالهم وفســرنا النصــوص الصريحة حسب رأينا ورغبتنـا. ان "التقيـة" هو التكـييف القـانوني للاجتهاد أمـام النص حسب الأهـواء والنيـات والأغـراض ، وآخر ما اســتطيع أن أقوله في التقية ان دور التقية في تحطيم الكيـــان الفكري للانسان هو دور المخدر في تحطيم الكيـان الإرادي لـدى الانســان، فكل من ســلك طريق المخــدرات يختلط عليه طريق الخير والشـر، هكـذا فـان من يسـلك طريق "التقيـة" فقد يختلط عليه طريق الحق من الباطل، ولـذلك أرغب تسـمية "التقيـة" بــ "أفيون الشيعة".[59]

واني اختلف مع الدكتور الموسوي، في نسبة التقية الى عموم الشيعة، وأحصرها تاريخيا بالغلاة والمتطرفين الذين كانوا يؤلفون لهم نظريـات خاصة وينسـبونها الى التشـيع، ثم يقومـون بقـراءة التاريخ المضاد لنظرياتهم قراءة معكوسة، فيقلبون الأبيض أسودا والأسود أبيضا. ولا يوجد دليل على تبني عامة الشـيعة لمقـولاتهم عـبر التـاريخ، فضلا عن الـتزامهم بممارسة التقية في التعامل مع اخوانهم المسلمين.

ان من الخطأ الكبير تحميل جماهير الشيعة بمختلف تياراتهم وأحزابهم وطوائفهم مسئولية وجود حديث مزور وغير مفهوم عن "التقيـة" في كتب الحـديث الغـابرة، واعتبـار ذلك مبـدءا أساسـيا وجـزء من عقيـدتهم، والنظر اليهم بشك وريبة الى يـوم القيامـة، وإغفــال التطــورات الهائلة والجذرية الــتي حــدثت وتحــدث في

---

[59] - المصدر السابق، ص 743

صفوفهم، وعدم تصديقهم في التخلي عن مبدأ التقية أو ممارسته.

وإذا كنا نبحث عن الثقة في العلاقات بين الشيعة والسنة، فلا يمكن أن ننتظر من الشيعة أن يصدروا بيانا يعلنون فيه تخليهم عن الإيمان بمبدأ التقية، كما طالب الشيخ البوطي، لأن الشيعة ليسوا حزبا سياسيا، أو عصابة صغيرة، أو فئة محدودة يلتزم جميع أعضائها بما يقرره الرئيس، وسوف نظل نرى من الشيعة من يردد ذلك الحديث، ولكن المهم هو نظرة الشيعة العامة الى مبدأ التقية وإمكانية اعتماده منهجا في تحليل التاريخ، وتقييم أقوال الأئمة من أهل البيت، وتصديق المواقف والسياسات الظاهرة لهم، أو عدم ذلك. وهذه قضية تهم الشيعة قبل غيرهم، لأنها تشكل أداة مهمة لفهم الفكر الشيعي والتعرف على تراث أهل البيت الحقيقي، وتمييزه عن النظريات الدخيلة.

الفصل الثاني: المصادر الأساسية للتشريع

1- القرآن الكريم

إن عامة السنة والشيعة يكاد يكونون متفقين تماما على حجية القرآن الكريم ، فان القرآن الكريم يعتبر المصدر الأول والأقوى عند السنة والشيعة، الذي تعرض عليه الأدلة الأخرى ويضرب بعرض الجدار كل ما خالفه منها. ويشكل البحث حول حجية القرآن من أهم مباحث علم الأصول عند الشيعة، ولا سيما بحث ظواهر الألفاظ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي والعام والخاص والمطلق والمبين والمفهوم والمنطوق، والناسخ والمنسوخ، وما الى ذلك.

وقد كان بعض الأخباريين في الزمن الأول يشكك في حجية العمل بظواهر القرآن، فلا يجيز التعامل المباشر معه وفهمه الا من خلال روايات أهل البيت وتفسيرهم له، ولكن نشوء المدرسة الأصولية (الاجتهادية) في القرن الخامس الهجري على يدي المشايخ الثلاثة المفيد والمرتضى والطوسي، وسيادة هذه المدرسة في القرون الأخيرة، أدى الى تراجع الأخباريين وتراجع القول بعدم حجية القرآن أو عدم جواز التعامل المباشر

معـه. وتعزيز القـول باعتبـار القـرآن المصـدر الأول والأسـاس للدين باعتباره مصدرا قطعيا متواترا لا يضاهيه أي مصدر آخر.

ومع الأسف الشديد فان كثيرا من البـاحثين السـنة لا يلتفتـون في دراســتهم للشــيعة الى الصــراع بين المدرســتين الأخبارية والأصــــولية، والى تخلي الأصــــوليين، وهم الغالبية العظمى من الشيعة، منذ قرون عن كثـير من مقـولات الأخبـاريين. وربما كـان من هؤلاء الدكتور علي أوزك الـذي قـال:"ان الشـيعة قد تعمـدوا تأويل الآيات والأحاديث حسب رأيهم كلما لم يجدوا في القرآن ما يؤيد آرائهم المذهبية من الأدلـة...ان الشـيعة تسـتند غالبا على ما تنقله من الروايات عن أهل الـبيت، لأنهم يعتقـدون عصـمة الأئمة وأهل البيت، ولهذا السبب يهتمون بروايات أهل البيت في تفسير القــرآن ويقولــون:ان الله قد أوكل مهمة تفســير القــرآن الى الامام".[60] وأضاف:" ان الشـيعة الامامية الاثـني عشـرية تـرى ان في القــرآن ناســخا ومنســوخا ومحكما ومتشــابها وخاصا وعاما ومقطوعا وموصولا وفـرائض وأحكاما وسـننا وآدابا وحلالا وحراما وعزيمة ورخصة وظارها وباطنا وحــدا ومطلعــا. أما العلم بهــذه المفاهيم وتميـيز أحـدها من الآخر فلا يمكن لأحد الا لمن كـان قد نزل الوحي في بيته، وهو ليس الا النبي وأهل بيتـه. وقد روى عن رسول الله (ص) انه قال: من فسر القـرآن برأيه فقد هلـك، وان أصاب الحق ، وفي رواية: فقد كفر". واستشهد أوزك بقـول الملا محسن الكاشــــاني في المقدمة الثانية لتفســــيره المســــمى بالصــافي:"ان علم القــرآن عند أهل الــبيت... وفصل ما بينكم ونحن نعلمه... وباسناده عنه عليه السـلام قـال: نحن الراسـخون في العلم ونحن نعلم تأويله". وما رواه العياشي في تفسـيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "انا أهل البيت لم يــزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله الى آخره".[61]

وبــالرغم من وجــود هــذه الروايــات الـتي تنسـجم مع نظرية الامامــــة، والــــتي تعطي للأئمة من أهل الــــبيت دور المفسر والمترجم للقرآن، فان الشـيعة عـبر التـاريخ لم يلـتزموا بتفسـير خــاص للقــرآن، بعيــدا عن اللغة العربية وظــواهر القــرآن، ولم يحتفظـوا بتأويل خـاص، الا في تفسـير بعض المفـردات القرآنية مثل (الكتاب) أو (الصراط المستقيم) .

وهذا ما يسجله الدكتور علي أوزك، عندما ينقل عن الطبرسي في تفسير قوله تعالى:"اهدنا الصـراط المسـتقيم"، ان الصـراط المستقيم هو النـبي (ص) والأئمة الـذين احتلـوا مكانـه. أو عنـدما

---

60 - المصدر السابق، ص 243

61 - المصدر السابق، ص 243

ينقل عن صاحب (الصافي) أن معـنى الصـراط هو الامـام، الـذي يشـكل الطريق الى معرفة الله في الـدنيا. وكـذلك عنـدما ينقل عن الطباطبـائي ، الــذي يفسر الصــراط المســتقيم برواية عن الصادق يقول: انه أمير المؤمنين علي عليه السلام.[62]

ويضــرب الــدكتور أوزك أمثلة أخــرى على التأويل الشــيعي للقــرآن، فينقل عن (الصــافي) في تفســير قوله تعــالى "ذلك الكتــاب لا ريب فيه هــدى للمتقين" نقلا عن الصــادق: ان ذلك اشـارة الى علي، والكتـاب عبـارة عنـه. وان المـراد بالكتـاب هو كتـــاب علي. كما ينقل عنه أيضا في تأويل "هـــدى للمتقين" عن الصادق أنه قال: المتقون شيعتنا.[63]

2- السنّة النبوية

أما السنة ، فلا يوجد حولها خلاف بين المسلمين مبـدئيا، حيث يتفق الشــيعة والســنة على ضــرورة الأخذ بما ثبت عن رسـول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) ولكن الخلاف يـدور حول طرق أخذ السنة، من الصـحابة؟ أم من أئمة أهل الـبيت؟ وهل أن أحاديث أهل البيت ناقلة للسنة؟ أم جزء منها؟

ومن المعروف أن أهل السنة كانوا يختلفون فيما بينهم الى فــريقين هما "أهل الــرأي" بزعامة الامــام أبي حنيفــة، و"أهل الحديث" بزعامة الامام أحمد بن حنبل، وكـانوا يختلفـون حـول إطار (السنة) هل انها تعـني السـنة العملية المتـواترة القطعية فقـط؟، أم تشـمل السـنة القوليـة، وأخبـار الآحـاد، أو الأخبـار الضعيفة المشـكوك فيهـا. واذا ما راجعنا كتب الحـديث السـنية فانا نجد بينها اختلافا كبيرا في كمية الأحاديث الـتي تضـمها بين عـدة مئـات أو عـدة آلاف، أو عشـرات بل مئـات الألـوف من الأحـاديث. ورغم اتفـاق أهل السـنة على اعتبـار كتب البخـاري ومسلم وغيرهما من الصحاح، فانه لم يـزل ولا يـزال يوجد في أهل الســنة من يشــكك ببعض الأحــاديث او ينتقد نســبتها الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

أما الشيعة، فقد كانوا بصورة عامة يشككون بكثير من الروايات المنتشرة في العهد الأموي، ويرفضون خصوصا الأحاديث الواردة عن طريق أبي هريرة ومعاوية بن أبي

---

62 - المصدر السابق، ص 244

63 - المصدر السابق، ص 244

سفيان وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومروان بن الحكم، وسمرة بن جندب، وأبي الغادية قاتل عمار، ولم يكونوا يعتقدون بعدالة الصحابي بصورة مطلقة، بل يميزون بين العادل والفاسق والمؤمن والمنافق. ويروي الشيعة حديثا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في جواب سائل سأله عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال: "إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً. ولقد كُذِّبَ على رسول الله **(صلى الله عليه وآله وسلم)** على عهده، حتى قام خطيباً، فقال: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال، ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم**)** متعمداً. فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوا قوله. ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم**)**، رأى، وسمع منه، ولقف عنه، فيأخذون بقوله. وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك. ثم بقوا بعده **(**عليه وآله السلام**)**، فتقربوا إلى أئمة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولوهم الأعمال، وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا، إلا من عصم الله".[64]

ونظرا، لاتهام الشيعة الامامية لمعظم الصحابة، بالانقلاب على أهل البيت واغتصاب حقهم في الخلافة، فقد اتخذوا موقفا سلبيا منهم كطريق ناقل للسنة، وربما اتهموا بعض الصحابة والرواة وجامعي الأحاديث بكتمان الاحاديث المتعلقة بفضائل أهل البيت، أو بحقهم في الامامة. وفي هذا يقول الدكتور محمد جمال صوفو أوغلي ، المشارك في الندوة العلمية الدولية عن الشيعة، في ورقته عن (الحديث عند الشيعة الامامية): "ان الموضوع الذي يكاد يتفق عليه كثير من علماء الشيعة (كما يقول هاشم معروف الحسني، في دراسات ص 19، وصادق نجمي، في أضواء على الصحيحين، ص 87) هو أن الخليفة عمر وبعده البخاري ومسلم وأمثالهما من علماء الحديث لم يودوا سماع جماهير الناس بعض الأحاديث الواردة في علي بن أبي طالب وأهل البيت. وأما عمر فقد تشدد وتحسس كثيرا في

[64] - نهج البلاغة ج:2 ص:188 ـ 189، واللفظ له. ينابيع المودة ج:3 ص: 409 ـ 410.

موضـوع رواية الحـديث. وأما من ذكر في علمـاء الحـديث فلم يدرجوا في كتبهم الاحاديث الواردة لصالح علي وأهل البيت".[65]

ومن هنا قصروا تلقيهم للسنة على أئمة أهل البيت كالامـام زين العابدين علي بن الحسين و ابنه الامام محمد البـاقر، و ابنه الامـام جعفر الصـادق، فيما ذهب بعض الشـيعة، وهم الاماميـة، الى اعتبـــار أقـــوال الأئمة من أهل الـــبيت أو آرائهم الاجتهادية مكملا للسـنة، باعتبـار أن أهل الـبيت هم العـترة أو أحد الثقلين اللـذين أمر النـبي باتباعهما الى جـانب القـرآن الكـريم، حسـبما يقــول الحــديث النبــوي:" اني تــارك فيكم الثقلين: كتــاب الله وعترتي".

ويقول الدكتور أوغلي:" ان الشيعة يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور باستمرار ابنته فاطمة وزوجها عليا ويتحدث معهما، وكان الامام علي يكتب ما يقوله في صحيفة. وان صحيفة علي هي أصح كتب الحـديث المتداولـة، حيث ان هـذا الكتـاب قد انتقل فيما بعد الى الأئمة المعصومين. ومن حيث ان النـبي (ص) أملى عليا عنه هذا الكتاب فهو يحتوي على كل شيء. ومن ثم ان الأئمة المعصومين يعلمون كل شيء. فلـذلك لا مجـال للشك في الأحاديث التي روتها الشيعة، فهي على زعمهم انتقلت الى الأئمة بشكلها الذي كتبه علي رضي الله عنه. ويرى بعضـهم أن أول من قام بتدوين الأحاديث هو مولى النـبي (ص) أبو رافع الـذي هو من شخصيات الشـيعة الممتـازين. ويـروى أن له كتابا سـماه "كتـاب السنن والأحكام والقضايا".[66]

وقد قام الشيعة بتـدوين أحـاديث أهل الـبيت في زمـانهم فيما يعرف بالأصول الأربعمائة، التي ضاع كثير منهـا، فقـام الشـيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليـني (ت329هــ) بجمع ما تيسر منها في القـرن الرابع الهجـري في كتابـه: "الكـافي". وهو يتـألف من قسمين: الأصول والفروع، والأصول كما يفهم من اسـمه يحتـوي على الأحاديث التي تتعلق بالاعتقـاد أو الإيمـان. أما قسم الفـروع فذكر فيه الأحـاديث المتعلقة بالعمل والأحكـام. ويحتـوي مجمـوع الكتاب على 34 كتابا و346 بابا. وعلى حوالي 16 ألف حديث.[67]

ثم قام من بعـده الشـيخ محمد بن علي بن بابويه الصـدوق (ت 381هـ) بتأليف "من لا يحضره الفقيه". وهو يحتوي على أكثر من

---

[65] - الندوة العلمية الدولية حول التشيع ، ص 291 – 292

[66] - المصدر السابق، ص 291 – 292

[67] - المصدر السابق، ص 292

تسعة آلاف حديث، ويتميز بحذف الأسناد.

وجاء من بعدهما الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (380 -ـ 460) فألف "تهذيب الأحكام" و"الاستبصار فيما اختلف من الأخبار". وقد ذكر فيهما بعض الاحاديث التي لم تذكر في الكافي.[68]

وشكلت تلك الكتب مرجعاً مهما للفقهاء الشيعة إلى أن دونت في القرن الحادي عشر ثلاثة كتب مطولات، وهي: "وسائل الشيعة في أحكام الشريعة" لمحمد بن الحسن الحر العاملي (1032-1104) وعليه المعوّل في الفقه منذ تأليفه و"الوافي" لمحمد محسن الفيض الكاشاني (توفي 1091) و"بحار الأنوار" لمحمد باقر المجلسي (1027 ـ 1111) فضُمّت هذه الموسوعات الثلاث إلى تلك الكتب الأربعة، مع تفاوت بينها كما بين تلك الأربعة، فإن الكافي من بين الأربعة اختص بجمع الروايات في حقل العقيدة والشريعة، فيعتبر جامعاً كصحيح البخاري ومسلم والترمذي عند الجمهور، والثلاثة الباقية خاصة بالسنن والأحكام. ومن بين الثلاث المتأخرة كتاب "الوسائل" أيضا خاص بالسنن والأحكام، و"الوافي" جامع لأحاديث الكتب الأربعة فقط، فهو باعتبار اشتماله لروايات "الكافي" يعد جامعا، و"البحار" جمَع روايات غير الكتب الأربعة في جميع الأصعدة من الأحكام والعقائد والتاريخ والمغازي والأخلاق والآداب وغيرها، فهو يعد جامعا أيضا، إلا أن اصطلاح "الجامع" و"السنن" الشائع عند أهل السنة ليس متداولاً بين الإمامية.

وقد ضمت إلى تلك الكتب في القرن الرابع عشر الهجري موسوعة باسم "مستدرك الوسائل" للشيخ ميرزا حسين النوري (ت 1320) استدرك فيه مافات صاحب "الوسائل" أو مالم يرد ذكره من الأخبار، وموسوعة أخرى باسم "جامع الأحاديث الفقهية" ألفت باشراف الإمام البروجردي، وقد جمع فيها كل مافي تلك المجاميع مما يرتبط بالأحكام ، مع الجمع والإدغام بين الأسانيد والمتون.

وبينما كان الأخباريون من الشيعة يقبلون الأخبار بسهولة وتوسع، قام الأصوليون منهم بتنقية الروايات وتمحيصها والتدقيق فيها، ولم يقبلوا الأحاديث الا بشروط. وقد قسّموا الأحاديث إلى متواتر وغير متواتر، وغير المتواتر إلى خبر واحد ومستفيض أو مشهور أو ما قطع بصحته بقرائن، وقسموا خبر

[68] - المصدر السابق، ص 293

الواحد إلى صحيح وموثّق وحسن وضعيف. ونشأ لديهم علم خاص لمعرفة رجال الحديث سموه "علم الرجال" كما سموا علم مصطلح الحديث "علم الحديث" أو "علم الدراية". ولا يزال الباب مفتوحا لديهم أمام حركة النقد في الوقت الذي لا يعتبرون اي كتاب من كتب الحديث كتابا صحيحا ، وانما يخضع كل ما فيها للنقد والمراجعة والتمحيص، حسب اجتهاد كل مجتهد.

وقد دار في صفوف الشيعة الامامية نقاش طويل حول حجية خبر الواحد الذي ليس قطعياً - وأكثر الأحاديث عندهم من هذا القبيل – فاحتجوا لها بآيات من الكتاب وبما ثبت عندهم من السنة أو الإجماع - وقد طال البحث حوله نقضاً وإبراماً، لما ثبت عند القدماء من الامامية "أن خبر الواحد لا يجدي علماً ولا عملا" أي لا اعتبار به لا في حقل العقيدة ولا في حقل الشريعة. وهذا مقابل رأي الاخباريين الذين كانوا يرون أن كل مافي الكتب الأربعة أي: الكافي ومن لا يحضره الفقيه و التهذيب والاستبصار، قطعي الصدور، حيث كان الأصوليون يرون ضرورة إثبات صحة ماجاء فيها أو في غيرها من كتب الحديث من الأحاديث غير القطعية. ولذلك ليس لدى الشيعة كتاب يسمى بـ "الصحيح" كما عند أهل السنة، بل كل حديث في هذه الكتب الأربعة أو في غيرها قابل للنقاش حتى تثبت صحته.

ويعترف الشيعة بأن كثيرا من الروايات الواردة في الكتب الأربعة، اذا لم يكن أكثرها، غير صحيح، أو ضعيف أو حسن. ورغم ذلك فان الشيعة يعتبرون الأحاديث الواردة في الكتب الأربعة من أصح الروايات بالنسبة الى الأحاديث الواردة في غيرها.

وإذا ألقينا نظرة على أحاديث الشيعة لوجدنا معظمها يصل الى الأئمة من أهل البيت، ولا توجد الا روايات قليلة جدا تنسب الى الرسول الأعظم، وذلك لأن الشيعة يعتبرون أئمة آل البيت (الإثني عشر) مصدرا من مصادر الفقه، وليسوا كمجتهدين يجوز للناس تقليدهم كما يقلدون أئمة المذاهب الآخرين ، بل يتبعونهم كأئمة من العترة الذين قال فيهم النبي (صلى الله عليه وآله) : "إني تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي".[69]

---

[69] - ومن هنا نشأ المذهب الأخباري في القرن الرابع الهجري، الذي كان يحرم الاجتهاد ويقتصر على رواية أحاديث أهل البيت باعتبارهم مصدرا سماويا مستمرا لمعالجة الحوادث الواقعة واعطاء الرأي الشرعي فيها. ولكن انقطاع الأئمة بعد "غيبة" الامام الثاني عشر "محمد بن الحسن

وهذه أهم نقطة خلافية في الحـديث بين الشـيعة والسـنة، أما النقطة السلبية الأخرى الـتي يأخـذها علمـاء السـنة على الشـيعة فهي في موضـــوع الـــترجيح بين الروايـــات ، والأخذ بما يخـــالف العامة ، حسب رواية عمر بن حنظلة الــــتي يرويها عن الامـــــام الصـادق، والـتي يقـول فيها :" قلت: فـاذا كـان الخـبران عنكم مشهورين قد رواهما الثقات عنكم؟ قال (الامـام الصـادق): ينظر فيما وافق حكمه حكم الكتـــاب والســـنة ووافق العامـــة. قلت: جعلت فـداك، أرأيت ان كـان الفقيهـان عرفا حكمه من الكتـاب والسنة ووجـدنا أحد الخـبرين موافقا للعامـة، والآخر مخالفا لهم، بأي الخبرين يؤخذ؟ قال: **ما خـالف العامة ففيه الرشـاد**".[70] وهي رواية مكذوبة وتـــــؤدي فعلا الى تكـــــــريس التفرقة بين المسلمين.[71]

وقد سجل الدكتور أوغلي هذه الملاحظـات في بحثه عن (كتب الحــديث عند الشــيعة) المقــدم الى النــدوة العلمية الدولية عن الشيعة، وقـال:" للشـيعة رأي وفهم خـاص في الحـديث. فـأقوال الأئمة الذين يعتقدون بعصمتهم تعتبر أحاديث عنــدهم، خلافا لأهل السـنة. وهـذا الفهم قد فتح في مجـال الحـديث منفـذا غـير قابل للضـبط والتحديـد. فقد ذكر في كتب الحـديث للشـيعة آلاف من

العســكري" الــذي اعتقد الشــيعة الاثنا عشــرية بولادته وغيبته في أواسط القرن الثالث الهجري، ومُضي عشرات السـنين دون اسـتطاعتهم التواصل مع الامام الغائب المعصوم دفعهم الى فتح باب الاجتهاد واستعمال القياس المرفوض سابقا لديهم.

70 - أصـــول الكـــافي ، المجلد الأول، ص 68 من كتـــاب "فضل العلم". والشيخ الطوسي ، التهذيب 6 : 301 | 845. والصدوق ، من لا يحضره الفقيه 3 : 5 | 2. والطبرسي، الاحتجاج ، ص 355

71 - يقــول الــدكتور الســيد موسى الموســوي:" ان هــذه من الروايــات الموضــوعة الــتي نســبت الى الامــام لأن عهد الامــام لم يكن عهد العامة والخاصـة، ولم يكن معروفا هـذا الاصـطلاح فلم يكن هنـاك شـيء اسـمه العامة الـتي تقابل الخاصـة، المسـلمون كـانوا آنـذاك أمة واحـدة يجمعهم الكتـــاب والســـنة ولا خاصة ولا عامـــة. وان اصــطلاح العامة والخاصة من الاصطلاحات المتأخرة الـتي يعـود تاريخها الى القـرن الرابع الهجـري، وهو نفس العصر الذي وضعت فيه هذه الروايات ونسـبت الى الامـام الصـادق. ومن الجدير بالذكر ان الخلفـاء العباسـيين الـذين عاصـروا الامـام الصـادق وحـــتى الـــذين عاصـــروا أئمة الشـــيعة الى الامـــام الحـــادي عشر الحسن العســكري، لم يتبنــوا مــذهبا من المــذاهب الأربعة المعروفة آنــذاك حــتى يضطر الامام الصادق أو الأئمة من أولاده الى العمل بالتقيـة، أو الأمر بها ، بل بالعكس من ذلك فان أصحاب المذاهب الأخـرى كـانوا مضـطهدين في عصر الخلافة العباسية المعاصرة لأئمة الشيعة".
الندوة العلمية الدولية حول التشيع ، ص 740

الأحـاديث الـتي **اخترعت** باسم الأئمة والـتي اعتـبرت أحـاديث، وبــالرغم من رفض العلمــاء الشــيعة بعد الكليــني، فقد ورد في كتابه الكافي بعض الروايات التي تتعلق بتحريف القرآن وتتضـمن الافتراءات الشنيعة على الصحابة الـذين ليس لهم أية علاقة بهـا، ولا أصل لها في الواقـع. حيث **ان هـذا يكـون مانعا أساسـيا من تأسـيس الوحــدة والتســاند بين المســلمين**. ونحن نتمنى من علماء اليوم أن ينظروا في هـذا الموضـوع الهـام تحت ضــوء العقل الســليم. وقد ظهر بعد الكليــني بعض من العلمــاء يقولـون ان القـرآن الكـريم ليس فيه تحريـف، ولكن مع هـذا ان كتـاب الكـافي لم يضع من قيمته شـيئا. وغرضـنا من النظر تحت ضــوء العقل هو هــذا: لا بد من إجــراء دراسة جدية على كتــاب الكافي حتى يتضح أن الأقـوال الـتي اعتـبرت فيه أحـاديث ليست هي أحاديث في الواقع، بل عبارة عن أقوال مخترعـة. وواضح ان دراسة قيمة مثل هــذه ســترى في العــالم الاســلامي المزيد من حسن القبول والتقدير".[72]

ورد عليه الشــيخ محمد واعظ زاده الخراســاني، وأقــرَّ ببعض ملاحظاتــه، وقــال:"ان الامامة عند الشــيعة الامامية لها جانبــان، الأول: سياسي، الثاني: علمي، ومعناه ان المســلمين يجب عليهم أن يرجعوا فيما يحتاجون اليه بعد وفاة النبي (ص) الى الأئمة من أهل بيتـه. وأول الأئمة الامـام علي عليه السـلام وآخـرهم الامـام المهــدي عليه الســلام. وهــذا الجــانب أهم من الجــانب الأول، وتكفلت الروايات ببيان هذا الجانب وهي كثيرة ومنها أن عليا باب علم النبي ، وقد رواها المحدثون من أهل السنة والشيعة. ويــأتي حديث (الثقلين) في طليعة هذه الروايات، وهو حـديث مسـتفيض بل متـواتر حيث قـال النـبي (ص) في مواقف عديـدة: اني تـارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، على اختلاف في الألفاظ وزيادة ونقصـان...وهو يـرمي الى إثبـات المرجعية العلمية لعـترة النـبي (ص). إذن الحديث عند الشـيعة الامامية وأعـني به حـديث الأئمة يستمد شـرعيته وحجيته من حـديث الثقلين وغـيره، وللتنبيه على هذين الجانبين أي القيـادة السياسـية والعلمية معا تطلق الطائفة الامامية بدل عنوان الخلافة وصف الامامة على الأئمـة، فـان عليا عنــدهم ليس حاكما سياســيا فحســب، بل هو امــام في جميع الجهات التي يحتاج اليها الأمة". وأضاف الخراسـاني:"ان الامامية يأخـذون بالرواية الـواردة عن طريق أهل السـنة عن النـبي (ص) إذا صح طريقها عندهم، كما يأخذون بروايات العترة بلا فرق".[73]

---

[72] - المصدر السابق، ص 295

[73] - المصدر السابق، ص 298- 299

وشرح الخراساني لماذا يأخذ الشيعة بأحاديث أهل البيت قائلا:"ان القسط الأكبر من أحاديث الفقه والتفسير وغيرها رويت عن الامامين محمد الباقر وجعفر الصادق ثم الأئمة من بعدهما، وكان ذلك في عصر التدوين، وقد كتبت – من دون فصل زمني في ما يقارب من أربعمائة أصل- من قبل العلماء الذين لازموا هؤلاء الأئمة. وعلم الأئمة مأخوذ عن أجدادهم حتى يصل الى النبي (ص) فلا يحدث خلل في الحديث من ناحيتهم على رأي الشيعة....وبسبب وجود الأئمة من أهل البيت (ع) بين شيعتهم ما يربوا على المائتين وخمسين سنة فان الاحاديث التي يكتبها أصحابهم كانت تعرض عليهم لتمييز الصحيح من السقيم منها حيث كانوا يرشدون أصحابهم اليها، وقد قام هؤلاء الأئمة بتسمية الكذابين من الشيعة والبراءة منهم علنا لكي يجتنب الشيعة النقل من هؤلاء الوضاعين".[74]

وأضاف الخراساني:"ان المتداول بين الشيعة في الحديث كتب كثيرة وموسوعات ضخمة، الا ان أصحها الكتب الأربعة، وبالرغم من تقديم هذه الكتب الأربعة على غيرها **الا ان الشيعة لا تطلق عليها اسم الصحاح كالصحاح عند أهل السنة،** لان في الكتب الأربعة من الأحاديث ما هو صحيح وضعيف وموثق وسقيم وقوي، وهناك مجال واسع للتمييز بينها حسب ما هو موجود من الامارات والموازين لتمييز الصحيح عن غير الصحيح. فمثلا اذا كان ظاهر الحديث دلا على وقوع التحريف في كتاب الله، فان مثل هذا الحديث اما يكون مؤولا اذا شمله التأويل أو مردود. وهكذا الحال في جميع المجالات فلا يؤخذ بحديث مخالف للقرآن والسنة القطعية، أو يكون خلاف المعقول كما هو معمول أيضا عند المحققين من أهل السنة – ولا سيما طائفة المعتزلة – في كثير من الاحاديث التي ظاهرها التجسيم والتشبيه ونحوهما".[75]

نقد كتب الحديث السنية

وبعد أن دافع الشيخ محمد واعظ زادة الخراساني عن كتب الحديث الشيعية، واعتبار الامامية أحاديث الأئمة بمثابة أحاديث الرسول الأعظم (ص) قام بنقد كتب الحديث السنية، من وجهة النظر الشيعية، وقال:"ان عدالة الصحابة كما يظهر لنا من سير الحوادث والفتن التي حدثت بعد وفاة النبي (ص) لم تكن

[74] - المصدر السابق، ص 301-302
[75] - المصدر السابق، ص 302 – 303

مطروحة على بساط البحث، ولا معترفا بها عند الصحابة أنفسهم، ولا حتى في عصر التابعين، وانما طرحت المسألة في أزمنة متأخرة ولا يعلم مبدؤها بالضبط... وأظن ان مسألة عدالة الصحابة قد طرحت بين الفقهاء في زمن متأخر للوصول الى هدفين مهمين:

الهدف الأول: طلبا للمصالحة بين فرق المسلمين المتخاصمة، والمحافظة على كرامة الصحابة الذين وقعت بينهم تلك المشاجرات كي يرتفع الخلاف بين أتباعهم الذين فرقت بينهم تلك الأحداث المشؤومة حيث وقفت كل فرقة تدافع عن مجموعة من الصحابة وتبرر لهم أعمالهم.

الهدف الثاني: ولعله الأهم هو : المحافظة على سنة النبي (ص) التي لم تجمع في كتاب كما جمع القرآن الكريم في زمن النبي الاكرم وصحابته، بل كانت السنة محفوظة في صدور الصحابة تنتقل من صدر الى صدر، ولا يمكن الوثوق بما يحدث به الصحابة عن النبي (ص) الا بعد إحراز عدالة هؤلاء الصحابة وحصول الاطمئنان بأقوالهم، بينما نرى أن أهل السنة أصروا على عدالة الصحابة أجمعين للوصول الى هذا الهدف. وأنا أقول بصراحة لولا وجود هذا الربط الوثيق بين عدالة الصحابة وبين السنة النبوية، لا داعي لنا للحديث حولهم، وما صدر منهم، الا اذا أخذنا درسا من تلك الاحداث في واقعنا السياسي الحاضر".[76]

وأضاف الخراساني:"ان المشاكل في حديث أهل السنة ليست بأقل من المشاكل في حديث الشيعة لو لم تكن أكثر ، وأنا ألخصها بشكل مفهرس:

1- عدم الوثوق بصدق وضبط كثير من الصحابة من رواة الاحاديث، ولا سيما وأنهم لم يكونوا جميعا من خاصة النبي الملازمين له، ولم يكتبوا الحديث حينذاك، وانما كان الحديث محفوظا في الصدور، على أن هناك مشكلة أخرى: من الصحابي؟ وقد بحثوا حولها طويلا.

2- المنع من ضبط الحديث ونقله، وكان هذا المنع من قبل الخليفة الثاني ودام حتى نهاية فترة بني أمية، وهذا المنع أوجب ذهاب شطر كبير من السنة كما أوجب الخلط بينها.

3- كتابة الحديث – كما هي ثابتة عند الجميع – بدأت في القرن الثاني وبشكل متفرق وفي بلدان بعيد بعضها عن البعض الآخر، ولم تكن كتابة الحديث حين بدأت بشكل جماعي ولا على شكل لجان يشترك فيها الخبراء

---

[76] - المصدر السابق، ص 300

بالحديث، بحيث يعرض حديث بعضهم على بعض ويقاس حـــديث بعضـــهم ببعض، نعم اتفق بعض ذلك في زمن متأخر.

4- شيوع الكذب حتى في عصر النبي (ص)، حيث قام خطيبا وقـال: لقد كـثرت علي الكذبة فمن كـذب علي متعمـدا فليتبوأ مقعده من النار ، على اختلاف في متن الحديث.

5- شـــيوع الاســـرائيليات قبل عصر تـــدوين الحـــديث بين التابعين، وحتى بين صغار الصحابة أمثال ابن عبـاس وأبو هريـرة، وصـعوبة التميـيز بعد ذلك بينها وبين غيرها حيث ملأت هـــذه الاســـرائيليات كتب الحـــديث والتفســـير والتاريخ".[77]

وعقب الشيخ محمد واعظ زادة الخراسـاني على دعـوة الـدكتور أوغلي لمراجعة كتب الحــديث الشــيعية، بــالقول:"اذا اعتقد الاح الدكتور أنه لا بد من إجراء دراسة جديدة على كتاب الكـافي فهل له مثل هذا الاعتقاد بالنسبة الى حـديث السـنة، فـان كـان جوابه إيجابيا ، فـأهلا وســهلا، تعــالوا نشــكل مجمعا لدراسة أحــاديث المســلمين من دون فــرق بين الفــرق الاســلامية، ونضــعها في الميزان وننقدها بمقياس عقلي أو نقلي يتسالم عليه المسلمون. وبهـذا التفـاهم نتمكن من الوصـول الى الوحـدة الاسـلامية الـتي تمناها الأخ الكاتب وينشدها جميع المصلحين في العالم الاسلامي ويتابعها بجد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية".[78]

وعلى أي حال فان الشيعة لم يعودوا يقبلون كل رواية في كتب الحديث، كما كان يفعل الأخباريون في الـزمن الأول، ولم يعـودوا يقبلون – نظريا على الأقل - أخبار الآحـاد في بنـاء عقائـدهم، الا ان تكون أحاديث متـواترة ، وأما في الفـروع فـانهم يقبلـون بهـا. ويرفض الشريف المرتضى
الأخذ بأخبار الآحاد، ويقول انها ليست بحجة ولا يبنى عليها أحكـام شرعية، الا ان الشيخ الطوسي وجل الفقهاء اليوم يقبلـون أخبـار الآحاد إذا كانت محفوفة بقرائن وأوصـاف مؤيـدة. ويقبلـون رواية غــير الامــامي ويعملــون بها بشــرط أن يكــون الــراوي معروفا بالتقوى والصدق في رواية الأحاديث.[79]

نقد كتب الحديث الشيعية

---

[77] - المصدر السابق، ص 301-302

[78] - المصدر السابق، ص305

[79] - الدكتور خير الدين قرامان، أصول الفقه والأدلة الشرعية عند الشيعة، الندوة العلمية الدولية حول التشيع ، ص 363

وفي الحقيقة ان الشيعة قاموا ويقومون بهذا الدور منذ زمن طويل، إذ أنهم مع فتح باب الاجتهاد في القرن الخامس الهجـري، فتحوا بابا آخر هو نقد الروايات والرجال الناقلين لهـا، فـألفوا كتبا عديدة أهمها كتاب (معرفة الرجال) لمحمد بن عمر الكشّــي ، أو ما يعرف أيضا بـ (اختيار معرفة الرجال). وكتاب (الرجال) لأحمـد بن علي النجاشي. وكتابا (الرجال والفهرست) للشيخ الطوسي، وكذلك كتاب ابن الغضائري. وعُرفت هـذه الكتب بعنـوان (الكتب الرجالية الأربعة).

ثمّ شهدت العصور التالية إبداعَ مؤلفات رجالية أخرى، مثل: (معالم العلماء) لابن شهرآشوب (ت 588 هـ)، و (الرجال) لابن داود الحلّي (ت بعد سنة 707 هـ)، و (الرجال) للعلاّمة الحلّي (ت 726 هـ).

وبناء على تطور علم الرجال الشيعي قام العلاّمةُ الحلّي في القـرن الثـامن الهجـري بتقسـيم الحـديث إلى: صـحيح، وحَسَـن، وموثّق، وضـعيف. وكـان يعـني بالصـحيح: ما يتصل سـنده الى المعصوم بنقل الامـامي العـدل عن مثله في جميع الطبقـات. أما الحسن : فهو ما يتصل سنده بإمامي ممدوح معتـدا بـه، من غـير نص على عدالته. بينما عرف الموثق: بالحـديث الـذي نص علمـاء الرجـال على توثيق رجاله من غـير الاماميـة، أو من يطلق عليهم بفاسـدي العقيـدة، ويعنـون بهم الـرواة الثقـاة من غـير الإثـني عشـرية. أما الضـعيف فهو بـالطبع من لم تجتمع فيه الصـفات الثلاث المذكورة.

وبناء على هـذا التصـنيف للأحـاديث، اعتـبر شـرّاح "الكـافي" المتأخرون معظم أحاديثه غير صحيحة، حـتى عـدوا 9485 حـديثا منه ضـعيفا، بينما اعتـبروا 144 حـديثا منه حسـنا، و1128 حـديثا موثقا، و5027 حديثا صحيحا. أو ألفي حديث صحيح فقط.

ويروى عن العلامة الحلي انه ينفي وجود حديث صحيح بمعنى روايته متسلسلا عن الامامي الثقة عن مثله الى الامام المعصوم. وعلى أي حـال فقد قـام العلامة الحلي بتـأليف كتـاب جديد جمع فيه الصـحيح والحسن من الكتب الأربعـة، وسـماه بكتـاب (الـدرّ والمرجان) .

وقام مؤخرا الشيخ محمد باقر البهبودي بغربلة جديدة لأحاديث الكافي فاختار منها ما يقارب الثلث وجمعها في كتاب أطلق عليه اسم:"زبدة الكافي".

ولكن رغم تطور علم الرجال والدراية لدى الشيعة، وتصفيتهم لتراث أهل الـبيت من الخرافـات والأسـاطير والنظريـات الدخيلة كأسطورة تحريف القرآن، فان كثيرا من الأحاديث لا تـزال بـدون تمحيص ، أو أن عملية نقـدها ظلت محصـورة في نطـاق ضـيق، ولم تنجح في إعادة بناء الخارطة الفكرية للتشيع. ولعل موضوع الامامة الالهية لأهل الـبيت والعصـمة والنص وموضـوع (الامـام الثاني عشر المهدي المنتظر الغـائب) من أبـرز المواضـيع الـتي تحتـاج الى مزيد من النقد والتمحيص، وذلك لأن هـذه المواضـيع تشكل أسـاس المـذهب الامـامي الإثـني عشـري، ومـادة الخلاف الرئيسـية مع بقية المسـلمين، ومن المهم جـدا لإعـادة الوحـدة الاسلامية التحقيق والتأكد مما إذا كـان أئمة أهل الـبيت يشـكلون فعلاً مصـدرا شـرعيا اضـافيا وحصـريا للسـنة النبوية ومكملا لهـا، بحيث لا يجوز لأي فقيه آخر الافتاء في مقـابلهم؟ أو كـانوا مجـرد رواة ثقــاة نــاقلين للأحــاديث النبويــة، كما تؤكد بعض الروايــات الــواردة على لســان أهل الـبيت، أو حـتى مجتهـدين لهم آراؤهم الخاصة غير الملزمة.

ان القيـام بعملية نقد جذرية كهـذه، كفيل بتقليص مفهـوم "السنة" عند الشيعة الى ما تـواتر فقط عن النـبي الأكـرم (ص) والتخلي عن اعتبـار أئمة أهل الـبيت امتـدادا للنبـوة، أو اعتبـار أحاديثهم بمنزلة أحاديث النبي التي لا يجوز رفضـها أو مناقشـتها والاجتهاد في مقابلها، وتنزيل مـرتبتهم الى مرتبة أئمة المـذاهب الاسلامية الأخرى.

وقد تسنى لي القيام بنقد مجموعة من الروايـات (حـوالي مائة رواية) حول موضوع الاثني عشرية والإمامة الالهية، على ضـوء التاريخ وعلم الرجال الشيعيين، فوجدتها كلها ضعيفة أو مختلقة لا توجد فيها رواية واحــدة صــحيحة. وهو ما دفعــني الى تقبل الفقه الجعفــري (المنســوب الى الامــام جعفر الصــادق عليه الســـلام، ورفض النظرية الامامية الاثـــني عشـــرية بما فيها موضـــوع فرضـــية الامـــام الثـــاني عشر "محمد بن الحسن العســكري" الــذي لم أعــثر على أي دليل معتــبر على ولادته ووجوده واستمرار حياته الى اليوم منذ القرن الثالث الهجري.

3- الإجماع

من المعروف أن الإجماع يشكل لـدى أهل السـنة مصـدرا مهما من مصادر التشـريع الى جـانب القـرآن الكـريم والسـنة النبوية المطهرة، مع الاختلاف في مفهوم الاجماع فيما اذا كان

يعني اجماع المسلمين أو إجماع الصحابة أو الفقهاء، في عصر واحد من العصور، وذلك بناء على الحديث الذي يقول : "لا تجتمع أمتي على خطأ". ولكن الاجماع لا يشكل لدى الشيعة وخاصة الامامية مصدرا معتبرا أو حجة شرعية، وذلك لأنهم رفضوا مبدأ الاجماع انطلاقا من رفضهم لإجماع الصحابة حول اختيار أبي بكر خليفة من بعد الرسول، في مقابل ما زعموه من وجود النص على الامام علي. ولكن الشيعة عادوا فقبلوا اسم الاجماع بناء على نظرية اللطف التي قال بها السيد المرتضى في القرن الخامس الهجري، وكانت تعني ضرورة تخريب الامام المهدي الغائب لاجماع الشيعة في أية مسألة مخالفة للحق ولرأي الامام بصورة ما. وقد قلت ان الشيعة قبلوا اسم الاجماع، لأنهم لم يقبلوه على الحقيقة، وذلك لأن الاجماع لديهم كان يعبر عن رأي الامام أكثر مما كان يشكل بحد ذاته مصدرا من مصادر التشريع، أو يحمل حجية ذاتية. ومع ان كثيرا من علماء الشيعة احتجوا بالاجماع من أجل اثبات بعض الأقوال والآراء المختلف فيها، الا انهم فعلوا ذلك اعتمادا على القواعد والأصول التي بأيديهم، ولم يثبت لديهم تاريخيا صحة أي اجماع بناء على نظرية اللطف الافتراضية. ومن أجل ذلك لايعد الإجماع عندهم إلا مؤيداً لغيره من الأدلة.

وألحق الشيعة بالإجماع "سيرة المسلمين" أو "سيرة المتشرعة" . ولكنهم لم يعتبروا ذلك أيضا حجة أو دليلا مستقلا، الاّ ما كشف عن قول الإمام (المعصوم) الذي هو الحجة عندهم.

وبغض النظر عن موقف الشيعة من الاجماع، وحيثياته، فاني أعتقد أن إعادة النظر في أصل حجية الاجماع من قبل أهل السنة، لا تشكل فقط تحديدا دقيقا لمصادر التشريع وحصر ذلك بالكتاب والسنة، وانما تشكل أيضا مدخلا لتعزيز الوحدة الاسلامية بين السنة والشيعة.

4- الدليل العقلي

والمقصود بالدليل العقلي هي الأصول العملية العقلية مثل أصل البراءة والاستصحاب والاحتياط والتخيير، وهي أصول مشتركة لدى السنة والشيعة يعمل بها في منطقة الفراغ أو فقدان الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة، وهي تغطي

مساحة واسعة من المجالات الحديثة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وبعد فتح الشيعة لباب الاجتهاد، اقتربوا كثيرا في هذا الجانب من أهل السنة، حتى اتهمهم الأخباريون بأنهم قد أصبحوا "سنة". وهذا ما أكده الدكتور خير الدين قرامان، في ندوة اسطمبول العلمية الدولية عن الشيعة، حيث قال:" ان اعتماد الشيعة على الكتاب والسنة والعقل والاجتهاد، كمصادر للعلم والحكم الديني بعد الغيبة الكبرى، يشكل أرضية مناسبة لمحاولات التقريب بين المذاهب في الأصول والفروع".[80]

الفصل الثالث: الاختلاف في المسائل الفقهية

إن معظم الخلافات الفقهية بين الشيعة والسنة هي خلافات جزئية بسيطة كانت موجودة حتى بين الصحابة والتابعين، أو حتى بين أبناء المدرسة الفقهية المذهبية الواحدة، ونظرا لانفتاح باب الاجتهاد عند الشيعة وتعدد المجتهدين وكثرتهم في كل عصر ، فانهم يعيشون اختلافا كبيرا في كثير من المسائل الفقهية، ويعتبرون ذلك طبيعيا ونتيجة لإيمانهم بحرية الاجتهاد وحق الاختلاف. وربما كان نفس الشيء موجودا في المذاهب الأخرى التي قد يختلف مجتهدو كل مذهب فيما بينهم أو حتى مع إمام مذهبهم في بعض الأحيان.

واذا لم يكن الشيعة حتى الآن قد أفتوا بجواز التعبد بالمذاهب السنية، نظرا لاعتقادهم بحرمة الاجتهاد في مقابل أئمة أهل البيت "المعصومين الذين يستوحون علمهم من الله" فان أئمة المذهب السني لم يترددوا في الرواية عن أهل البيت او اعتبار آرائهم الخاصة كاجتهادات فقهية كسائر اجتهادات المجتهدين، ولذلك كانوا ينفتحون على مذهب أهل البيت أكثر من انفتاح الشيعة على مذاهب السنة. هذا اذا استثنينا بعض المتعصبين

---

[80] - المصدر السابق، ص 365

الذين كـانوا يخـالفون الشـيعة حـتى اذا كـان رأيهم حقـا، لمجـرد الخلاف والتمايز.[81]

ولعل من أشهر فتاوى السـنة في هـذا الشـأن هي فتـوى شـيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت **(1958-1963)** الشهيرة، الـتي يقـول فيها بجـواز التعبد وفقا للمـذهب الشـيعي، وهي كما يلي **:** "إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه أتبـاع مـذهب معين. بل نقول إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بـادئ ذي بـدء أي مـذهب من المــذاهب المنقولة نقلاً صــحيحاً والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة. ولمن قلدّ مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره - أي مـذهب كـان- ولا حـرج عليه في شـيء من ذلـك. إن مـذهب الجعفرية المعــروف بمــذهب الشــيعة الإمامية الاثــني عشــرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسـائر مـذاهب أهل السـنة. فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك. وأن يتخلصوا من العصـبية بغـير الحق لمــذاهب معينــة. فما كــان دين الله وما كــانت شــريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب. فالكل مجتهـدون مقبولـون عند الله تعالى. يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليـدهم والعمل بما يقررونه في فقههم. ولا فـــــرق في ذلك بين العبـــــادات والمعاملات".

ومن أهم الاختلافات بين الشيعة والسنة في المجـال الفقهي، كيفية تقسـيم ما يبقى من التركة بعد الفـروض. فعند فقهـاء أهل الســنة يعطى البــاقي للعصــبة، وعند الامامية يــرد البــاقي الى أصحاب الفروض خلا الزوج والزوجة. وأنكروا المـيراث بالعصـبة، وذهبـوا الى المـيراث بأصـحاب الفـروض والقرابة دون فـرق بين قرابة الرجــال أو النســاء، فكما يختص الابن المنفــرد بــالميراث كذلك تختص به البنت المنفردة.[82]

---

[81] - وحسبما يقول الشـيخ محمد بن المختـار الشـنقيطي في كتابه القيم (الخلافـات السياسـية بين الصـحابة):" لقد بـالغ بعض السـلف في صـياغة خلافاتهم مع المبتدعة صياغة اعتقادية حتى أن سـفيان الثـوري وغـيره من الأئمة يـذكرون في عقائـدهم تـرك الجهر بالبسـملة، لأنه كـان عنـدهم من شعار الرافضة، كما يذكرون (في عقائدهم) المسح على الخفين، لأن تركه كان من شعار الرافضة . وهـذه مجـرد ردة فعل مغاليـة، لا يمكن أن نبـني عليها مفاصـلة في المعتقـد. ولـذلك رفض الإمـام الشـافعي هـذا المنحى، وأعلن عن تبـني كل ما ثبت أنه سـنة للنـبي صـلى الله عليه وسـلم، وإن وافق فعل الشـيعة أو غـيرهم، وتحمل الشـافعي ثمن ذلك تهما باطلـة. بل إن الأئمة الأربعة رفضوا هذا النهج.

[82] - الدكتور عبد القادر شن أر، الندوة العلمية الدولية حـول التشـيع ، ص 466 - 468

ثم يأتي الخلاف حول الكفاءة في الـزواج، حيث يعتـبر الحنفية والشافعية والحنابلة فيها الاسلام والحرية والنسب والحرفة. وأما الشيعة فيكتفون بشرط الكفـاءة في الـدين (الاسـلام) مسـتدلين بقوله تعالى "ان اكرمكم عند الله أتقـاكم". وفاقا للمالكية الـذين يذهبون نفس المذهب.

ويشـترط أهل السـنة الشـهود في عقد الـزواج، بينما يقـول الشـــيعة باســـتحبابه، على العكس من الطلاق، حيث يشـــترط الشـيعة حضــور الشــاهدين وجوبــا، اعتمــادا على قوله تعــالى "واشهدوا ذوي عدل منكم". بينما يرى فقهاء أهل السـنة أن الآية تفيد الندب لا الوجوب.

ويختلفـون حـول الطلاق بـالثلاث الـذي يعتـبره السـنة ثلاث طلقات بائنة، يجب على المرأة اذا أرادت العودة لزوجها أن تنكح زوجا غـيره، وذلك تقليـدا للخليفة عمر بن الخطـاب الـذي حكم باعتبـار الطلاق بـالثلاث ثلاثـا، بينما يعتـبر الفقه الشـيعي الطلاق بالثلاث طلقة واحدة. وربما كان مستند السنة في ذلك الاجماع أو تقليد الصحابة والشيخين بالذات، ولذلك لم يناقش فقهـاء السـنة في هـذا الحكم عـبر التـاريخ الا ما عـرف من مناقشة ابن تيمية ورفضه لهذا الحكم.

ويختلف الشـيعة والسـنة حـول الأذان والإقامـة، حيث يضـيف الشـيعة اليـوم عبـارة (أشـهد ان عليا ولي اللـه، أشـهد أن عليا وأولاده المعصــومين حجج اللــه) بعد الشــهادتين، بعد أن كــانوا يحرمون ذلك في الزمن الأول، ويتهمون المفوضة الغلاة بإضافتها الى الأذان، كما يقول الشيخ الصدوق في (من لا يحضره الفقيـه) ولكنهم اليوم يقولون باستحباب ذكر (الشهادة الثالثة) لا على أنها جزء من الأذان أو الإقامة الشـرعية، أو كما يقـول السـيد محسن الحكيم:" لا بـــأس بالاتيـــان بها في الأذان والإقامـــة. ان هـــذه العبـارات الزائـدة في هـذه الأعصـار كـانت معـدودة من شـعائر الإيمان ورمزا الى التشيع، فتكون هـذه الزيـادات من هـذه الجهة راجحة شرعا، بل انها قد تكون واجبة".[83]

ويضيف الشيعة كـذلك فقـرة أخـرى الى الأذان والإقامة هي (خـير على العمـل) ويقولـون انها كـانت موجـودة في عهد النـبي (ص) وان عمر بن الخطاب أسقطها من الأذان.

وهنـاك بـالطبع مسـائل جزئية تفصـيلة في عـدد من الأمـور كالوضوء والصلاة والخمس والزكـاة، ولكن موضـوع "المتعـة" أو الـــزواج المـــؤقت، ظل يشـــكل أكـــبر خلاف فقهي بين الســـنة والشيعة عبر التاريخ، فبينما يعتـبر السـنة حكم المتعة الـوارد في

[83] - الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، ج 5 ص 545

القــرآن الكــريم منســوخا ومنهيا عنه نهيا مؤبــدا في آخر حيــاة الرسول (ص)، بعد تحليله عـدة مـرات وخاصة في أثنـاء الحـروب والغـزوات، يعتـبر الشـيعة الامامية الإثـني عشـرية زواج المتعة مباحا بنص القرآن الكريم وأحاديث الرسول وأئمة أهل البيت، ولا يعــترفون بتحــريم النـــبي له لا تحريما مؤقتا ولا نهائيا مؤبـــدا، ويقولون أن الصحابة كانوا يمارسـون هـذا النـوع من الـزواج الى أواخر عهد الخليفة عمر بن الخطـاب، عنـدما نهى عنه في قضـية معروفة، وقال:" متعتان كانتا على عهد رســول الله وأنا أحرمهما متعة الحج ومتعة النسـاء". وان كثـيرا من الصـحابة رفضـوا حكم عمر بهذا الشأن.

وقد قمت بدراسة لموضـوع زواج المتعـة، فوجـدت أن السـنة يعـترفون بوجــود آية في القــرآن الكــريم تحللــه، وكــذلك وجــود أحــاديث نبوية تؤيد ذلك وتجـيز للصـحابة فعلـه، ولكنهم يؤكـدون كذلك تعدد النهي عنه، وهذا يستبطن تعدد التحليـل. ونظـرت الى أحاديث التحـريم فوجـدتها أخبـار آحـاد لا تقـاوم ولا تنسخ القـرآن الكريم ، وتوصـلت الى أن السـنة يعتمـدون في تحـريمهم لـزواج المتعة على حجية الاجمـاع وتحـريم عمر لـه، أكـثر مما يعتمـدون على أحاديث صحيحة ومتواترة بهذا الشـأن. وهـذا حسب مـذهب بعض السنة في تقديم الاجماع على النصـوص الأخـرى، أو تقـديم الأخبار على القرآن الكريم، بمعنى جواز تخصيص او نسخ القرآن بالحديث. (كما يقول أحمد بن حنبل).

ويمكن حل الخلاف الفقهي بين الشيعة والسنة بهذا الخصوص، إما بـــاحترام كل فريق لاجتهـــاد الفريق الآخـــر، أو بـــالجمع بين المـــــذهبين، وذلك بتحليل المتعة فقط في الحـــــالات الطارئة الضرورية.

واعتقد أن من المفيد ان نعود هنا الى البحث الذي كتبته حول الموضـــوع وقدمته الى المـــؤتمر الســـنوي الخـــامس للجمعية الاجتماعية الاسـلامية في بريطانيا سـنة 2004 الـذي انعقد تحت عنوان: (الفقه اليوم، المسلمون كأقلية). وهذا شطر منه:

الزواج المؤقت (المتعة)

وهو ما يعرف ايضا بزواج المتعة، الذي يشبه الزواج الدائم من حيث العقد والمهر والـــولي، ولكنه يختلف معه في تحديد مـــدة الــزواج وعــدم احتياجه الى الطلاق عند انتهــاء المــدة. كما انه يختلف في بعض الاحكام المتعلقة بالزواج كالنفقة والإرث والعدد والعدة.

أدلة الشيعة على تحليله

يعتمد الشـــيعة في قـــولهم بتحليل زواج المتعة على آية من القــرآن الكــريم وعلى الســنة وأقــوال بعض الصــحابة، وينفــون حصول الاجماع على تحريمه. أما الآية الكريمة فهي قوله تعــالى: (فما اســتمتعتم به منهنّ فــآتوهنّ أجــورهنّ فريضة من اللـــه). النســـاء: 24. وقد روي عن جماعة من الصـــحابة، منهم أبي بن كعب، وعبد الله بن عبــاس، وعبد الله بن مســعود، أنهم قــرأوا: (فما اســتمتعتم به منهنّ إلى أجل مســمى فــآتوهنّ أجــورهنّ فريضة)، وفي ذلك تصريح بأن المــراد به زواج المتعة ، وقد قــال الرازي في تفسيره لهذه الآية:"إن المراد بهذه الآية حكم المتعة، وهي عبــارة عن أن يســتأجر الرجل المــرأة بمــال معلــوم لأجل معيّن فيجامعها".

و أخرج البخاري في صحيحه (ج 2 ص 176) عن عمــران بن حصــين أنه قــال: (نــزلت آية المتعة في كتــاب اللــه، ففعلناها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يــنزل قــرآن يحرّمهــا، ولم ينه عنهــا، حــتى مــات (صــلى الله عليه وآلــه)، قــال رجل برأيه ما شاء).

وأخرج مســلم في صــحيحه (ج 2 ص 1024) عن أبي الزبــير قال: (ســمعت جــابر بن عبد الله يقــول: كنا نســتمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآلــه)، وأبي بكر، حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث).

و أخرج مسلم في صحيحه (ج 6 ص 119)، عن قيس قال: سمعت عبد الله يقول: كنا نغزو مع رســول الله (صــلى الله عليه وآلــه)، ليس لنا نســاء، فقلنا ألا نستخصــي؟ فنهانا عن ذلــك، ثم رخّص لنا أن ننكح المــرأة بــالثوب إلى أجــل، ثم قــرأ عبد الله (يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحــلّ الله لكم ولا تعتــدوا إن الله لا يحب المعتدين). المائدة: 87.

وروى ايضا في كتاب النكاح، باب 3 قائلا:

حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شــعبة عن عمرو بن دينار قــال: ســمعت الحسن بن محمد يحــدّث عن جــابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع، قالا: خرج علينا منادي رسول الله

(صـلّى الله عليه وآلـه)، فقـال: إن رسـول الله (صـلّى الله عليه وآله) قد أذن لكم أن تستمتعوا يعني متعة النساء

وحدّثني أميّة بن بسطام العيشي، حدّثنا يزيد (يعني ابن زُريع)، حـدّثنا رَوح (يعـني ابن القاسـم) عن عمـرو بن.. أن رسـول الله (صلّى الله عليه وآله) أتانا، فأذن لنا في المتعة.

وحدّثنا الحسن الحلواني. حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا ابن جـريح، قـال: قـال عطـاء: قـدم جـابر بن عبد الله معتمـراً، فجئنـاه في منزله، فسأله القوم عن أشـياء. فقـال: نعم، اسـتمتعنا على عهد رسـول الله (صـلّى الله عليه وآلـه) وأبي بكر وعمر ثم ذكـروا المتعة.

و حدّثني محمد بن رافع، حدّثنا عبد الـرزّاق، أخبرنا ابن جـريح، أخـبرني أبو الزبـير، قـال: سـمعت جـابر بن عبد الله يقـول: كنّا نسـتمتع، بالقبضة من التمر والـدقيق، الأيّـام، على عهد رسـول الله (صلّى الله عليه وآلـه)، وأبي بكـر، حـتى نهى عنه عمـر، في شأن عمرو بن حريث.

و حدّثنا حامد بن عمر البكـراوي، حـدّثنا عبد الواحد (يعـني ابن زيـاد) عن عاصـم، عن أبي نضـرة، قـال: كنت عند جـابر بن عبد الله، فأتاه آتٍ فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعـتين، فقـال جـابر: فعلناهما مع رسـول الله (صـلّى الله عليه وآلـه) ثم نهانا عنهما عمر، فلم نعد لهما.

وحدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حـدّثنا يـونس بن محمـد، حـدّثنا عبد الواحد بن زياد، حدّثنا أبو عميس عن إيـاس بن سـلمة، عن أبيـه، قال: رخّص رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، عـام وطـاس، في المتعة ثلاثاً، ثم نهى عنها.

وحدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا ليثٌ عن الربيع بن سبرة الجهني، عن أبيه سـبرة، أنّه قـال: أذن لنا رسـول الله (صـلّى الله عليه وآله) بالمتعة، فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عـامر، كأنها بكرة عيطاء.

وروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج 1 ص 52)، عن أبي نضرة عن جابر قال: (تمتعنا مع رسول الله (صـلى الله عليه وآله)، ومع أبي بكر، فلما ولي عمر خطب النـاس فقـال: إن كانتا

- أي المتعتان- على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) حلالاً، وأنا أحرّمهما وأعاقب عليهما) .

وبناء على الآية الكريمة غير المنسوخة وهذه الأحاديث النبوية التي يرويها السـنة، وروايـات أخـرى لـديهم عن أئمة أهل الـبيت يبيح الشيعة زواج المتعة، وينكرون ان يكون الرســول الأعظم قد حرمه تحريما مؤبدا، وينسبون النهي والتحريم الى الخليفة الثاني عمر بن الخطــاب، الــذي اجتهد بعد حادثة عمــرو بن حــريث ، حيث قـال: (متعتـان كانتا على عهد رسـول الله (صـلى الله عليه وآلــه)، وأنا أنهى عنهما وأعــاقب عليهمــا، متعة النســاء ومتعة الحج). وان جملة: (وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهمـا) تـدل على أن هـاتين المتعـتين كانتا حلالاً طيلة حيـاة النـبي، وحيـاة الخليفة الأول أبي بكر، ولذلك فقد ذهب كثير من الصحابة إلى مشروعية المتعة، خلافاً لما ذهب إليه عمر، وأنكـروا عليه نهيه عن المتعـة، منهم الإمـام علي (عليه السـلام)[84] وعبد الله بن عبـاس [85] ، بل وعبد الله بن عمر[86]، الـــذي كـــان يراجَع في موقفه المخـــالف لموقف أبيه فيقـول: سـبحان اللـه، نقـول لكم قـال رسـول الله

---

[84] - روى الثعلبي والطبري في تفسيريهما لآية المتعة قـول الإمـام علي (عليه السلام) (لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقيّ).

[85] - روى ابن جريج وعمـر بن دينـار عن ابن عبـاس قولـه (مـا كـانت المتعة إلاّ رحمة رحم الله بها أمة محمد، ولولا نهيـه – أي عمـر - عنهـا ما احتاج إلى الزنى إلاّ شفيّ)، قال ابن الأثير في البداية والنهايـة عنـد مادة شـفي بالفـاء: أي إلاّ قليـل من النـاس، وكـان ابن عبـاس يجـاهر بإباحتها حتى في أيام عمر.

[86] - أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج 2 ص 95 أن عبد الله بن عمر سئل عن متعة النساء فقال: واللـه مـا كنـا على عهـد رسـول الله زانين ولا مسافحين.

وتقولون قـال عمـر. [87] اضـافة الى عـدد آخر من الصـحابة مثل عمـران بن حصـين [88] ، وأبيّ بن كعب، وأسـماء بنت أبي بكر[89] ، وجـــابر وابن مســعود، ومعاوية بن ابي ســفيان[90] ، وعمـــرو بن حـريث، وأبو سـعيد وسـلمة ابنا أمية بن خلـف)، وبعض التـابعين كمجاهد، وقتادة وشعبة وأبو ثابت [91]، وطـاووس وعطـاء، وسـعيد بن جبـير، وسـائر فقهـاء مكة ومنهم ابن جـريج. ثم اختلفـوا في نسخ هذه الإباحة، وفيما اذا كان النسخ من النـبي الأعظم او من الخليفة عمر بن الخطاب، ولكنهم يقولـون بـأن التحـريم لم يكن

---

[87] - في صحيح الترمذي أن ابن عمر عندما قـال عن المتعـة أنهـا حلال، قيل له: إن أبـاك نهى عنهـا، فقـال: أرأيت إن كـان أبي نهى عنهـا وصـنعها رسول الله (صلى الله عليه وآلـه)، أنـترك السـنة ونتّبـع قـول أبي؟. ولعـل قصد ابن عمر بكلمة (صنعها) أي أباحها.

[88] - ذكر الرازي عند تفسير آية المتعة، وأحمد في المسند: قول عمران بن حصين: أنزل الله في المتعة آية وما نسخها بآية أخرى، وأمرنا رسول اللــه (صلى الله عليه وآله) بالمتعة وما نهانا عنها، ثم قال رجل برأيه ما شاء.

[89] - فـي مـسند الطيالسي عن مسلم القرشـي قـال : دخلنـا على اسـماء بنت ابي بكر فسالناها عن متعة النساء فقـالت : فعلناهـا على عهـد النـبي (ص) , الحديث 1637.

[90] - فـي المصنف لعبد الرزاق : ان معاوية بن ابي سفيان استمتع عند مقدمه الطائف على ثقيف بمولاة ابن الحضرمي يقال لها: معانة , قال جابر: ثم ادركت معانة خلافة معاوية حية , فكان معاوية يرسل اليها بجائزة كل عام حتى ماتت. المصنف لعبد الرزاق 7: 499, باب المتعة .

[91] - تفسير الطبري ج 5 ص 9، أحكام القرآن للجصـاص ج 2 ص 178، تفسـير أبي حيـان ج 3 ص 218، تفسـير البغـوي على هـامش تفسـير الخازن ج 1 ص 423، تفسير القرطبي ج 5 ص 130 قال: قال الجمهور أنها نزلت في نكـاح المتعـة الـذي كـان في صـدر الإسـلام، تفسـير الـدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 140 وغيرهم كثير جداً.

من الرسـول الأعظم وانما هو بقـرار او اجتهـاد من الخليفة عمر بن الخطاب، ولا اجتهاد في مقابل النص.

ويقولون أيضا: بأنه لم يثبت نسخ الآية، ولا توجد أحاديث متـواترة عن النبي (صلى الله عليه وآلـه) بنسـخها، حيث أن الروايـات في هذا الباب لا تعـدو أن تكـون أخبـار آحـاد، وأخبـاراً ضـعيفة السـند متناقضة المتن، حيث تـذهب إلى إباحتها وتحريمها عـدة مـرات، وفي مواطن متعددة، منها يوم خيـبر، ومنها يـوم الفتح، ومنها في غزوة تبـوك، ومنها في حجة الـوداع، أي أن حكم إباحة المتعة قد نسخ مـرتين أو ثلاثة مـراتٍ أو أكـثر، وفـوق ذلك فهي معارضة بالأحاديث الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)، ولو كان هنـاك فعلاً ناسخ لمشـروعية المتعـة، لاحتجّ به عمـر، ولم يلجأ إلى الاجتهاد في مورد النص.

أدلة السنة على تحريم المتعة

يعترف المسلمون (السنة) بتحليل النبي الأكـرم لـزواج المتعـة، ولكنهم يقولون انه كان لفـترات قصـيرة، وان النـبي حرّمه عـدة مرات في عدة مواطن ، وانه (ص) حرمه في أواخر أيـام حياته تحريما مؤبدا، ونسخ حكم اباحته الأول .

قال الإمام النوويّ: الصواب المختار أن التحريم والإباحـة كانـا مرتين: فكانت حلالاً قبـل خيـبر، ثم حـرمت يـوم خيـبر. ثم أبيحت يوم فتح مكّة، وهو يوم أوطاس، لاتصالهما. ثم حرمت يومئـذ بعـد ثلاثة أيام تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة. واسـتمر التحـريم. وقـال القاضـي: واتفـق العلمـاء على أن هـذه المتعـة كـانت نكاحـاً إلى أجـل. لا مـيراث فيهـا. وفراقهـا يحصـل بانقضـاء الأجـل من غـير طلاق. ووقع الإجماع بعد ذلك على تحريمها من جميـع العلمـاء إلا الروافض.

ومن العلماء المعاصرين، يقول الدكتور وهبة الزحيلي: "اتفقت المذاهب الأربعة وجمـاهير الصـحابة على أن زواج المتعة ونحـوه حـــرام باطـــل" و " إن المـــراد بالاســـتمتاع في آية (فما اسـتمتعتم).النسـاء: 24 النكـاح؛ لأنه هو المـذكور في أول الآية وآخرهـــا، حيث بُـــدِئت بقوله تعـــالى: (وَلا تَنْكِحُـــوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم).النساء:22 وختمت بقوله سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَات). النساء 25، فـدل على أن المراد بالاستمتاع هنا ما كان عن طريق النكـاح، وليس المـراد به

المتعة المحرمة شرعًا. أما التعبير بالأجر: فإن المهر في النكاح يُسمَّى في اللغة أجرًا، لقوله تعالى:(فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ).النساء:25، أي مهورهن، وقوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ).الأحزاب: 50، أي مهورهن.

وأما الأمر بإيتاء الأجر بعد الاستمتاع، والمهر يؤخذ قبل الاستمتاع، فهذا على طريقة في اللغة من تقديم وتأخير، والتقدير: فآتوهن أجورهن إذا استمتعتم بهن، أي إذا أردتم الاستمتاع بهن، مثل قوله تعالى: (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ).الطلاق:1، أي إذا أردتم الطلاق، ومثل: (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاة) المائدة:6، أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة.

وأما الإذن بالمتعة في السنة النبوية في بعض الغزوات، فكان للضرورة القاهرة في الحرب، وبسبب العُزْبة في حال السفر، ثم حرّمها الرسول - صلى الله عليه وسلم - تحريمًا أبديًّا إلى يوم القيامة، بدليل الأحاديث الكثيرة، منها:

1- "يا أيها الناس، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرّم ذلك يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء، فليخلّ سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا" .
2 - قال سلمة بن الأكوع: "رخّص لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في متعة النساء عام أوطاس ثلاثة أيام، ثم نهى عنها" .
3 - قال سبرة بن معبد: "إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع نهى عن نكاح المتعة" .
4 - عن علي رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر .

وأما ابن عباس: فكان يجيز المتعة للمضطر فقط، روى عنه سعيد بن جبير أنه قال: سبحان الله، ما بهذا أفتيت، وإنما هي كالميتة لا تحل إلا للمضطر...

ومع ذلك فقد أنكر عليه الصحابة، مما يجعل رأيه شاذًّا تفرد به، فقد أنكر عليه علي رضي الله عنه قائلاً له: إنك امرؤ تائه ؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية، وأنكر عليه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، روى مسلم عنه أنه قام بمكة فقال: "إن أناسًا أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة – يعرِّض برجل هو عبد الله بن عباس – فناداه ابن

عباس، فقال له: إنك لجلف جاف، فلعمـري، لقد كـانت المتعة تفعل في عهد أمير المتقين – أي رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فقال له ابن الزبـير: فجـرب نفسـك، فوالله لو فعلتها لأرجمنك بأحجارك".

ثم نقل المحدثون عن ابن عباس أنه رجع عن قولـه، روى الترمذي عنه أنه قال: "إنما كانت المتعة في أول الإسلام، كان الرجل يقدم البلدة ليس له فيها معرفة، فيـتزوج المـرأة بقـدر ما يـرى أنه يقيم، فتحفظ له متاعـه، وتصـلح له شـأنه، حـتى نـــــزلت هـــــذه الآيـــــة: "إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـانُهُمْ).المؤمنـون:6، قـال ابن عبـاس: فكل فـرج سـواهما حرام". وروى البيهقي أيضًا وأبو عوانة في صحيحه رجـوع ابن عباس .

والقول برجوعه هو الأصح لدى كثير من العلمـاء، ويؤكـده إجمــاع الصــحابة على التحــريم المؤبــد، ومن المســتبعد أن يخالفهم، روى الحازمي في الناسخ والمنسوخ من حديث جابر بن عبد الله قــال: "خرجنا مع رســول الله - صــلى الله عليه وســلم - إلى غــزوة تبــوك، حــتى إذا كنا عند العقبة مما يلي الشـام، جـاءت نسـوة فـذكرنا تمتعنـا، وهن تطفن في رحالنـا، فجاءنا رســول الله - صــلى الله عليه وســلم - فنظر إليهن، وقال: من هؤلاء النسوة؟ فقلنـا: يا رسـول اللـه، نسـوة تمتَّعنا منهن، قــال: فغضب رســول الله – صــلى الله عليه وســلم – حتى احمرَّت وجنتاه، وتمعَّر وجهه، وقام فينا خطيبًا، فحمد لله وأثــنى عليــه، ثم نهى عن المتعـــة، فتوادعنا يومئذ الرجـــال والنساء، ولم نَعُـد، ولا نعـود لها أبـدًا، فبها سُـمِّيت يومئـذ: ثنية الوداع" .

وروى أبو عوانة عن ابن جريج أنه قال في البصرة، اشهدوا أني قد رجعت عن المتعـــة، بعد أن حـــدّثهم فيها ثمانية عشر حديثًا أنه لا بأس بها .

كل هذا يدل على نسخ إباحة المتعة، ولعل ابن عبـاس ومن وافقه من الصحابة والتابعين لم يبلغه الدليل الناسخ، فإذا ثبت النسخ وجب المصير إليه، أو يقـال: إن إباحة المتعة كـانت في مرتبة العفو التي لم يتعلق بها الحكم كالخمر قبل تحريمها، ثم ورد النص القاطع بالتحريم.

استدل الجمهور على تحريم نكاح المتعة بالقرآن والسنة والإجماع والمعقول:

1 - أما القرآن: فقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ). المؤمنون:5-7، هذه الآية حرمت الاستمتاع بالنساء إلا من طريقين: "الزواج وملك اليمين، وليست المتعة زواجًا صحيحًا، ولا ملك يمين، فتكون محرمة، ودليل أنها ليست زواجًا أنها ترتفع من غير طلاق، ولا نفقة فيها، ولا يثبت بها التوارث.

2 - وأما السنة: فالأحاديث الكثيرة السابقة المتفق عليها التي ذكرتها عن علي وسَبْرة الجهني وسلمة بن الأكوع، وغيرهم رضي الله عنهم، والمتضمنة النهي الصريح عن نكاح المتعة عام خيبر، وبعد فتح مكة بخمسة عشر يومًا، وفي حجة الوداع.

3 - وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة إلا الإمامية على الامتناع عن زواج المتعة، ولو كان جائزًا لأفتوا به، قال ابن المنذر: جاء عن الأوائل الرخصة فيها، أي في المتعة، ولا أعلم اليوم أحدًا يجيزها، إلا بعض الرافضة، ولا معنى لقول يخالف كتاب الله، وسنة رسوله، وقال القاضي عياض: ثم وقع الإجماع من جميع العلماء على تحريمها، إلا الروافض .

4 - أما المعقول: فإن الزواج إنما شرع مؤبدًا لأغراض ومقاصد اجتماعية، مثل سكن النفس وإنجاب الأولاد وتكوين الأسرة، وليس في المتعة إلا قضاء الشهوة، بنحو مؤقت، فهو كالزنى تمامًا، فلا معنى لتحريمه مع إباحة المتعة.

وبه يتبين رجحان أدلة الجمهور، والقول بتحريم المتعة وبطلان زواجها وبطلان الزواج المؤقت، وهذا ما يتقبله المنطق وروح الشريعة، ولا يمكن لأي إنسان متجرد محايد إلا إنكار المتعة والامتناع عنها نهائيا. والله تعالى أعلم.[92]

نوعية التحريم

[92] - عن موقع الاسلام اون لاين

ويتحدث الشيخ يوسف القرضاوي عن زواج المتعة، فيشير الى فلسفة الزواج المفقودة بنظره في زواج المتعة، والى اجازة النبي لهذا الأخير في السفر والغزوات ضمن اطار سياسة التدرج في التحريم، ثم تحريمه بعد ذلك، ولكن القرضاوي يتوقف ليتساءل عن نوعية ذلك التحريم : هل هو كتحريم الأمهات والبنات والأخوات؟ أم كتحريم الميتة ولحم الخنزير، الذي يرتفع عند الضرورة؟ فيقول:

ان الزواج في الإسلام عقد متين وميثاق غليظ، يقوم على نية العشرة المؤبدة من الطرفين لتتحقق ثمرته النفسية التي ذكرها القرآن -من السكن النفسي والمودة والرحمة- وغايته النوعية العمرانية من استمرار التناسل وامتداد بقاء النوع الإنساني... أما زواج المتعة فلا يتحقق فيه المعنى الذي أشرنا إليه. وقد أجازه الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يستقر التشريع في الإسلام. أجازه في السفر والغزوات، ثم نهى عنه وحرمه على التأبيد.

وكان السر في إباحته أولا أن القوم كانوا في مرحلة يصح أن نسميها (فترة انتقال) من الجاهلية إلى الإسلام؛ وكان الزنى في الجاهلية ميسرا منتشرا. فلما كان الإسلام، واقتضاهم أن يسافروا للغزو والجهاد شق عليهم البعد عن نسائهم مشقة شديدة، وكانوا بين أقوياء الإيمان وضعفاء؛ فأما الضعفاء، فخيف عليهم أن يتورطوا في الزنى، أقبح به فاحشة وساء سبيلا. وأما الأقوياء فعزموا على أن يخصوا أنفسهم أو يجبوا مذاكيرهم كما قال ابن مسعود ...وبهذا كانت إباحة المتعة رخصة لحل مشكلة الفريقين من الضعفاء والأقوياء، وخطوة في سير التشريع إلى الحياة الزوجية الكاملة، التي تتحقق فيها كل أغراض الزواج من إحصان واستقرار وتناسل، ومودة ورحمة، واتساع دائرة العشيرة بالمصاهرة.

وكما تدرج القرآن بهم في تحريم الخمر وتحريم الربا -وقد كان لهما انتشار وسلطان في الجاهلية- تدرج النبي صلى الله عليه وسلم بهم كذلك في تحريم الفروج. فأجاز عند الضرورة المتعة ثم حرم النبي صلى الله عليه وسلم هذا النوع من الزواج. كما روى ذلك عنه علي، وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم. ومن ذلك ما أخرجه مسلم في (صحيحه) عن سبرة الجهني "أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة، فأذن لهم في متعة

النساء. قال: فلم يخرج حتى حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وفي لفظ من حديثه: "وإن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة".

ولكن هل هذا التحريم بات كزواج الأمهات والبنات أو هو تحريم مثل تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، فيباح عند الضرورة وخوف العنت؟

الذي رآه عامة الصحابة أنه تحريم بات حاسما لا رخصة فيه بعد استقرار التشريع. وخالفهم ابن عباس فرأى أنها تباح للضرورة. فقد سأله سائل عن متعة النساء فرخص له فقال له مولى له: إنما ذلك في الحال الشديد، وفي النساء قلة أو نحوه؟ قال ابن عباس: نعم.

ثم لما تبين لابن عباس رضي الله عنه أن الناس توسعوا فيها ولم يقتصروا على موضع الضرورة، أمسك عن فتياه ورجع عنها. والله أعلم.

الإباحة عند الضرورة

واذا صدقنا أدلة النهي "السنية" وحاولنا ان نجمع بينها وبين أدلة التحليل "الشيعية"، فاننا يمكن ان نصل الى رأي وسطي جديد لا نقول فيه بالتحليل المطلق كما يقول الشيعة ولا بالتحريم المطلق كما يقول السنة، وانما بالتحليل عند الضرورة وعند حصول العنت والمشقة الكبيرة.

وذلك لثبوت نزول الآية الكريمة رقم 24 من سورة النساء (فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة من الله) في موضوع زواج المتعة، وليس في مطلق الزواج، كما روي عن جماعة من الصحابة، منهم أبي بن كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، أنهم قرأوا: (فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى فآتوهنّ أجورهنّ فريضة)، وفي ذلك تصريح بأن المراد به زواج المتعة ، وقد قال الرازي في تفسيره لهذه الآية: إن المراد بهذه الآية حكم المتعة. وأيدت ذلك الأحاديث النبوية التي أحلت المتعة، ولا يمكن رفع اليد عن تلك الآية وتلك الأحاديث المصرحة بالجواز الا بنسخ من القرآن الكريم او من السنة الثابتة المتواترة، وهذا ما لا يوجد ، اذ لا توجد آية ناسخة لها [93] ، ولا توجد أحاديث متواترة تؤكد التحريم المؤبد، اذ قد

---

[93] - 1 - روى عبد الرزاق في مصنفه عن عطاء: ان ابن عباس كان يقرا:فمااستمتعتم به منهن - الى اجل - فتوهن اجورهن (المصنف 7: 497 و498, باب المتعة , تاليف عبد الرزاق بن همام الصنعاني مولى

اختلف كبـار الصـحابة حولها وأصر بعضـهم الى وقت متـأخر على تحليلهــا، ورواية الامــام علي بنهي النــبي عنها في خيــبر لا تفيد التأبيد، لأن النـبي (ص) قد أحلها بعد ذلك في فتح مكة وفي حجة الوداع او ثنية الـوداع، وان روايـات النهي المتكـرر الـواردة حـول الموضــــــوع تفيد اصل الاباحة ولكن عند الضــــــرورة وليس في الحالات الطبيعية، وهذا ما يفسر اسـتمرار بعض الصـحابة بالعمل بها وعدم سماعهم لقرار التحريم المؤبد من النبي الأكــرم. وربما نستطيع ان نحمل نهي الخليفة عمر بن الخطاب عن زواج المتعة

حـمـيــر,(126 ــ 211 هــ) طـبــعة 1390 ــ 1392 هـ، من منشـورات المجمع العلمي ببـيروت , اخــرج حـديـثـه اصحــاب الـصحــاح الـســتة , راجع ترجمته في الجمع بين رجـال الصـحيحين وتقـريب التهـذيب , وراجع بداية المجتهد لابن رشد 2: 63) .

2 - فـي تفسير الطبري عن حبيب بن ابي ثابت قال : اعطاني ابن عبــاس مصحفا فقال : هذا على قراءة ابي قال : وفيـه فمـا اسـتمتعتم بـه منهن - الى اجل مسمى .

3 - في تفسير الطبري عن ابي نضرة بطريقين , قال : سالت ابن عبــاس عن متعة النساء, قال : اما تقرا سورة النساء قال : قلت : بلى .قال : فما تقرا فيها فمااستمتعتم به منهن الى اجل مسمى ؟ قلت : لوقراتهـا كـذلك ما سالتك قال : فانها كذلك .

4 - عـن ابي نضرة قال : قرات هذه الاية على ابن عباس فمااستمتعتم به منهن قال ابن عباس الى اجل مسمى قال : قلت : مااقراها كذلك . قال : واللّه لانزلها اللّه كذلك . ثلاث مرات .

5 - عن عمير وابي اسحاق ان ابن عباس قرا: فما استمتعتم بـه منهن الى اجل مسمى .

6 - عن مجاهد: فما استمتعتم به منهن قال : يعني نكاح المتعة .

7 - عن عمرو بن مرة , انه سمع سعيد بن جبـير يقـرا: فمـا اسـتمتعتم بـه منهن الى اجل مسمى .

8 - عن قتادة قال : في قراءة ابي بن كعب : فما اسـتمتعتم بـه منهن الى اجل مسمى .

9 - عن شعبة عن الحكم قال سالته عن هذه الاية امنسوخة هي ؟قال : لا .

10 - وفـي احـكـام القرآن للجصاص ايضا جاءت رواية ابي نضروابي ثابت عن ابن عباس وحديث قراءة ابي بن كعب.

11 - روى الـبـيـهـقـي في سننه الكبرى عن محمد بن كعب ان ابن عباس قال : كانت المتعة في اول الاسلام وكانوا يقراون هذه الاية فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى .

12 - وفــي شــرح الـنــووي عــلــى صـحيح مسـلم : وفي قــراءة ابن مسعودفمااســــــــــتمتعتم بـــــــــــه منهن الى اجــــــــــل ....

13 - وفـي تـفـسـير الزمخشري : وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثـة ايام ... وقال : سميت متعة لاسـتـمـتـاعـه بها. وقال : وعن ابن عباس هي محكمـة يعـني لم تنسـخ , وكـان يقـرا فمـا اسـتمتعتم بـه منهن الى اجـل

اعتمادا على انتفاء الحالات الضرورية[94] ، او خوفا من عدم التزام النــاس بشــروطها كالاشــهاد[95] ، وليس تشــريعا بــالتحريم المؤبد ونفيا لأصل التحليل، ولذلك فقد قــال : " إن كانتا - أي المتعتــان- على عهد رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه) حلالاً، وأنا أحرّمهما وأعاقب عليهما" كما يروي الامام أحمد بن حنبل في مسـنده (ج 1 ص 52)[96] بينما كــان تمسك بعض الصــحابة بالتحليل تمســكا بأصل الاباحة، ولو كان ثمة تحريم قاطع من النـبي لما خفي على ابن عباس وابن مسـعود وابن عمر وبقية الصـحابة ولا حـتى على

مسمى .

14 - قـال الـقـرطـبي : وقال الجمهور: المراد نكاح المتعة الـذي كـان في صدر الاسلام , وقرا ابن عباس وابي وابن جبير فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فتوهن اجورهن .

15 - وفــي تفسـير ابن كثـير: وكـان ابن عبـاس وابي بن كعب وسـعيدبن جبير والسدي يقراون فما استـمـتـعـتـم بـه مـنـهـن الــى اجــل مــســمى فتوهن اجورهن فريضة وقال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة .

16 - وفـي تفسير السيوطي حـديث ابي ثـابت وابي نضـرة وروايـة قتـادة وسعيد بن جبير قراءة ابي , وحـديـث مـجـاهـد والــسدي , وعطـاءعن ابن عبـاس , وحـديث الحكم ان الايـة غـير منسـوخة , وعن عـطـاءعــن ابــن عباس انه قال : وهي التي في سورة النساء: فما اسـتمتعتم بـه منهن الى كذا وكذا من الاجـل عـلى كذا وكذا قال : وليس بينهما وراثة فان بدا لهمــا ان يتراضيا بعد الاجل فنعم , وان تفرقا فنعم ....

[94] - فقد روى الطبري في سيرة عمر ، عن عمران بن سوادة انه استاذن ودخل دار الخليفة ثم قال : نصيحة : فقال : مرحبا بالناصح غدوا وعشيا.
قال : عابت امتك منك اربعا.
قال : فوضع راس درته تحت ذقنه ووضع اسفلها على فخذه , ثم
قال :هات...
قال : ذكروا انك حرمت متعة النساء وقد كانت رخصة من اللّه نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث .
قـال : ان رسـول اللّه (ص) احـلـهـا فـي زمان ضرورة ثم رجع الناس الى سعة ثم لم اعلم احدا من الـمـسـلـمـيـن عـمـل بـهـا ولا عاد اليها, فالان من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق وقد اصبت .. الطبري 5: 32, في باب شي ء من سيره مما لم يمض ذكرها من حوادث سنة 23

[95] - يقول ابن حزم في المحلى: انه انما انكرها : عن عمر بن الخطاب اذا لم يشهد عليها عدلان فقط واباحها بشهادة عدلين . الـمـحـلـى لابـن حزم 9: 519 ـ 520, المسالة 1854.

[96] - تـواتـر عـن الخليفة عمر قوله : متعتان كانتا على عهد رسول وانا انهى عنهما واعاقب عليهما, متعة الحج ومتعة النساء. تـفسير القرطبي 2: 388. وتفسير الفخر الرازي 2: 167, و3: 201 و202. وكنز العمال 8:293 و294. والبيان والتبيين للجاحظ 2: 223.

الخليفة عمر نفسه الى أواخر عهده حين حرمها. وربما كـان هـذا ما يفسر قول ابن عباس لسـعيد بن جبـير: أنها كالميتة لا تحل الا للمضطر.[97]

ان رواية الترمذي عن ابن عباس انه تراجع عن القول بالمتعة بعد نـــــــــــــــــزول آية : "إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـانُهُمْ).المؤمنـون: 6، وقوله : فكل فـرج سـواهما حـرام"، لا تنسجم مع اصراره على القـول بها في أيـام عبد الله بن الزبـير ، عندما قـام بمكة فقـال: "إن أناسًـا أعمى الله قلـوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة – يعـرِّض برجل هو عبد الله بن عبـاس – فناداه ابن عباس، فقال له: إنك لجلف جاف، فلعمري، لقد كانت المتعة تفعل في عهد أمير المتقين – أي رسول الله – صـلى الله عليه وسلم - فقال له ابن الزبير: فجرب نفسك، فوالله لو فعلتها لأرجمنك بأحجـــارك". كما روى ذلك مســـلم. ورغم نقل بعض المحدثين لتراجع ابن عبـاس عندئـذ، فانه لا يفيد تراجعه عن رأيه وانما التزامه بموقف ابن الزبير تحت التهديد.

وكذلك لا يفيد تراجع ابن جريج في البصـرة بعد ان حـدث فيها بثمانية عشر حديثا أنه لا بأس بها.

وأما الاجماع على تحريم المتعة، فليس بحجة لأنه اجماع متأخر لدى أهل السـنة فقـط ولم يتفـق معهم الشـيعة الجعفريـة ، ولم يحدث في زمن الصحابة الذين كانوا يختلفون حولها بوضوح[98] .

---

[97] - تمتع سعيد بن جبير في مكة - المصنف لعبد الرزاق 7: 496.

[98] - ففي المصنف لعبدالرزاق : ان عليا قال بالكوفة لولا ما سبق من راي عمربن الخطاب - او قال : راي عمر بن الخطاب - لامرت بالمتعة ثم مازنى الا شقي . المصنف لعبد الرزاق 7 : 500, اللفظ في كتب التفسير والحديث (الا شقي) وفي مادة شفى من نـهـايـة الـلـغة (الا شفي) اي الا قليل من الناس من قولهم : غابت الشمس الا شفي اي : (الاقليلامن ضوئها عند غروبها).

وفـي تـفسير الطبري والنيشابوري والفخر الرازي وابي حيان والسيوطي واللفظ للاول : لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الاشقي . تـفـسـير الطبري 5 : 9. والنيشابوري بهامش تفسير الطبري 5: 17. والنيشابوري 5: 16 فـي تـفـسـيـره . والـفـخـر الرازي في تفسير الاية بتفسيره الكبير 3: 200. وتفسير ابي حيان 3:218.والدر المنثور للسيوطي 2: 40.

وفي تفسير القرطبي : قال ابن عباس : ما كانت المتعة الا رحمة من اللّه تعالى , رحم بها عباده , ولولا نهي عمر عنها ما زنى الاشقي . تفسير القرطبي 5: 130.

واذا كـان هنـاك شك في تحريمها تحريما مؤبـدا، من قبل الله تعـالى او الرسـول الأعظم (صـلى الله عليه وآلـه) [99] ، فانها على الأقل تبقى محللة في حالات الضـرورة والعنت والعسـر، ولعل تسـاؤل الشـيخ القرضـاوي عن نوعية التحـريم هل هو تحـريم مؤبد كتحـريم الأم والبنت والأخت؟ أم كتحـريم الميتة ولحم الخـنزير الـذي يرتفع في حـالات الضـرورة ، يلقي بعض الضـوء على هـذا الحل الاسـتثنائي المـؤقت، ويـدفع بالبـاحثين

و قـال ابـن حـزم في المحلى : قد ثبت على تحليلها بعد رسول اللّه جماعة من السلف (رض) منهم من الـصحـابـة اسـمـاء بـنت ابي بكر,وجابر بن عبد اللّه , وابن مسعود وابن عباس , ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن حريث وابو سعيد الخدري وسلمة ومعبد ابنا امية بن خلف , ورواه جابر عن جميع الصحابة مدة رسول اللّه ومدة ابي بكروعمر الى قرب آخر خلافة عمر. الـمـحـلـى لابـن حزم 9: 519 ـ 520, المسالة 1854.

[99] - لأن المتعة ظلت تمـارس من قبل المسـلمين في عهد ابي بكر وعمر الى اواخر ايامه حين نهى عنهـا. ففـي صـحيح مسـلم , والمصـنف لعبـد الرزاق , ومسند احمد, وسنن البيهقي , وغيرها واللفظ لمسلم عن جـابـر بـن عـبـد اللّه قـال: كـنـا نسـتمتع بالقبضـة من التمـر والـدقيق , الايـام , على عهد رسول اللّه (ص)وابي بكر, حتى نهى عنه عمر, في شان عمـرو بن حريث . . صحيح مسلم : 1023 , بـاب نكـاح المتعة , الحـديث 1405. وبشرح النووي 9ـ 183.والمصنف لـعبد الرزاق 7ـ 500, وفي لفظه ايام عهد النـبي . وسـنن الـبيهقي 7:ـ 237, بـاب ما يجـوز ان يكـون مـهــرا. ومـسـند احمد 3:ـ 304. وفي لفظه حتى نهانا عمر اخيرا... وذكره مـوجزا صاحب تهذيب التهذيب بترجمة موسى بن مسلم 10:ـ 371. وفتح البـاري 11: 76. وزاد المعاد لابن القيم 1: 205. وراجع كنز العمال 8: 293.
وفـي لفظ المصنف لعبد الرزاق عن عطاء عن جـابر: اسـتمتعنا على عهـد رسـول اللّـه (ص) وابي بكـر وعــمر حـتى اذا كـان في آخـر خلافـة عمـر استمتع عمرو بن حـريث بـامراة - سـماها جـابر فنسـيتها -فحملت المـراة فبلـغ ذلـك عمـر فـدعاها فسـالها, فقـالت : نعم . قـال : من اشـهد؟ قـال عطاء: لا ادري قالت : امي , ام وليها, قال : فهلا غيرهما,قـال : خشـي ان يكونا دغلا... المصنف لعبد الرزاق 7: 496 ـ 497, باب المتعة .
وفـي رواية اخرى عن محمد بن الاسود بن خلف : ان عمرو بن حوشب استمتع بجارية بكر من بني عامر بـن لـؤي : فــحملت , فـذكر ذلـك لعمـر فسالها, فقالت : استمتع منها عمرو بن حوشب , فساله فاعترف , فـــقال عمر: من اشهدت ؟ - قال - لا ادري اقال : امهـا او اختهـا او اخاهـا وامهـا, فقام عمر على المنبر, فـقال : ما بال رجال يعملـون بالمتعـة ولايشـهدون عدولا ولم يبينهـا الا حددتـه , قـال : اخـبرني هـذاالقول عن عمـر من كـان تحت منبره , سمعه حين يقوله , قال : فتلقاه الناس منه.

والفقهـاء لدراسة الموضـوع بجدية أكـبر ، بعيـدا عن صـخب الجدالات الطائفية القديمة.

أحاديث صحيحة حول زواج المتعة

البخاري حديث رقم 1469
حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا همام عن قتادة قال حدثني مطـــرف عن عمـــران رضي الله عنه قـــال تمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل القرآن قـال رجل برأيه ما شاء.

حديث رقم 4156
حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عمران أبي بكر حدثنا أبو رجاء عن عمـــران بن حصـــين رضي الله عنهما قـــال: أنـــزلت آية المتعة في كتـاب الله ففعلناها مع رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنها حتى مات قال رجل برأيه ما شاء.

حديث رقم 4249
حدثنا عمرو بن عون حدثنا خالد عن إسماعيل عن قيس عن عبد الله رضي الله عنه قال
كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا نساء فقلنا ألا نختصي فنهانا عن ذلك فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب ثم قرأ : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم).

وفـي كنز العمال : عن ام عبد اللّه ابنة ابي خيثمة ان رجلا قدم من الشام فنزل عليها فقال : ان العزبة قــد اشـتــدت عـلــي فــابغيني امـراة اتمتـع معها قالت : فدللته على امراة فشارطها واشهدوا على ذلك عـدولا فمكث معها ما شاء اللّه ان يمكث ثم انه خرج ، فاخبر بـذلك عمـر بن الخطـاب ، فارسـل الي فسـالني احــق مــا حـدثــت ؟ قلت : نعم، قـال : فـاذا قـدم فذنيني به، فلما قدم اخبرته فارسـل اليـه ، فقـال : مـا حملـك على الـذي فعلته ؟ قال : فعلته مـع رسـول اللّـه (ص) ثم لم ينهنـا عنـه حـتى قبضـه اللّه ، ثم مع ابي بكر فلم يـنـهـنـا حـتـى قبضه اللّـه ، ثم معـك فلم تحـدث لنا فيه نهيا ، فقال عمر: اما والذي نفسـي بيـده لـو كنت تقـدمت في نهي لرجمتك ، بينوا حتى يعرف النكاح من السفاح .

مسلم حديث رقم 2497
حـدثني محمد بن رافع حـدثنا عبد الـرزاق أخبرنا ابن جـريج أخبرني أبو الزبـير قـال سـمعت جـابر بن عبد الله يقـولا: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شـأن عمرو بن حريث.

حديث رقم 2496
و حدثنا الحسن الحلواني حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جـريج قـــال عطـــاء
قدم جابر بن عبد الله معتمـرا فجئنـاه في منزله فسـأله القـوم عن أشـياء ثم ذكـروا المتعة فقـال نعم اسـتمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر.

حديث رقم 2135
حـدثنا محمد بن المثـنى وابن بشـار قـال ابن المثـنى حـدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قـال سـمعت قتـادة يحـدث عن أبي نضرة قال:كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها قال فذكرت ذلك لجابر بن عبد الله فقـال على يـدي دار الحديث تمتعنا مع رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فلما قام عمر قال إن الله كان يحل لرسـوله ما شـاء بما شـاء وإن القرآن قد نزل منازله فـأتموا الحج والعمـرة لله كما أمـركم الله وأبتوا نكاح هـذه النسـاء، فلن أوتى برجل نكح امـرأة الى أجل الا رجمته بالحجارة.

مسند أحمد، مسند علي بن ابي طالب، حديث رقم 717
حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شـعبة عن قتـادة قـال قـال عبد الله بن شـقيق كـان عثمـان رضي الله عنه ينهى عن المتعة وعلي رضي الله عنه يـأمر بها فقـال عثمـان لعلي إنك كـذا وكذا ثم قـال علي رضي الله عنه لقد علمت أنا قد تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أجل ولكنا كنا خائفين.

الباب الثاني: خلاف التاريخ والسياسة

الفصل الأول: التاريخ
المبحث الأول: الموقف من الصحابة:

شكلت قضية الموقف من الصحابة، والغلو أو التقصير بحقهم، مادة للجدل والخلاف بين الشيعة والسنة عبر التاريخ. رغم أنها مشكلة أعمق من النزاع بين الطائفتين، إذ أن الموقف من الصحابة مسألة منهجية قائمة بذاتها وتعود الى مسألة القيم والأخلاق والمثل العليا الواردة في القرآن الكريم ومدى تطابقها مع حياة الصحابة، أي الى مسألة النظرية والتطبيق، وقد تناولها المسلمون من السنة والشيعة ولا يزال المفكرون من كلتا الطائفتين يتناولونها بعيدا عن الخلاف الطائفي وانطلاقا من قراءة التاريخ بصورة محايدة . ومع أنها مسألة تاريخية عادية الا انها وصلت أحيانا الى مستوى العقيدة التي تفصل بين الناس فتُدخل هذا في الدين أو تخرجه منه لتلقيه في النار. في الوقت الذي لم تكن هذه القضية تحتل أهمية كبرى لدى الصحابة أنفسهم وفي عصرهم. فضلا عن أن تشكل جزءا من العقيدة الاسلامية.

احتل صحابة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) دور الوسيط الناقل للرسالة الاسلامية ولتراث الرسول الأعظم للأجيال اللاحقة عبر الزمان والمكان، وشكلوا المثال الأعلى للأمة الاسلامية التي ظلت تستلهم الكثير من الأمور والملامح الأخلاقية من أشخاصهم الكريمة وتجاربهم الغنية، باعتبارهم الجيل المثالي الأول الذي عاصر الرسالة وساهم في تأسيس الأمة الاسلامية. وقد استحق الصحابة لعظم جهادهم أن يمدحهم الله تعالى في كتابه الكريم في أكثر من موضع حيث قال : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران 110 وقال تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رض الله عنهم ورضوا عنه وأعد هم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدأ ذلك الفوز العظيم). التوبة 100 وقال أيضا: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) الفتح 18 وفى الآية التاسعة والعشرين من السورة نفسها قال تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء عل الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في

الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) الفتح 29.

ولكن مع الأسف الشديد، ونظرا للفتنة الكبرى التي حدثت في أيامهم، فقد أصبح الصحابة الكرام مجالا للجدل والتشكيك والغلو والتجريح، وظهر في التاريخ من يهاجمهم بقسوة ومن يدافع عنهم بتطرف، حتى أصبح الحديث عنهم أو اتخاذ الموقف منهم سلباً أو إيجابا، بحد ذاته، موضوعا عقديا مهما يوازي أركان الدين ، ويلعب دورا في تقسيم المجتمع وتشكيل هوية الطوائف الثقافية والدينية. ولذا فان من المهم جدا بحث موضوع الموقف من الصحابة الكرام لدى السنة والشيعة بكل صراحة وتفصيل ووضع النقاط على الحروف، تمهيدا للتخلص من هذا الكابوس الثقيل، والتخلص من رواسب الماضي، خاصة بعد أن أصبح موضوع الخلاف بين "السنة" و"الشيعة" نفسه موضوعا تاريخيا لا معنى معاصرَ له.

لقد كان الخلاف حول الصحابة بين المسلمين، ثمرة مـرَّة من ثمار الفتنة الكبرى التي عصفت بجيل الصحابة أنفسهم، وقد حاول الصحابة أنفسهم تجاوز الفتنة والصلح فيما بينهم، ولكن ذيول الفتنة استمرت فيما بعدهم.. واستمرت.. واستمرت الى اليوم، ونرجو من الله العلي القدير ان يهب المسلمين الحكمة الكافية للملمة ما تبقى من ذيول تلك الفتنة، والتخلص منها، ورأب الصدع فيما بينهم.

ولكي نفهم مشكلة الموقف من الصحابة بشكل جيد لا بد من دراسة ظروف نشوئها التاريخية بدقة، وكيف تضخمت لتصبح موضوعا عقديا؟ ومن صنع ذلك؟ ولماذا؟

لم يكن الصحابة الكرام ملائكة معصومين ولا أشرارا، والعياذ بالله، ولكنهم كانوا فتية آمنوا بالله ورسوله ونصروا دينه وتحملوا في سبيل ذلك العذاب، وكانوا في نفس الوقت بشرا لهم مصالحهم وأهواؤهم واجتهاداتهم الخاصة وأخطاؤهم، وكان فيهم المؤمنون والمنافقون، وربما كان المؤمنون منهم أيضا يتفاوتون في الفضل ودرجات الإيمان، التي لا يعلمها الا الله، وقد ترسخت مكانتهم بسبب إيمانهم وتضحياتهم وعملهم الصالحات وتجنبهم المعاصي والذنوب. ورغم وضوح هذه الحقيقة القرآنية الا أن هناك من اعتقد أويعتقد أن الصحابة احتلوا مكانتهم العليا بسبب

رؤيتهم للرسول الأكرم ومصاحبتهم له ولو لساعة، مهما اقترفوا بعد ذلك من الذنوب والمعاصي، وانهم مغفور لهم بالتأكيد. وبناء على ذلك فقد حرموا توجيه أي نقد لعموم الصحابة أو اتخاذ أي موقف سلبي من أي واحد منهم، واعتبار ذلك كفرا وزندقة وإلحادا.

واذا كان السب مرفوضا لأي انسان يختلف معنا في الرأي، فان من الطبيعي ان يكون سب أو لعن أي صحابي جليل، مهما كان، مرفوضا بشدة، ولكن ذلك لا يمنع من قراءة التاريخ بأمانة وتحليل الأحداث التي وقعت بين الصحابة وأخذ العبرة منها، وتعظيم الانجازات الرائعة والبطولات الباهرة التي قام بها الصحابة الكرام، وتجنب الأخطاء التي وقع فيها البعض منهم، فنحن مأمورون باتباع الدين الاسلامي والعمل الصالح والاقتداء بسنة سيد المرسلين ومن يتبعه بإحسان الى يوم الدين.

ان المشكلة في مسألة الصحابة تنبع من المتطرفين من السنة والشيعة، وقيام بعض هؤلاء بالتهجم على خيار الصحابة، وقيام بعض أولئك بالدفاع حتى عن السيئين منهم. هذا اذا كانوا يعترفون بوجود سيئين أو منافقين فيهم. ولو كان الطرفان يتفقان على وجود قاسم مشترك يميز بين الصالحين والطالحين، لما كانت هنالك حاجة للحديث عن الموضوع، ولما كانت هنالك أية إثارة أو توتر حول هذا الموضوع.

ومن أجل أن نضع النقاط على الحروف، لا بد ان نستعرض أولاً النظرية الإسلامية الأولى حول الصحابة، ثم نستعرض النظريتين السنية والشيعية، ونبين نقاط الالتقاء والاختلاف بينهما، أو نقاط الاعتدال والتطرف لدى الفريقين، أملا في الوصول الى نظرة مشتركة ومعتدلة توحد بين المسلمين وتزيل ما بينهم من خلافات وأحقاد.

1 - النظرية الاسلامية الأولى

لكي نعرف المقياس الاسلامي حول منبع العظمة والجدارة للصحابة وغيرهم، يجدر بنا العودة الى القرآن الكريم الذي نراه يربط الدرجة العليا لأي انسان بالعمل الصالح حتى لو كان من أقرب المقربين للرسول الأعظم، او النبي نفسه، حيث يقول:" وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ". الزمر 65 ، و"وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً *إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً". الاسراء 74 – 75،

ويقـول الله عز وجل متحـدثا عن نبيه الكـريم:"وَلَـوْ تَقَـوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ". الحاقة 44 ـ 47 ويأمر الله تعالى نبيه الكريم:" قل إني أخاف إن عصيت ربي عـذاب يـوم عظيم". وقد وردت هذه الآية مرتين في سـورة الأنعـام آية 15 والزمر آية 13، وتأكيدا لهذا المفهوم يقول النبي الأكرم (ص) نفسـه:"إنه لا ينجي إلا عمل مع رحمة. ولو عصيت لهويت".

إذن فـان قيمة أي انسـان في المقيـاس الاسـلامي، حـتى بالنسبة للأنبياء، تأتي من الإيمان بالله تعـالى والعمل الصـالح، ولا تـأتي من الصـحبة أو القـرب من الأنبيـاء أو الفراعنـة، فقد قـال تعالى:"ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامـرأة لـوط كانتا تحت عبـــدين من عبادنا صـــالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا، وقيل ادخلا النار مع الـداخلين، وضـرب الله مثلا للـذين آمنـوا امـرأة فرعـون إذ قـالت رب ابن لي عنـدك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظـالمين". التحـريم 10 11

وبناء على هذا الأساس يخاطب الله تعالى نساء النبي وهن أقرب الناس اليـه:" يا نسـاء النـبي من يـأت منكن بفاحشة مبينة يضـاعف لها العـذاب ضـعفين وكـان ذلك على الله يسـيرا. ومن يقنت منكن لله ورســـوله وتعمل صـــالحا نؤتها أجرها مـــرتين، وأعتدنا لها رزقا كريما" الأحزاب 3- 31

أي إن منزلة أهل الـبيت، وخاصة نســاء النــبي، فضلا عن الصـحابة، ليست نابعة من قـربهم أو صـحبتهم للنـبي، وانما من طاعة الله والعمل الصـالح، بل ان معصـية أهل الـبيت لله تعـالى تستوجب مضاعفة العذاب، لقرب أهل البيت من النـبي وسـقوط العـذر عنهم. وكـذلك فـان منزلة الصـحابة تـأتي من أعمـالهم الصالحة وطاعة اللـه، وربما يمكن القـول أيضـا:ان معصـيتهم لله تسـتوجب مضـاعفة العـذاب لهم. ولا توجد حصـانة خاصة لهم، أو هالة مقدسة تمنعهم من الخطأ أو مواجهة العــذاب. وبهــذا يتضح أن ما يوجد لدى "أهل السنة" من أحاديث أو تـأويلات واجتهـادات هي ضعيفة ومناقضة للقرآن الكريم، وتأخذ جانب العموم دون أن تلحظ الآيات الأخرى المخصصة.

ميزان العمل الصالح

يؤكد الله تعالى على ميزان العمل الصالح الى جانب الإيمان به وباليوم الآخر، في أكـثر من خمسـين آية في القـرآن الكـريم، مثل:

1- ان الذين امنوا وعملوا الصـالحات وأقـاموا الصـلاة وآتـوا الزكـــاة لهم أجـــرهم عند ربهم ولا خـــوف عليهم ولا هم يحزنون .البقرة 277

2- فاما الـذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات فيـوفيهم أجـورهم ويزيـدهم من فضـله واما الـذين اسـتنكفوا واسـتكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجـدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا . النساء 173

3- وعد الله الـــذين امنـــوا منكم وعملـــوا الصـــالحات ليسـتخلفنهم في الأرض كما اسـتخلف الـذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الـذي ارتضى لهم وليبـدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشـركون بي شـيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون .النور 55

وهي آيات عامة ومطلقة تشمل الصحابة وغيرهم، فكيف يلغي الله تعـالى هـذا المـيزان المهم في جيل الصـحابة لمجـرد انهم شـاهدوا الرسـول او اسـتمعوا اليه دون ان يعملـوا بالاسـلام أو يحترموا تعاليم الله؟ بل ان هنالك آيات تصرح باسـتحالة مسـاواة الله تعـالى للمؤمـنين العـاملين صـالحا بالمفسـدين والفجـار والمسيئين، مثل هذه الآيات:

4 - أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسـدين في الأرض، أم نجعل المتقين كالفجار. ص، 28

5 - وما يســتوي الأعمى والبصــير والــذين آمنــوا وعملــوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون. غافر 58

6 - ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالـدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما. النساء 93

وفي هـذه الآية الأخـيرة يؤكد الله عز وجل على معاقبة القاتل المتعمد ومجازاته بجهنم وتخليده فيها وغضـبه عليه ولعنه وإعـداد العذاب لـه، دون أن يسـتثني الصـحابة من ذلـك، لأن قـانون الله للجميع، وإذا كان للصحابة من شرف فهو شرف الإيمان والطاعة والتضحية والتقوى والنصرة.

وهذا يقودنا الى حديث الإيمان والمؤمنين والنفاق والمنـافقين في جيل الصـــحابة، فهل كل من رأى النـــبي آمن به بصـــورة سـحرية؟ وهل كل من آمن به علنا آمن به في الواقـع؟ وهل كل من آمن به في الواقع ظل محافظا على إيمانه الى آخر يــوم من حياته؟ وهل كل من حافظ على إيمانه ظل محافظا على مستوى إيمانه عاليا الى آخر لحظة من حياته؟

لقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ان من هاجر الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسـوله، ومن هـاجر من أجل امرأة يصـيبها أو دنيا فهجرته الى ما هـاجر اليـه. وقـال أيضـا:"ما ذئبان ضـاريان أرسلا في زريبة غنم بأشد ضـررا على دين الرجل المسلم من حب المال وحب الجاه".

وهناك شهيد معروف بشهيد الحمار أو شهيد أم عمرو، مما يعني تعرض الصـحابة الى امتحـان الـدنيا وخاصة الزعامـة، الـتي تبعدهم عن التقوى والاخلاص والعمل الصالح، وقد تقلب إيمــانهم الى نفاق وتؤدي بهم الى الردة.

وقد كان بعض أصحاب رسول الله المعنيين بأمر المنافقين، كحذيفة بن اليمـان رضي الله عنـه، يلاحظـون تزايد النفـاق بعد وفـاة رسـول اللـه، نتيجة الإقبـال على الـدنيا، ولـذا كـان حذيفة يقـــول :"إن المنــــافقين اليــــوم شر منهم على عهد رســـول اللــه(صـلى الله عليه وسـلم)، كـانوا يومئـذٍ يسِـرون، واليـوم يجهرون". ويقول أيضا: "إنما كان النفاق على عهد النبي (صـلى الله عليه وســـلم) فأما اليـــوم فإنما هو الكفر بعد الإيمـــان". ويخاطب المسـلمين محـذراً:"إنكم اليـوم معشر العـرب لتـأتون أموراً إنها لفي عهد رسول الله (صلى الله عليه وسـلم) النفـاق على وجهه".[100]

ومن هنا يحذر الله تعالى أصحاب النبي ، من الوقوع في الفتنة والانقلاب والردة، ويتوعد المنقلبين منهم بالعذاب والخسران، حيث يقول عز وجل:"مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ". آل عمران 179، ويقول مخاطبا الجيل الأول من المسلمين، في

[100] - مسند أحمد ج:5 ص:391 حديث حذيفة بن اليمان عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، واللفظ له. مجمع الزوائد ج:10 ص:64 كتاب المناقب: باب ما جاء في الكوفة.

أعقاب معركة بدر:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ". الأنفال 24[101] ويقول تعالى محذرا الصحابة:"وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ".آل عمران 144 ويحذرهم أيضا:" وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ".آل عمران 105 - 107

ويمكننا ملاحظة هذا المفهوم النسبي في فضل الصحابة، المشروط بالعمل الصالح، في قوله تعالى:"يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم".محمد 33 وفي قوله تعالى:".. ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون". البقرة 217 وقد حذر رسول الله (ص) المسلمين يوم العقبة من التفرقة والاقتتال الداخلي والكفر، فقال:" يا أيها الناس ألا إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ فقلنا: نعم. فقال: اللهم أشهد. ثم قال: ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض".[102]

وقد ذكر البخاري عدة روايات عن الرسول الأكرم (ص) في كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة).

حديث رقم 7048 – حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا بشر بن السري: حدثنا نافع بن عمر عن ابي مليكة قال : قالت أسماء

---

[101] - وقد ورد عن عون بن قتادة قال:حدثني الزبير بن العوام. قال: لقد حذرنا رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** فتنة لم نر أنا نخلق لها. ثم قرأ: "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً" فقرأناها زماناً، فإذا نحن المعنيون بها. قال: فحيث كان هذا فلِمَ خرجتم؟ قال: ويحك، نحن نعلم، ولكن لا نصبر.

[102] - ابن سعد، الطبقات الكبرى ج:3 ص:260 ـ 261 (في ذكر ومن حلفاء بني مخزوم: عمار بن ياسر).

عن النبي (ص)، قال:" أنا على حوضي أنتظر من يرِد علي، فيؤخذ بناس من دوني، فأقول: أمتي، فيقول: لا تدري مشوا على القهقرى".

حديث رقم 7049 – حدثنا موسى بن اسماعيل: حدثنا أبو عوانة عن مغيرة، عن أبي وائل، قال قال عبد الله: قال النبي (ص) :"أنا فرطكم على الحوض، فليرفعن الي رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب، أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك". وفي أحاديث أخرى (رقم 7050 و 7051):"ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يُحال بيني وبينهم". فأقول: "انهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدي".

إذن فان الله تعالى لم يعط الصحابة شيكاً على بياض، ولم يعدهم الجنة لمجرد صحبتهم للرسول بغض النظر عن أعمالهم، ولم يستبعد عنهم النفاق والشرك والردة، وانما طالبهم بالثبات على الإيمان والطاعة والإخلاص.

وبناء على هذا المقياس كان الصحابة أنفسهم يعظم بعضهم بعضا ويقدرون جهاد المجاهـدين وطاعة المطيعين، في حين أنهم كانوا ينتقدون بعضهم بعضا لو صدرت من أحدهم خطيئة أو ظنـوا انه اقـترف معصـية، حـتى لو كـان من أصـحاب بـدر وأحـد، ومن السابقين الأولين أو المهاجرين والأنصار، فقد أخرج البخاري: إن رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه) قـال: "من يعـذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي" فقام سعد بن معاذ فقـال: يا رسـول اللـه، أنا والله أعذرك منه، إن كـان من الأوس ضـربنا عنقـه، وإن كـان من إخواننا من الخـزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمـرك، فقـام سـعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحميّة، فقال: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقـدر على ذلـك، فقـام أسـيد بن حضـير، فقـال: كـذبت لعمر اللـه، والله لنقتلنه فإنك منـافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيّان الأوس والخزرج حتى همـوا أن يقتتلوا ورسول الله (صلى الله عليه وآلـه) على المنـبر فلم يـزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت.[103]

ففي هذه الرواية نجد صحابياً يؤذي النـبي! وصـحابيا يتهم آخر بـــدرياً، وفي حضـــرة الرســـول، بأنه منـــافق. وذلك لأن مفهـــوم الإطلاق لم يكن معروفا لدى الصحابة وانما كـانت نظـرة بعضـهم الى بعضهم نسبية، تحتمل ارتفاع الإيمان او انخفاضه لـدى الخطأ أو الانحراف. وهذا ما يفسر اختلاف الصحابة رضي الله عنهم يوم

---

103 - البخاري، ج 3 ص 156 و ج 6 /8

السقيفة، وغضب عمر من سـعد بن عبـادة الـذي رفض بيعة أبي بكر، وقوله :"قتله الله".[104] وكذلك قول عمر لخالد بن الوليد بعد قتله مالك بن نويرة ودخوله بزوجته:"يا عدو الله". واذا عـدنا الى تفاصيل الشورى التي عهد بها عمر الى أفضل ستة من الصحابة، وتأكيده على ضرورة انتخاب واحد منهم، حـتى ثلاثة أيـام، وقتلهم اذا لم ينتخبـوا أحـدا أو لم يـذعن له الآخـرون، فاننا يمكن ان نسـتنتج قـانون النسـبية في ثقافة عمـر، وعـدم وجـود أحد من الصحابة فوق الخطأ والتقصير، أو استحقاق العقاب ومنه القتل.

الفتنة الكبرى

واذا عدنا الى قراءة ملف الفتنة الكبرى، لوجـدنا فيه مواقف عديدة من مختلف الأطراف، ومن الصـحابة والتـابعين، تـدل على فهمهم النسـبي ، لا المطلـق، لفضل الصـحابة، واحتمـال افتقـاد بعضهم لدرجة الإيمان العليا، والاتصـاف بالنفـاق والـردة والكفـر. ولا نهـدف من فتح ملف التـاريخ نكأ جـراح الماضي بقـدر ما نريد أخذ العـبرة منـه، والتأكد من حقيقة الفهم النسـبي لفضل الصـحابة، أو عـدم تقديسـهم جميعا والقـول بعـدالتهم أو عصمتهم.[105]

---

[104] - أخرج البخاري قصة سعد وفيها:فأخذ عمر بيده [بيد أبي بكـر] فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل قتلتم سـعدا، فقـال عمـر: قتله اللـه، وفي رواية لابن حبـان: ونزونا على سـعد بن عبـادة، فقـال قائل من الأنصـار: قتلتم سعدا، قال عمر فقلت وأنا مغضب: قتل الله سعدا فإنه صاحب فتنة وشر.

[105] - ذكر الطبري: كان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمـان سـتمائة رجل على أربعة ألوية لها رءوس أربعـة، مع كـلّ رجل منهم لـواء؛ وكـان جمـاع أمرهم جيمعاً إلى عرمو بن بديل بن ورقاء الخـزاعيّ - وكـان من أصـحاب النبيّ صلى الله عليه وسلّم - وإلى عبد الرحمن بن عديس التُّجيبيّ؛ فكـان فيما كتبوا إليه: بسم الله الرحمن الـرحيم؛ أمّا بعـد، فـاعلم أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسـهم؛ فالله اللـه! ثم الله اللـه! فإنك على دنيا فاستتمَّ إليها معها آخرة، ولا تلبس نصيبك من الآخرة؛ فلا تسوغ لك الـدنيا. واعلم أنّا والله لله نغضـب، وفي الله نرضـى؛ وإنا لن نضع سـيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرّحة، أو ضلالة مجلّحة مبلجة؛ فهذه مقالتنا لك، وقضيّتنا إليك، والله عذيرنا منك. والسلام.

وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، ويحتجّون ويقسمون له بالله لا يمسـكون عنه أبـداً حـتى يقتلـوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حـقّ الله.

قالوا: فإنا لا نعجّل عليك؛ إن كنا قد اتّهمناك، اعزل عنّا عمّالك الفسّاق، واستعمل علينا من لا يتّهم على دمائنا وأموالنا، واردد عليها مظالمنـا. قـال عثمـان: ما أراني إذاً في شـيء إن كنت أسـتعمل من هـويتم، وأعـزل من

يذكر المؤرخون أن المسلمين بدءوا ينتقدون سياسة عثمـان في السنوات الست الأخيرة من عهـده، لأمـور أخـذوها عليـه، ولا نريد التحـدث عنها الآن، وكـان من أبـرز منتقـدي عثمـان أبو ذر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود، الذين كـان جـزاؤهم النفي والضرب والتعذيب، الى درجة انهم أخذوا يتهمون عثمان بالنفـاق والكفر وتبـديل الـدين.[106] وقد روي أن الزبـير كـان يحـرض على قتل عثمــان قــائلا:" اقتلــوه فقد بــدل دينكم".[107] كما ينقل عن السيدة عائشة قولها:"اقتلوا نعثلا فقد كفر".[108]

قال البـاقلاني: "وقد روي أنه (أي عمـار) كـان يقـول: عثمـان كافر. وكان يقول بعد قتله: قتلنا عثمان ويوم قتلناه كافراً...". [109]

وفي المقابل كان بعض أنصار عثمان كأبي الغادية يتحرق شوقا لقتل عمار، حتى تمكن منه في حرب صفين فقتله، رغم قول النبي له:"ويح عمار تقتله الفئة الباغية". ولذلك يقول كلثوم:"فلم أرَ رجلاً أبين ضلالة عندي منه، إنه سمع من النبي (صلى الله عليه وسلم) ما سمع ثم قتل عماراً... وأخبر عمرو بن العاص فقال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: إن قاتله وسالبه في النار".[110] وهذه الرواية تتضمن تصريحا بالوعد بالنار لمن يقتل عمارا حتى لو كان صحابيا، فكيف نأتي بعد ذلك ونقول ان جميع الصحابة عدول؟ وكلهم في الجنة؟

كرهتم، الأمر إذاً أمركم! قـالوا: والله لتفعلنّ أو لتعـزلنّ أو لتقتلنّ، فـانظر لنفسك أودع. فـأبى عليهم وقــال: لم أكن لأخلع ســربالاً ســربلنيه اللــه، فحصروه أربعين ليلة، وطلحة يصلّي بالناس.

قال محمد: وحدّثني إبراهيم بن سالم، عن أبيه، عن بسر بن سـعيد، قـال: وحدّثني عبد الله بن عيّـاش بن أبي ربيعـة، قـال مـرّ طلحة بن عبيد اللـه؛ فوقف فقال: أين ابن عديس؟ فقيـل: ها هو ذا، قـال: فجـاءه ابن عـديس، فناجاه بشيء، ثم رجع ابن عـديس فقـال لأصـحابه: لا تـتركوا أحـداً يـدخل على هذا الرجل؛ ولا يخرج من عنده. قال: فقال لي عثمـان: **هـذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله. ثم قال عثمان: اللهمّ اكفــني طلحة بن عبيد اللــه، فإنه حمل عليّ هــؤلاء وألّبهم؛ والله إني لأرجو أن يكون منها صفراً، وأن يسفك دمه، إنه انتهك مني ما لا يحلّ له**
.
تاريخ الطبري ، الجزء الرابع، السنة الخامسة والثلاثين، ذكر من سار الى ذي خسب
http://www.alwaraq.com/index2.htm?i=49&page=1

وعندما خالف عثمان شروط البيعة والعهد الذي أخذه عليه عبد الرحمن بن عوف بعدم تولية أقاربه من بني أمية على رقاب الناس، انسجاما مع سيرة الشيخين، قال عبد الرحمن لعلي بن أبي طالب:"إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي، انه قد خالف ما أعطاني" وحلف أن لا يكلم عثمان طيلة حياته.[111] وعاده عثمان في مرضه فلم يكلمه، ومات وهو مهاجر له، وأوصى أن لا يصلي عليه.[112] وفي مقابل ذلك، كان عثمان يتهم عبد الرحمن بن عوف بالنفاق، ويعده منافقاً . حتى روي عن عبد الرحمن أنه قال:"ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان: يا منافق".[113]

وربما كان أشد بيان صدر عن صحابة رسول الله في المدينة ضد عثمان، هي رسالتهم التالية الى إخوانهم في الآفاق:" إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عز وجل

---

106 - مجمع الزوائد ج:9 ص:97، 98 باب: فيما كان من أمره (عثمان) ووفاته (رضي الله عنه). المعجم الكبير ج:1 ص:81 في ذكر (سن عثمان ووفاته).

107 - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج:9 ص:35 ـ 36 في شرح كلام للإمام (عليه السلام) في شأن طلحة والزبير: (والله ما أنكروا عليَّ منكراً...).

108 - الجامع للأزدي ج:11 ص:355 ـ 356 باب الفتن.

109 - الباقلاني، التمهيد ص: 220.

110 - ابن سعد، الطبقات الكبرى ج:3 ص:260 ـ 261 (في ذكر ومن حلفاء بني مخزوم: عمار بن ياسر).

111 - أنساب الأشراف ج:5 ص: 57 (في قول عبد الرحمن بن عوف في عثمان(رضي الله عنه)). تاريخ أبي الفداء ج:1 ص:166 (في ذكر مقتل عمر(رضي الله عنه)) .العقد الفريد ج:4 كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم ص: 280 في (أمر الشورى في خلافة عثمان بن عفان)، و ص:305 (في ما نقم الناس على عثمان).

112 - تـــاريخ أبي الفـــداء ج:1 ص:166 في (ذكر مقتل عمر (رضي الله عنه)).) شرح نهج البلاغة ج:1 ص:196. العقد الفريد ج:4 كتاب العسـجدة الثانية في الخلفـاء وتـواريخهم وأخبـارهم ص: 280 (في أمر الشـورى في خلافة عثمـان بن عفـان)، و ص:305 (في ما نقم النـاس على عثمـان). المعارف لابن قتيبة ص:550 في (المتهـاجرون). و أنسـاب الأشـراف ج:5 ص:57 في (قول عبد الرحمن بن عوف في عثمان (رضي الله عنه)).

113 - الصواعق المحرقة ص:112 تتمة الفصل الثالث من الباب السابع: في (نقم الخوارج عليه (رضي الله عنه)).السيرة الحلبية ج:2 ص:273 باب الهجرة إلى المدينة. و شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، ج:20 ص: 25.

تطلبون دين محمد، فإن دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك، فهلموا فأقيموا دين محمد" فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه.[114]

ورغم كل التأويلات التي يقوم بها البعض في تفسير اقتتال المهاجرين الأولين (طلحة والزبير وعائشة وعلي) وأتباعهم في حرب الجمل، والقاء اللوم على فئة منافقة مدسوسة بين الطرفين، فان وقوع تلك الحرب الطاحنة التي ذهب ضحيتها الآلاف من المسلمين، دليل على نظرة الصحابة النسبية لأنفسهم، وعدم وجود مفهوم العدالة المطلقة أو العصمة، الذي نشأ فيما بعد في القرون التالية، لدى فريق من أهل السنة.

أما في صفين فان الصورة بدت أكثر وضوحا، حيث كان الامام علي يلعن معاوية ومجموعة من أعوانه في صلاته، ويقنت عليهم قائلا:"اللهم العن معاوية وعمروا وأبا الأعور السلمي وحبيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد". فيما كان معاوية يلعن عليا والحسن والحسين وابن عباس ومالك الأشتر.[115] وظل معاوية يلعن الامام علي حتى بعد صلحه مع الحسن، حيث أمر ولاته بسب الامام على المنابر، وهو ما أثار ردة فعل من قبل بعض أصحاب الامام مثل الصحابي الجليل حجر بن عدي الذي احتج على المغيرة بن شعبة في الكوفة لسبه الامام علي، فاعتقله المغيرة وأرسله مع مجموعة من أصحابه الى معاوية الذي أمر بهم فضربت أعناقهم صبرا في مرج عذراء في الشام. وقد استُعمِل على المدينة رجل من آل مروان، فدعا سهل بن سعد، فأمره أن يشتم عليا، فأبى سهل، فقال له: أمَّا إذ أبيتَ، فقل: لعن الله أبا تراب. وقد استمر لعن الامام علي على منابر بني أمية حوالي ستين عاما الى أن جاء عمر بن عبد العزيز فأصدر أمرا بوقف ذلك.[116]

---

[114] - تاريخ الطبري ج:2 ص:662 في ذكر (الخبر عن قتله (عثمان) وكيف قتل).

[115] - تاريخ الطبري ج:3 ص:113 في ذكر (اجتماع الحكمين بدومة الجندل).

[116] - يقـول الشـيخ محمد بن المختـار الشـنقيطي في كتابـه: (الخلافـات السياسـية بين الصـحابة):"توجد مع الأسف أحـاديث صـحيحة تفيد بـأن معاوية وأمراءه كانوا يسبون ويلعنـون أمـير المؤمـنين علي بن أبي طـالب على المنابر، ويـأمرون النـاس بـذلك، ومنها: " عن عـامر بن سـعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا، فقـال: ما منعك أن تسب أبا تراب [عليا] ، فقال [سعد] : أمَّا ما ذكـرتُ ثلاثا قـالهن له رسـول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبه، لأن تكون لي واحـدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول لعلي

ويسجل التاريخ مواقف وأقوالا لكثير من التابعين، وتابعي التابعين، ومنهم من يحظى باحترام أئمة أهل السنة [117]، فضلا عن بعض الخلفاء العباسيين الأوائل، الذين كانوا ينتقدون هذا الصحابي أو ذاك، مما يدل على عدم وجود إجماع على تقديس الصحابة والاعتقاد بعدالتهم جميعا، في العصور الأولى ، قبل أن ينشأ مفهوم الاطلاق لدى بعض المحدثين في القرن الثاني الهجري، ونشوء النظرية السنية المطلقة حول الصحابة.[118]

وخلفَه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسـول الله تخلفـني مع النسـاء والصبيان؟ فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: أما ترضى أن تكـون مني بمنزلة هـارون من موسى إلا أنه لا نبـوة بعـدي، وسـمعته يقـول يـوم خيـبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسـوله ويحبه الله ورسـوله، قـال [سـعد]: فتطاولنا لها فقـال: ادع لي عليا فأتـاه وبه رمد فبصق في عينه فـدفع الراية إليه ففتح الله عليـه، ولما أنـزلت هـذه الآية "قل تعـالوا نـدع أبناءنا وأبنـاءكم" الآية .. دعا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم عليا وفاطمة وحسنا وحسـينا فقـال: اللهم هـؤلاء أهلي... « (159) زادت بعض الروايـات: »فلا والله ما ذكـره معاوية بحـرف حـتى خـرج من المدينـة« (160) أو :» فلا والله ما ذكره ذلك الرجل بحرف حتى خرج من المدينة« (161) »وعند أبي يعلى عن سـعد من وجه آخر لا بـأس به قـال: لو وضع المنشار على مفرقي على أن أسب عليا ما سببته أبـدا" (162) و"عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: اسـتُعمِل على المدينة رجل من آل مـروان، قال: فدعا سهل بن سعد، فأمره أن يشتم عليا، قـال: فـأبى سـهل، فقـال له: أمَّا إذ أبيتَ، فقل: لعن الله أبا تـراب، فقـال سـهل: ما كـان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرح إذا دعي بها« (163) و"عن عمير بن إسحاق قال كـان مـروان أمـيرا علينا ست سـنين فكـان يسب عليا كل جمعة ثم عزل ثم استعمل سعيد بن العاص سنتين فكـان لا يسـبه ثم أعيد مروان فكان يسـبه« (164) وعن عبـدالرحمن بن الأخنس أن المغـيرة بن شعبة خطب، فنال من علي، قـال: فقـام سـعيد بن زيد فقـال: أشـهد أني سمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول: رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم في الجنـة، وأبو بكر في الجنـة، وعمر في الجنـة، وعلي في الجنـة، وعثمـان في الجنـة، وعبد الـرحمن في الجنـة، وطلحة في الجنـة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، ثم قال: إن شـئتم أخـبرتكم بالعاشـر، ثم ذكر نفسه. ورواه الإمام أحمد أيضا عن وكيع عن شـعبة" (165) و"عن عبدالله بن السهو قـال: لما بويع لمعاوية بالكوفة أقـام المغـيرة بن شـعبة خطباء يلعنون عليا رضي الله عنه، قال: فأخذ بيدي سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقـال: ألا تـرى إلى هـذا الرجل الظـالم يـأمر بلعن رجل من أهل الجنة أشهد على تسعة أنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم أبـال.." (166).

[117] - كيحـيى بن عبد الحميد وعبد الـرزاق الصـنعاني ويـونس بن خبـاب الأسـدي، وأبي الحسن أحمد بن علي الغزنـوي، وأبي اسـرائيل الملائي، وأزهر الحـراني وأسد بن وداعـة، وتليد بن سـليمان المحـاربي الكـوفي،

إذ ينقل عن الحسن البصري قوله:"أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة. واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير. وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله **(ص)**: الولد للفراش، وللعاهر الحجر. وقتله حجراً. ويلاً له من حجر.مرتين".[119]

وبخصوص معاوية لم يكن كثير من الصحابة وأجلاء التابعين ينظرون اليه كصحابي مؤمن أو خليفة عادل، ولذلك فعندما توفي، اجتمع من تبقى من شيعة الامام علي في الكوفة وأرسلوا الى الامام الحسين رسالة يستدعونه اليهم، وقد جاء فيها:" للحسين بن علي، من سليمان بن صرد والمسيب بن نجية ورفاعة بن شداد البجلي وحبيب بن مظاهر وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة : سلام عليك فانا نحمد إليك الله الذي لا اله إلا هو .. أما بعد : فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها واستبقى أشرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعدا له كما بعدت ثمود . انه ليس علينا إمام ، فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق ".[120]

وهناك أحاديث يرويها أهل السنة تؤكد دخول بعض الصحابة في النار، مما ينقض نظرية عدالة جميع الصحابة التي تبلورت في القرن الثاني أو الثالث الهجري.

والحكم بن ظهير الفزاري ابن أبي ليلى الكوفي، وربيعة بن يزيد السلمي، وجعفر بن سليمان. وكان مؤسس المعتزلة واصل بن عطاء يقول ان أحد المتحاربين من الصحابة فاسق من غير تحديد له، ولهذا كان يطعن في عدالتهم ولا يقبل شهادة أحد منهم، بينما كان النظام يعتبر أبا هريرة من أكذب الناس.

118 - عندما انتصر جيش الدعوة العباسية، ودخل الكوفة، وبويع أبو العباس السفاح، خطب داود بن علي بن عبد الله بن العباس ـ وهو على المنبر أسفل من أبي العباس السفاح بثلاث درجات ـ فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي، ثم قال:"أيها الناس إنه والله ما كان بينكم وبين رسول الله **(صلى الله عليه وآله وسلم)** خليفة إلا علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين هذا الذي خلفي". تاريخ الطبري ج:4 ص:350 في (ذكر بقية الخبر عما كان من الأحداث في سنة اثنين وثلاثين ومائة: تمام الخبر عن سبب البيعة لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي...).

قال يعقوب بن سفيان ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا أبي ثنا شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي هريرة أن رسول الله قـال لعشـرة من اصـحابه:" آخـركم موتا في النـار" فيهم سـمرة بن جندب قال أبو نضرة فكـان سـمرة آخـرهم موتـا. قـال الـبيهقي: رواته ثقـات إلا أن أبا نضـرة العبـدي لم يثبت له من أبي هريـرة سـماع والله أعلم. ثم روى من طريق إسـماعيل بن حكيم عن يـونس بن عبيد عن الحسن عن أنس بن حكيم قـال كنت أمر بالمدينة فألقى أبا هريرة فلا يبدأ بشيء حتى يسألني عن سـمرة فلو أخبرته بحياته وصحته فرح وقال: إنا كنا عشرة في بيت، وإن رسـول الله قـام علينا ونظر في وجوهنا وأخذ بعضـادتي البـاب وقـال:" آخـركم موتا في النـار". فقد مـات منا ثمانية ولم يبق غـيري وغـيره فليس شـيء أحب إلي من أن أكـون قد ذقت المـوت. وله شـاهد من وجه آخر وقـال يعقـوب ابن سـفيان ثنا حجاج بن منهال ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أوس بن خالد قـال كنت إذا قـدمت على أبي محـذورة سألني عن سـمرة وإذا قـدمت على سـمرة سـألني عن أبي محـذورة فقلت لأبي محـذورة مالك إذا قـدمت عليك تسـألني عن سـمرة وإذا قـدمت على سمرة سألني عنك؟ فقال إني كنت أنا وسـمرة وأبو هريـرة في بيت فجاء النبي فقال:" آخـركم موتا في النـار" قـال فمـات أبو هريرة ثم مات أبو محذورة ثم مات سمرة.[121]

الإعلام الأموي

ومن هنا ، ونظرا لعدم وجود إجماع على عدالة جميع الصحابة، في صدر الإسلام، ووجود النظرة النسبية المحتملة للردة والنفاق والضـلال، وتوقف مكانة الصـحابي على العمل الصـالح، بما يتفق مع القرآن الكـريم وأحـاديث نبوية متـواترة وثابتـة، فـان علامـات استفهام كثيرة ترتسم على بعض الأحاديث أو أخبار الآحـاد، الـتي تشير الى عدالة جميع الصـحابة، وتنهى عن سـبهم. وتعطي فضلا خاصا لكل من رأى النـبي ولو سـاعة أو سـمع منه ولو كلمـة.[122] ويثـور الشك حـول تلك الروايـات الـتي شـكلت أسـاس النظرية السـنية المتطرفة حـول الصـحابة، بأنها كـانت من اختلاق الإعلام

[120] - المفيد، الارشاد، ص 204

[121] - ابن كثير،كتاب البداية والنهاية، الجزء 6 صفحة 226.

[122] - وفي هذا المجال ينقل عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه كان يقول: "لا تسبُّوا أصحاب محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فَلَمقام أحدهم ساعةً خـيرٌ من عمل أحدكم عُمُرَه".رواه ابن ماجه.

الأموي ، وخاصة أيام حكم معاوية، "الطليق" الذي حـارب الامـام علي والمهاجرين والأنصار، وانتزع السـلطة منـه، وحـاول إدخـال نفسه في صفوف "الصحابة" حتى يفرض نفسه على المســلمين خليفة بلا منازع، ويفعل ما يشاء.

ويبـــدو ان المقصـــود من تلك "الأحـــاديث الناهية عن سب الصـحابة" هو منع انتقـاد معاوية أكـثر من النهي عن سب خيـار الصـحابة، والا فانها لا تـذكر عند قيـام معاوية والأمـويين بسب الامام علي وأهل بيته وشيعته.[123]

المعتزلة ينقدون الصحابة

وينقل ابن أبي الحديد، في (شرح نهج البلاغة) عن بعض الزيدية المعتزلة، قولهم:" انا رأينا الصحابة أنفسـهم ينقد بعضـهم بعضـا، بل ويلعن بعضهم بعضا، ولو كـانت الصـحابة عند نفسـها بالمنزلة التي لا يصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك من حـال نفسـها، لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا. وهذا طلحة والزبـير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا أن يمسـكوا عن علي. وهـذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصروا دون ضربه وضـرب أصـحابه بالســـيف. وكالـــذي روي عن عمر من أنه طعن في رواية أبي هريـرة وشـتم خالد بن الوليد وحكم بفسـقه، وخـون عمـرو بن العاص ومعاوية ونسبهما الى سرقة مـال الفيء واقتطاعـه. وقل أن يكون في الصحابة من سلم من لسـانه أو يـده. الى كثـير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ... وكان التـابعون يسـلكون بالصـحابة هذا المسلك ويقولون في العصاة منهم هذا القـول،وانما اتخـذهم العامة أربابا بعد ذلك. والصحابة قـوم من النـاس، لهم ما للنـاس وعليهم ما عليهم، من أســـاء منهم ذممنـــاه، ومن أحسن منهم حمدناه، وليس لهم على غير هم كبير فضل الا بمشاهدة الرسول

---

[123] - اللعن يعني الإبعاد والطرد على وجه السخط، وعندما يكون من الله عـز وجـل فهـو يعـني العقوبـة في الآخـرة والانقطـاع عن قبـول الرحمـة والتوفيق في الدنيا، واللاعن عندما يلعن فهو يدعو الله عز وجـل أن يطـرد الملعون من رحمته (المفردات في ألفاظ القـرآن للـراغب الاصـفهاني ص 741)، ويتحقق اللعن بقول: لعنه الله، ولعنة الله عليه، أما السب والشـتم فهما بمعنى واحد. (لسان العرب ج6 ص137) وقيل بأن السـب أشـد من الشتم، فالشتم هو تقبيح أمر المشـتوم بـالقول، والسـب هو الإطنـاب في الشتم والإطالة فيـه (الفـروق اللغويـة لأبي هلال العسـكري ص38)، ومن هنا قـال الـراغب الأصـفهاني: "والسـب: الشـتم الوجيـع". (المفـردات ص 391)

ومعاصرته لا غير، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم. لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات فمعاصينا أخف لأننا أعذر".

ان الصحابة أنفسهم لم يكونوا يكفرون من يكفرهم، وهذا هو الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) يعلن موقفه من الخوارج الذين كانوا يكفرونه ويطالبونه بالتوبة عن التحكيم، ويقول:" ان لهم علينا ثلاثة حقوق: أن لانمنعهم مساجد الله ولا نقطع عنهم الفيء ولا نبدأهم بقتال" واذا كان قد اضطر لمحاربتهم بعد خروجهم عليه وقتلهم بعض أصحابه، فانه قد نهى عن قتالهم في المستقبل، وقال:" لا تقاتلوا الخوارج بعدي.. فانه ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه".
وكان الامام علي قد سئل من قبل عن أهل الجمل الذين جاءوا لحربه: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا، قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا. وعندما سمع بعض أصحابه في صفين يسب أهل الشام ، قال:"إني أكره لكم أن تكونوا سبابين".[124] وذلك انسجاما مع قول الله تعالى:" ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ". الأنعام 108

2- النظرية السنية حول الصحابة

سوف نقوم بالاعتماد على آخر ما انتجته المكتبة السنية (السلفية) حول الصحابة، وهو كتاب الإبانة لما للصحابة من المنزلة والمكانة، تأليف الشيخ حمد بن عبد الله ابراهيم الحميدي، وتقديم **الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد**. وهما أستاذان من أساتذة علم الحديث والعقيدة والدعوة في المملكة العربية السعودية، ذلك الكتاب الذي يلخص النظرية السنية أفضل تلخيص.

تعريف الصحابة

يقول الشيخ السعد في : (فصل في حد الصحبة):"قيل في حد الصحبة أقوال متعددة، ولكن الذي دل عليه الدليل منها هو: كل

124 - نهج البلاغة، 206 من كلام له عليه السلام

من لقي الرسول (ص) مؤمنا به، ومات على ذلـك، سـواء أطـال هذا اللقاء أم قصر".[125] ثم يضـيف:" ومن الأدلة على أن الصـحبة تثبت باللقية مع الإيمان والموت على ذلك ما رواه ابن ابي شـيبة ... عن وائلة بن الأسقع قال: قال رسـول الله (ص): **لا تزالـون بخير ما دام فيكم من رآني وصـاحبني، والله لا تزالـون بخـــير ما دام فيكم من رأى من رآني وصـــاحب من صاحبني**".[126] وما رواه يعقوب بن سفيان في التاريخ:" **طـوبى لمن رآني، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني، وطوبى له وحسن مآب**".[127] ويسـتدل السـعد بـرأي الفيـومي:" أن الأصل في الصحبة هو لمن حصل له رؤية ومجالسة". ويقول:" وهـذا ما ذهب اليه الجمهور وهو المشـهور عند أهل الحـديث، قـال أحمـد: كل من صـحبه سـنة أو شـهرا أو يوما أو سـاعة أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صـحبه".[128] "وقـال البخـاري في (صـــحيحه 5/2) : ومن صــــحب النـــبي (ص)، أو رآه من المسـلمين فهو من اصـحابه. وقـال الواقـدي: رأيت أهل العلم يقولـون: كل من رأى رسـول الله (ص) وقد أدرك الحلم وأسـلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عنـدنا ممن صـحب النـبي (ص) ولو سـاعة من نهـار، ولكن أصـحابه على طبقـاتهم وتقـدمهم في الاسلام".[129] "وقال أبو محمد بن حزم في كتاب (الأحكام 5/89): أما الصحابة رضي الله عنهم فهو كل من جـالس النـبي (ص) ولو ساعة وسمع منه ولو كلمة فما فوقها أو شـاهد منه عليه السـلام أمـرا بعينه ولم يكن من المنـافقين الـذين اتصل نفـاقهم واشـتهر حتى ماتوا على ذلـك، ولا مثل من نفـاه عليه السـلام باسـتحقاقه كهيت المخنث ومن جرى مجراه ..".[130]

وماذا لو ارتد الصحابي؟ هل يبقى على صحبته؟

يجيب ابن حزم، كما يحدثنا الشيخ عبد الله السـعد:"وأما من ارتد بعد النـبي (ص)، وبعد أن لقيـه، ثم راجع الاسـلام وحسـنت حالـه، كالأشـعث بن قيس وعمـرو بن معـدي كـرب وغيرهما فصـحبته له معـدودة ، وهو بلا شك من جملة الصـحابة لقـول

---

[125] - الحميدي، الإبانة لما للصحابة من المنزلة والمكانة.**مقدمة الشيخ عبد الله السعد،** ص 11

[126] - المصدر السابق**،** ص 12

[127] - المصدر السابق**،** ص13

[128] - المصدر السابق**،** ص 18

[129] - المصدر السابق**،** ص19

[130] - المصدر السابق**،** ص 20

رسول الله (ص): "أسلمت على ما سلف لك من خير" وكلهم عدول فاضل من أهل الجنة".[131]

ونظرا لكون اسم (الصحبة) اسما عرفيا وليس اصطلاحا شرعيا محددا في القرآن الكريم أو السنة النبوية، فقد كان عرضة لاجتهادات الصحابة أنفسهم والتابعين والفقهاء السنة فيما بعد، فقد نقل ابن الصلاح عن أنس بن مالك أن الصحبة غير الرؤية، حيث روى في (علوم الحديث، ص 146): عن شعبة عن موسى السيلاني ، قال: أتيت أنس بن مالك فقلت: هل بقي من اصحاب رسول الله (ص) أحد غيرك؟ قال :" بقي ناس من الأعراب قد رأوه فأما من صحبه فلا". ولكن السعد يأول هذا التعريف بأنه يُحمل علي الصحبة الخاصة.[132] ويرفض أيضا ما جاء عن سعيد بن المسيب أنه قال: "الصحابة.. لا تعدهم الا من أقام مع رسول الله (ص) سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين".[133] فيقول:"هذا لا يصح عن سعيد لا من جهة الإسناد ولا من جهة المتن".[134] ثم ينقل الشيخ عبد الله السعد رأي أبي حامد الغزالي، الذي يقول في كتابه (المستصفى 1/165):" فمن الصحابي؟ من عاصر رسول الله (ص)؟ أو من لقيه مرة؟ أو من صحبه ساعة؟ أو من طالت صحبته؟ وما حد طولها؟ قلنا: الاسم لا يطلق الا على من صحبه، ثم يكفي للاسم من حيث الوضع الصحبة ولو ساعة، **ولكن العرف يخصص الاسم بمن كثرت صحبته"**.[135]

وهكذا يدخل في اسم (الصحابة) كلٌ من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والطلقاء والعتقاء، والأعراب والمنافقين، وحتى المرتدين لبعض الوقت. ولكن الشيخ السعد يعترف بوجود فئتين بين الصحابة خاصة وعامة، فيدخل مثلا عبد الرحمن بن عوف في الدائرة الخاصة من الصحبة، وخالد بن الوليد في الدائرة العامة، وذلك حتى لا يخرج الأخير من دائرة الصحبة تماما بعد سبه للأول وقول الرسول له: "لا تسبوا أحدا من أصحابي ، فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه".[136] ويقول:"وأما توجيه هذا الخطاب لخالد بن الوليد

---

131 - المصدر السابق**،** ص 21

132 - المصدر السابق**،** ص 25

133 - رواه الخطيب في الكفاية ص 50 من طريق ابن سعد عن الواقدي أخبرني طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب عن ابيه عن سعيد به.

134 - الحميدي، الإبانة .**مقدمة الشيخ السعد،** ص 28

135 - المصدر السابق**،** ص 29

136 - أخرجه البخاري 3673 ومسلم 2541 كلاهما من طريق الأعمش عن أبي صالح عن ابي سعيد..

ولغيره فهذا لا يفيد خروجه من الصحابة بل هو بالإجماع صـحابي، وانما المقصود الصحبة الخاصة".[137]

ومع توسيع أهل السنة لمصطلح (الصـحابة) فـانهم يضـيقون دائــرة المنــافقين الى أصــغر درجــة، ويعتــبرون جميع الصــحابة داخلين في دائرة الإيمان الا ما ثبت باليقين أنه منافق، وكما رأينا فقد أدخلوا في دائرة الصحبة حـتى من ارتد عن الاسـلام ثم عـاد اليه، ويعتقـدون أن من أعلن اسـلامه في أي ظـرف فانه مسـلم وصـحابي وثـابت على الإيمـان الى الأبـد، ولا يحتملـون انخفـاض درجة الإيمان لدى "الصـحابي" أو انقلابه الى الشـرك والكفـر، أو سقوطه في حب الدنيا الى درجة النفاق والردة ، حـتى لو ارتكب الكبــائر من أجل ذلــك، أو أراق الــدم المعصــوم، أو قتل عامــدا متعمدا كبـيرا من كبـار الصـحابة، كما في حالة أبي الغادية الـذي قتل عمار بن ياسر، رغم وجود حـديث صـريح وصـحيح عن النـبي الأكــرم (ص) يقــول فيــه:" ويح عمــار تقتله الفئة الباغيــة.. قاتل عمار وسالبه في النار" الذي يرويه السعد من عدة مصادر، ولكنه يعترف بشطر من الحديث، وهـو:"ويح عمـار تقتله الفئة الباغيـة" ويشكك بالشطر الآخر: "قاتل عمـار وسـالبه في النـار" انسـجاما مع نظريته بدخول جميع الصحابة في الجنة. ويقول:"هذه الزيـادة لا تصح بل هي منكرة ... والخلاصة أن هذا الحديث المرفـوع وهو "قاتل عمار في النار" في ثبوته نظر، والله أعلم". ويضيف:"وأما قصة قتل عمـار من قبل أبي الغادية فهـذا ثـابت ولا شك أن هـذا ذنب كبير، ولكن لم يقل أحد إن الصحابة لا يذنبون ولا يقعون في الكبــائر، بل قــال تعــالى عن آدم عليه الســلام: (وعصى آدم ربه فغوى) طه 121 ... وبهذا يجاب عن كركرة الـذي كـان على ثقل النبي (ص) فمات فقال رسول الله (ص): "هو في النار" فــذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها. أخرجه البخاري في صـحيحه 2074 ، **وكــذلك من وقع منهم في الــزنى أو شــرب الخمر أو أصحاب الإفك** يجاب عنهم بما تقدم".[138]

(ملاحظة:هل يوجد في الاسلام مقياسـان للصـحابة ولغـيرهم من الناس؟ اذا ارتكب الصحابي ما ارتكب حـتى لو قتل صـحابيا جليلا مثل عمــار فانه يــدخل الجنــة، ومن سب صــحابيا كفر ودخل في النار؟)

الاطلاق والتعميم في الفضل

---

137 - الحميدي، الإبانة .**مقدمة الشيخ السعد،** ص 5

138 - المصدر السابق**،** ص 53

وبعد تعريف (الصحبة) وتوسيعها الى أبعد نطاق، يذهب علماء أهل السنة (أو بعضهم على الأقل) الى وجود فضل خاص ذاتي للصحبة ولرؤية النبي (ص)، بغض النظر عن العمل الصالح أو الطالح، ومن هنا فانهم يعممون الآيات الواردة في مدح الصحابة، ويطلقونها بلا شرط ولا استثناء. ويحكمون عليهم جميعا بأنهم ثقات عدول. يقول الشيخ عبد الله السعد، تعليقا على هذه الآية الكريمة: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ، كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) محمد 29، يقول:"هذه الآية الكريمة **تشمل كل الصحابة** رضي الله عنهم لأنهم كلهم مع الرسول (ص)".[139]

وكذلك يقول أيضا تعليقا على الآية الأخرى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) التوبة 100 بأن "هذه الآية أيضا **شاملة لكل الصحابة** رضي الله عنهم".[140] ويستشهد بقول الرسول الأكرم الآنف لخالد: "لا تسبوا أحدا من أصحابي ، فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه" فيقول:"وهذا الحديث **شامل لكل الصحابة** رضي الله عنهم لأنه عليه الصلاة والسلام قال:"لا تسبوا أحدا من أصحابي". ولذلك بوَّب عليه أبو حاتم بن حبان في صحيحه (كما في الإحسان 16/238) ذكر الخبر الدال على أن **أصحاب رسول الله (ص) كلهم ثقات عدول"**.[141] ويروي السعد حديث ابن عمر المشهور:"لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره".[142] ثم يقول:"ويؤيد ما تقدم، ما رواه أحمد 4/363 والطبراني في الكبير 2438 والحاكم 4/80 وصححه، وأبو نعيم في أخبار اصفهان 10/145 كلهم من طريق عن الثوري عن الأعمش عن موسى بن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير بن عبد الله البجلي عن النبي

---

139 - المصدر السابق، ص 3

140 - المصدر السابق، ص 4

141 - المصدر السابق، ص 5

142 - المصدر السابق، ص 25

(ص) قال:"الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة، والمهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة".
قلت: وفي هذا الحديث ذكر للصحابة كلهم: المهاجرون والأنصار والطلقاء والعتقاء، وانه عليه السلام أثبت لهم الولاية بعضهم مع البعض الآخر في الدنيا والآخرة. وقول الرسول (ص):"والآخرة" تفيد صحة اسلامهم وايمانهم ، وذلك أنه لم يثبت لهم الولاية في الدنيا فقط بل والآخرة، والله تعالى أعلم... فتبين مما تقدم ثناء الله تعالى ورسوله الكريم على الصحابة كلهم رضي الله عنهم، ولا شك **أن الله تعالى بعلمه للغيب اختار أصحاب رسوله".**[143]

ويؤكد الشيخ حمد بن عبد الله الحميدي ما ذهب اليه الشيخ عبد الله السعد، من الاطلاق والتعميم في الفضل لجميع الصحابة، فيروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال"إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد (ص) خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب اصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيء".[144] ويعلق على عدد من الآيات التي تتحدث عن الصحابة مثل قوله تعالى: "لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما" . النساء 95 وقوله تعالى:"وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير". الحديد 10 بأن هذه الآيات السابقة تتناول الصحابة كلهم أجمعين، ويستشهد بقول القرطبي في تفسيره: (وكلا وعد الله الحسنى): "أي المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون، وعدهم الله جميعا الجنة مع تفاوت

143 - المصدر السابق،ص 7- 9

144 - أخرجه أحمد 3600 والطبراني والحاكم وابن الأعرابي والقطيعي والبيهقي في المدخل، كلهم من طريق ابي بكر بن عياش ثنا عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود...
الحميدي، الإبانة ، ص 10

الدرجات". ثم يقول:"هذه الآيات السـابقة تتنـاول الصـحابة كلهم أجمعين، فقد دخل فيها المهــاجرون والأنصـــار، ومن أســـلم بعد الفتح من الطلقاء والعتقاء؛ لأن بعضهم أولياء بعض كما جـاء ذلك في مسند أحمد، قال: حدثنا وكيع عن شــريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير قال: قال رسول الله (ص):"المهاجرون والأنصــار أوليـاء بعضـهم لبعض، والطلقـاء من قـريش والعتقـاء من ثقيف بعضـهم أوليـاء لبعض الى يـوم القيامـة".[145] "وذكر طريقا آخـر، فقال: حدثنا عبد الـرزاق أخبرنا سـفيان عن الأعمش عن موسى بن عبد الله عن عبد الـــــرحمن بن هلال العبسي عن جرير عن النـبي (ص)، قـال:" الطلقـاء من قـريش والأنصـار بعضـهم أوليـاء بعض في الـدنيا والآخـرة، والمهـاجرون والأنصـار بعضـهم أوليـاء بعض في الدنيا والآخرة". ففي هذا الحديث بين النـبي (ص) ولاية بعضهم بعضا، كما ذكر الله في الآيات السابقة وبين رضـاه عنهم، فقــال تعــالى: "لقد رضي الله عن المؤمــنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السـكينة عليهم واثـابهم فتحا قريبـا".الفتح 18 وقـال تعـالى:"جـزاؤهم عند ربهم جنـات عـدن تجري من تحتها الانهار خالـدين فيها ابـدا رضي الله عنهم ورضـوا عنه ذلك لمن خشي ربــه". البينة 8 ، وهــذه عامة في كل من خشي ربــه، وهم أعظم هــذه الأمة خشــية بعد نــبيهم رضي الله عنهم أجمعين".[146]

وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآيات: (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصـروا أولئك هم المؤمنـون حقا لهم مغفــرة ورزق كــريم. والــذين آمنــوا من بعد وهــاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولـوا الأرحـام بعضـهم أولى ببعض في كتـاب الله ان الله بكل شــيء عليم). الأنفـال 74،75 :" لما ذكر تعــالى حكم المؤمــنين في الــدنيا عطف بــذكر ما لهم في الآخــرة، **فــأخبر عنهم بحقيقة الإيمــان.. وأنه ســبحانه سيجازيهم بـالمغفرة والصـفح عن الـذنوب** – ان كـانت – وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب الشريف دائم مسـتمر أبدا، لا ينقطع ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه، ثم ذكر أن الأتباع لهم في الـدنيا على ما كـانوا عليه من الإيمـان والعمل الصـالح ، فهم معهم في الآخرة".[147]

---

[145] - المصدر السابق. ص 77
[146] - المصدر السابق. ص 78

[147] - المصدر السابق. ص 74

وقال ابن جرير في تفسير قوله تعالى:(محمد رسـول اللـه، والذين معه أشـداء على الكفـار **رحماء بينهم...**) الفتح 29 :" حـدثنا بشر حـدثنا يزيد حـدثنا سـعيد عن قتـادة: (رحمـاء بينهم) **ألقى الله في قلوبهم الرحمة بعضهم لبعض".**[148]

وإضافة الى تلك الآيات الكريمة ، يعتمد أهل السـنة في بنـاء نظريتهم حول الصحابة، على مجموعة أحاديث دالة على فضـلهم ، مثل حـديث: "خـير النـاس قـرني، ثم الـذين يلـونهم، ثم الـذين يلـونهم، ثم يجيء قـوم تسـبق شـهادة أحـدهم يمينـه، ويمينه شهادته". و" النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت النجـوم أتى السـماء ما توعد، وأنا أمنة لأصـحابي فـاذا ذهبت النجـوم أتى أصـحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمـتي فـإذا ذهب أصـحابي أتى أمـتي ما يوعـدون". وما روي عن أنس رضي الله عنه ان النـبي قـال يـوم الخندق: "اللهم ان الخير خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهـاجرة". وقـول رسـول الله (ص): "لعل الله اطلع على أهل بـدر فقـال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم".[149] ويروون أيضا أحاديث خاصة بفضائل بعض الصحابة الذين اختلف حولهم مثل عثمان بن عفـان أو معاوية بن أبي سفيان أو عمـرو بن العـاص، حيث يـروي أحمد في (مسنده) قال: حدثنا هارون بن معروف حـدثنا ضـمرة حـدثنا عبد الله بن شوذب عن عبد الله بن القاسم عن كثـير مـولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سـمرة قـال جـاء عثمـان بن عفـان الى النـبي (ص) بـألف دينـار في ثوبه حين جهز النـبي جيش العسـرة، قـال: فصـبها في حجر النـبي (ص) فجعل النـبي (ص) يقلبها بيـده ويقـول:"**ما ضـرَّ ابن عفـان ما عمل بعد اليوم" يرددها مرارا**. (مسـند أحمد والترمـذي والسـنة للخلال والآجري في الشـريعة) وقـال أحمد في فضـائل الصـحابة: حـدثنا محمد بن جعفر حدثنا شـعبة عن ابن عـون، قـال: سـمعت محمد بن حاطب، قـال: سـألت عليا عن عثمـان فقـال:" هو من الـذين آمنوا ثم اتقوا ثم آمنوا ثم اتقوا".[150]

أما عن معاوية، فيروون أحاديث مباشرة وغير مباشـرة، مثل حـديث سـمرة الـذي رواه البخـاري (7222و7223) ومسـلم (1821) من حديث عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قـال:

---

148 - المصدر السابق. ص 75

149 - البخاري ح3007 ومسلم ح2494، الحميدي، الإبانة . ص115

150 - المصدر السابق. ص 97

سمعت النبي (ص) يقول:"لا يزال أمر الناس ماضـيا ما وليهم اثنا عشر رجلا" .[151] ومع ان هـذا حـديث آحـاد غـامض، الا ان الشـيخ عبد الله السعد يقول:"ظاهر هذا الحديث يدخل فيه معاوية رضي الله عنه وذلك أنه قرشي وتــولى الملك وكــان الــدين في زمنه عزيزا منيعا، فهذا الحـديث ينطبق عليه خاصة في رواية الشـعبي وسماك عن جابر"لا يزال هذا الأمر – وفي رواية الاسـلام- عزيـزا الى اثني عشر خليفة" فظاهر هذه الرواية أن هذه العزة والمنعة من أول خليفة بعد رســول الله (ص) وهو أبو بكر رضي الله عنه الى اثـــــني عشر خليفة فيكـــــون معاوية داخلا فيهم وخاصة أن معاوية بويع من جميع المسلمين وسمي هذا العام بعــام الجماعة كما هو معلوم. فعلى هذا الحـديث **أن معاوية خليفة شـرعي وان الدين كان في زمنه عزيزا منيعا**، وهذا لحكمه بالشرع وتطبيقه للسنة، والا لما كان الدين عزيزا منيعا، والله أعلم".[152]

وربما كان الشيخ السعد، بناء على هذا الحديث، يكاد يعتقد بأن يزيد بن معاوية أيضا خليفة شرعي، وقد أعز الله به الاسلام، كما قال بعض غلاة السنة، ولكنه لم يصرح بما يريد.

وعلى أي حال فانه يضيف: إن النبي أثنى على معاوية ثنـاء خاصا قو لا نع ه":**مهللا هلعجا ايداه هم ايد هاو دِ هب.**
والأصل في دعاء الرسو ل (ص) أنه مستجاب، وأخ رج البخاري 2924)) من طريق عمـير بن الأسـود العنسي عن أم حـرام أنها سمعت النبي (ص) يقول:"أول جيش من أمـتي يغـزون البحر قد أوجبوا" وأول جيش غـزا البحر كـان بقيـادة معاويـة، وهـذه منقبة عظيمة له، ومعنى "**أوجبوا**" أي وجبت لهم الجنة.[153]

---

[151] - وأخرجه أيضا من طريق حصين عن جابر ولفظـه:" ان هـذا الأمر لا ينقضي حــتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفــة" وفي لفظ عنــده من طريق سـماك عن جـابر:" لا يـزال الاسـلام عزيـزا الى اثـني عشر خليفـة" ومن طريق الشعبي عن جابر: "لا يـزال هـذا الأمر عزيـزا منيعا الى اثـني عشر خليفة"...

[152] - المصدر السابق، ص59 – 60

[153] - المصـدر السـابق، ص60 ويقـول الحميـدي:من فضـائله أنه أول قائد جيش غــزا في البحــر، وقد قــال عنه النــبي كما أخــرج ذلك البخــاري في صحيحه من حديث أم حرام أنها سمعت النبي يقول:"أول جيش من أمــتي يغـزون البحر قد أوجبـوا". وهو قائـدهم في ذلـك، وغـزو البحر وهم تحت ملكه، **وقد ولى على ذلك الجيش ابنه يزيد**. أخرج البخاري ومســلم من طريق محمد بن يحيى بن حبان عن أنس بن مالك عن خالته أم حــرام بنت ملحان قالت: نام النبي يوما قريبا مــني ثم اسـتيقظ يتبسم فقلت: ما اضحكك؟ قال: "أناس من أمتي عرضوا علي يركبـون هـذا البحر الأخضـر،

ويروي السعد عن ابي هريرة أنه قال: قال رسول الله"**ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام**". ويعقب: "هذا اسناد لا بأس به وفيه غرابة، وقد صححه الحاكم في الموضع الأول على شرط مسلم، وقال الجورقاني: هذا حديث حسن مشهور. وجاءت نصوص أخرى بهذا المعنى، ولا شك أن هذه منقبة كبيرة بالشهادة له من قبل الرسول (ص) بالايمان".[154]

وعندما ينظر أهل السنة الى ما جرى بين الصحابة من اقتتال، فانهم يأولون كل ذلك بالاجتهاد وحسن النية والسعي من أجل الاصلاح. يقول الشيخ عبد الله السعد:"وأما ما جرى بني الصحابة رضي الله عنهم في الجمل فالأمر فيهم أوضح وأبين مما جرى في صفين، وذلك أن الزبير وطلحة رضي الله عنهما من العشرة المبشرة بالجنة، وعائشة هي أم المؤمنين وحبيبة رسول رب العالمين، وهم لم يخرجوا لطلب الملك أو المشاقة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وانما خرجوا من أجل المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه والاصلاح بين الناس. أخرج الامام أحمد في المسند (6/97) ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن أبي حازم أن عائشة لما أتت على الحوأب سمحت نباح الكلاب فقالت: ما أظنني الا راجعة، ان رسول الله (ص) قال لنا: "أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب" فقال لها الزبير: ترجعين عسى الله أن يصلح بك الناس".[155]
وينقل عن ابن حزم قوله عن الذين خرجوا الى البصرة وهم من تقدم:" **فقد صح صحة ضرورية لا اشكال فيها أنهم لم يمضوا الى البصرة لحرب علي ولا خلافا عليه ولا نقضا لبيعته ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته،** هذا ما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد، فصح انهم انما نهضوا الى البصرة لسد الفتق الحادث في الاسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان

كالملوك على الأسرة" قالت: فادع الله ان يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام الثانية ففعل مثلها، فقالت مثل قولها فأجابها مثلها. فقالت: ادع الله ان يجعلني منهم، فقال:"أنت من الأولين"، فخرجت مع زوجها عبداة بن الصامت غازيا أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية، فلما انصرفوا من غزوهم قافلين فنزلوا الشام فقربت اليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت.

المصدر السابق. ص 165 - 166

[154] - المصدر السابق،ص 61

[155] - المصدر السابق،ص 62

رضي الله عنه ظلمـا. وبرهـان ذلك أنهم اجتمعـوا ولم يقتتلـوا ولا تحـاربوا فلما كـان الليل عـرف قتلة عثمـان أن الإراغة والتـدبير عليهم فبيتوا عسـكر طلحة والزبـير وبـذلوا السـيف فيهم، فـدافع القوم عن انفسـهم في دعـوى حـتى خـالطوا عسـكر علي فـدفع أهله عن انفسهم، وكل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بـديء بها بالقتـال. **واختلط الأمر اختلاطا لم يقـدر أحد على أكـثر من الدفاع عن نفسـه،** والفسـقة من قتلة عثمـان لا يفـترون من شن الحـرب وإضـرامه. فكلتا الطـائفتين مصـيبة في غرضـها ومقصدها مدافعة عن نفسـها. ورجع الزبـير وتـرك الحـرب بحالها واتى طلحة سـهم غـاير وهو قـائم لا يـدري حقيقة ذلك الاختلاط ..فانصرف ومات من وقته رضي الله عنه..فهكذا كان الأمر".[156]

ويقول السعد عن حرب صفين:" لا شك ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن معه أولى بـالحق من غـيره. أخـرج مسـلم (1065) وغـــيره من حـــديث القاسم بن الفضل الحـــداني ثنا أبو نضرة عن أبي سعيد: قـال قـال رسـول الله (ص):"تمـرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق".

وأخرج أيضا من طريق قتادة عن أبي نضرة عن أبي سـعيد به ولفظـه:"تكـون في أمـتي فرقتـان فتخـرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق".

وأخـــرج أيضا من حـــديث حـــبيب بن أبي ثـــابت عن الضـــحاك المشرقي عن أبي سعيد به ولفظه:" يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق".

قال أبو زكريا النووي في شرحه على مسـلم (7/168) : هـذه الروايـات صـريحة في أن عليا رضي الله عنه كـان هو المصـيب المحـــق، **والطائفة الأخـــرى أصـــحاب معاوية رضي الله عنهم كـانوا بغـاة متـأولين،** وفيه التصـريح بـأن الطـائفتين مؤمنـون لا يخرجـون بالقتـال عن الإيمـان ولا يفسـقون ، وهـذا مذهبنا.ا هـ

وقـال أبو العبـاس ابن تيمية كما في الفتـاوى المجموعة له (4/467)" فهذا الحـديث الصـحيح دليل على أن **كلا الطـائفتين المقتتلتين علي وأصـحابه ومعاوية وأصـحابه على حق،** وأن عليا وأصـحابه كـانوا أقـرب الى الحق من معاوية وأصـحابه. اهـ.

وذكر نحو هـــذا ابن العـــربي في العواصم (ص 307 الطبعة الكاملة).

---

156 - المصدر السابق،ص 63 عن (الفصل 4/158)

وقال أبو الفداء ابن كثير في البداية (10/563): فهذا الحـديث من دلائل النبــوة لأنه وقع الأمر طبق ما أخــبر به الرســول (ص) وفيه الحكم باسـلام الطـائفتين أهل الشـام وأهل العـراق، لا كما تزعمه فرقة الرافضة أهل الجهل والجــــور من تكفـــــيرهم أهل الشـام، وفيه أن أصـحاب علي أدنى الطـائفتين الى الحـق، وهـذا مــذهب أهل الســنة والجماعــة؛ أن عليا هو المصــيب وإن كــان معاوية مجتهدا في قتاله له وقد أخطأ وهو مـأجور إن شـاء اللـه، ولكن عليا هو الامام المصيب إن شاء الله تعالى فله أجران.اهـ.
قلت: وما يوضح الحــــديث الســــابق ما رواه البخــــاري (3609) ومسلم (2214) كلاهما عن معمر عن همـام عن أبي هريـرة عن النــبي (ص):"لا تقــوم الســاعة حــتى يقتتل فئتــان فيكــون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة".[157]
ويضيف السعد:"ومما يوضح ما تقـدم أيضا ما رواه البخـاري (2704) من حديث الحسن البصـري قـال: ولقد سـمعت أبا بكـرة يقــول: رأيت رســول الله (ص) والحسن بن علي الى جنبه وهو يقــول:"ان ابــني هــذا ســيد ولعل الله أن يصــلح به بيــده فئــتين عظيمــتين من المســلمين"... وهــذا الحــديث فيه منقبة كبــيرة للحسن وأنه ســيد، ومن ســيادته تنازله عن الخلافــة، وفيه أيضا وصف للطائفة الـــذين مع الحسن ومع معاوية بالاســـلام، وهـــذا الحديث يتضمن منقبة وثناء على معاوية، وذلك أن الرسول (ص) مـدح فعل الحسن وتنازله عن الملك لمعاوية ولو كـان أن معاوية ليس أهلا للملك لما مــدح الرســول (ص) هــذا الصــلح الــذي فيه تنازل الحسن عن الملك".[158]

ويضيف الشـيخ حمد الحميـدي على ذلك فيقـول:"أخـرج ابن عســـاكر...عن مجاهد قـــال: **لو رأيتم معاوية لقلتم: هـــذا المهدي.** وأخرج عن الزهري قال سألت سعيد بن المسـيب عن اصـحاب رسـول الله فقـال لي: اسـمع يا زهـري، من مـات محبا لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وشهد للعشرة بالجنة وتــرحم على معاوية كان حقيقا على الله أن لا يناقشه الحساب.[159] وأخرج ابن عساكر.. (قال) سئل ابن المبارك عن معاوية فقيل لـه: ما تقـول في معاويــة؟ هو عنــدك أفضل أم عمر بن عبد العزيــز؟ فقــال: لتراب في منخـري معاوية مع رسـول الله (ص) خـير وأفضل من عمر بن عبد العزيـز. وأخـرج الخطيب في تاريخـه: ان رجلا سـأل

---

[157] - المصدر السابق،ص 55 – 56
[158] - المصدر السابق،ص 58
[159] - المصدر السابق. ص 169

المعافي بن عمران : أين عمر بن عبد العزيز من معاوية؟ فغضب وقال: لا يقاس بأصحاب رسول الله أحد، معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله.[160]

وهكذا يعلق الحميدي قائلا:"فهنيئا لمعاوية رضي الله عنه صحبته للنبي (ص) فقد كان كاتبا للوحي، وجاهد مع الرسول، وكان بينه وبين الرسول نسب وصهر، وولاه عمر وعثمان على الشام وحسبك بمن يؤمره عمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، وحسبك أيضا بثناء ابن عباس على معاوية في الفقه وحسن السيرة في الملك، وهذا ابن عمر وما قاله في حلمه وسؤدده، **فقد قام رضي الله عنه في حال الولاية والملك خير قيام**، ساس العالم بكمال عقله وفرط حلمه وسعة نفسه وقوة دهائه ورأيه وأرضى الناس بسخائه وحلمه".[161]

نظرية عدالة الصحابة

ونتيجة لكل ذلك قال ابن الصلاح :" **للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الأجماع من الأمة".**[162] وقال ابن كثير:"**الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله (ص) رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل".**[163] وقال ابن بطة :" ويشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنة والرضوان والتوبة والرحمة من الله ويستقر علمك وتوقن بقلبك أن رجلا رأى النبي (ص) وشاهده وآمن به واتبعه ولو ساعة من نهار أفضل ممن لم يره ولم يشاهده ولو أتى بأعمال الجنة أجمعين. **ثم الترحم على جميع أصحاب رسول الله (ص) صغيرهم وكبيرهم وأولهم وآخرهم وذكر محاسنهم**

---

[160] - المصدر السابق. ص 170
[161] - المصدر السابق. ص 168
[162] - المصدر السابق. ص 183

[163] - المصدر السابق. ص 184

ونشر فضائلهم والاقتـداء بهـديهم والاقتفـاء لآثـارهم، وان الحق في كل ما قــالوه والصــواب فيما فعلــوه". (الإبانة على أصـول السـنة والديانة ص 263). .[164] وقـال البغـوي في تفسيره:" قال أبو صـخر حميد بن زيـاد: أتيت محمد بن كعب القرضي فقلت لـه: ما قولك في أصـحاب رسـول اللـه؟ فقـال: **جميع أصـــحاب رســـول الله في الجنة محســـنهم ومسيئهم".**[165] وقال النووي :" ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شـهاداتهم ورواياـاتهم وكمـال عـدالتهم رضي الله عنهم أجمعين".[166]

ويقول الحميدي:"هذه عقيـدة أهل السـنة والجماعة أن الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عـدول فلا يسـأل عن عدالة أحد منهم بعد تعــديل الله عز وجل وتعــديل رسوله ، ويكفي في هذه المنزلة منزلة الصحبة المنزلة العالية الشريفة التي لا يبلغها من بعدهم حتى لو عمل ما عمل في ذلــك". فالطــاعن في عدالة الصــحابة أو بعضهم طاعن في دين الاسلام".[167]

السكوت عما شجر بين الصحابة
ووجوب المحبة والثناء والاستغفار لهم

وبناء على كل تلك الآيات والأحـاديث يتخذ أهل السـنة موقفا إيجابيا من عموم الصحابة بغض النظر عن كل ما جـرى بينهم من أمــور. يقــول الشــيخ عبد الله الســعد:"هــذا بعض ما جــاء عن الرســول (ص) في هــذه القضــايا، **ولا شك أن الــواجب على المسلم أن يقبل ويسلم بكل ما جاء عن الرسول (ص) لأن هــذا مقتضى الإيمــان به (ص) ولا يكــون مؤمنا الا بــذلك**، ومقتضى هــذا ولازمه **محبة أصــحاب رســوله (ص) والثناء عليهم والاستغفار لهم وعدم مسبتهم** لا العكس، وهو الكلام في بعضـهم والتفـتيش عن بعض عيـوبهم والقـدح في نفر منهم والتقليل من مكانتهم والتنزيل من علو مرتبتهم، ويكون

---

164 - المصدر السابق. ص 185

165 - المصدر السابق. ص 185

166 - المصدر السابق. ص 186

167 - المصدر السابق. ص 187

هذا ديدنه وهذا الفعل هو هجيراه ومطلبه، ويبـدي ويعيد في هـذه المسـألة، ويـرى الصـغير كبـيرا ويتبع هـواه ويعمل بما دل عليه الباطل ويرضـــاه".[168] ويضـــيف:"كـــثر كلام أهل العلم بـــالأمر بالســـكوت عما حصل بين الصـــحابة رضي الله عنهم، بل نقل الإجماع على ذلك. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن مـذهب أهل السـنة وما أدركا عليه العلمـاء في جميع الأمصـــار حجـــازا وعراقا ومصر وشـــاما ويمنـــا: **فكـــان من مذهبهم.. الترحم على جميع أصحاب محمد (ص) وعلى آله والكف عما شجر بينهم.اهـ[169]**

قلت: ودليل هـذا قوله تعـالى: (والـذين جـاءوا من بعـدهم يقولون:ربنا اغفر لنا ولإخواننا الـذين سـبقونا بالإيمـان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للـــذين آمنـــوا إنك رءوف رحيم) الحشر 10 وقوله عليه الســـلام:" لا تســـبوا أصـــحابي.." و"**اذا ذكر أصـــحابي فأمسـكوا..**".[170] وقـال أبو محمد بن حـزم في (كتـاب الأحكـام 5/89): " ... من كان كما وصفنا فهو صـاحب، وكلهم عـدل إمـام فاضل رضي، فـرض علينا توقـيرهم وتعظيمهم وأن نسـتغفر لهم ونحبهم".[171]

وكان عمر بن العزيز رحمه الله اذا سئل عن صـفين والجمل قال: أمر أخـرج الله يـدي منه لا أدخل لسـاني فيـه. وروى الخلال قـــال: اخبرنا ابو بكر المـــروذي قـــال: قيل لأبي عبد الله ونحن بالعسـكر وقد جـاء بعض رسل الخليفة وهو يعقـوب فقـال: يا أبا عبد الله، ما تقول فيما كان من علي ومعاوية رحمهما الله؟ فقال أبو عبد الله: ما اقول فيها الا الحسنى رحمهم الله أجمعين.

وكتب أحمد لمسدد بن مسرهد فقال له مما قـال: والكف عن مساويء أصـحاب رسـول الله (ص) تحـدثوا بفضـائلهم وأمسـكوا عما شـجر بينهم، ولا تشـاور أحـدا من اهل البـدع في دينك ولا ترافقه في سفر.[172]

---

168 - المصدر السابق، ص 61

169 - رواه اللالكائي في السنة (ص321) وأبو العلا الهمذاني في ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف (ص 90 و91)

170 - الحميدي، الإبانة .**مقدمة الشيخ السعد،** ص 64 – 65

171 - المصدر السابق**،** ص 20

172 - المصدر السابق. ص 177

وقال ابن قدامة المقدسي في لمعة الاعتقاد: ومن السنة الكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: ان هذه الآثار المروية في مساويهم، منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه الصريح. والصحيح فيه معذورون: اما مجتهدون مصيبون، واما مجتهدون مخطئون.

وقال الأشعري في الإبانة: فأما ما جرى بين علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم فانما كان على تأويل واجتهاد وعلي الامام، وكلهم من أهل الاجتهاد، وقد شهد لهم النبي بالجنة والشهادة، فدل على أنهم كلهم كانوا على حق في اجتهادهم، وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهم كان على تأويل واجتهاد، وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين.

وقال القاضي عياض في شرحه لصحيح مسلم: ومعاوية من عدول الصحابة وأفاضلهم، وما وقع من حروب بينه وبين علي وما جرى بين الصحابة من الدماء فعلى التأويل والاجتهاد، وكل يعتقد أن ما فعله صواب وسداد.[173]

وقال ابن بطة رحمه الله في النهي عن الخوض في أحداث الفتنة الكبرى:"ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله (ص) فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب اليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون، وانما فضلوا على سائر الخلق؛ لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم، وكل ما شجر بينهم، مغفور لهم. ولا ينظر في كتاب صفين والجمل ووقعة الدار وسائر المنازعات التي جرت بينهم، ولا تكتبه لنفسك ولا لغيرك ولا ترووه عن أحد ولا تقرأه على غيرك ولا تسمعه ممن يرويه. فعلى ذلك اتفاق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه، منهم: حماد بن زيد ويونس بن عبيد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وعبد الله بن ادريس ومالك بن أنس وابن أبي ذئب وابن المنكدر وابن المبارك وشعيب بن حرب وأبو اسحاق الفزاري ويوسف بن أسباط

[173] - المصدر السابق. ص 178

وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وعبد الوهاب الوراق، كل هؤلاء قد رأوا النهي عنها والنظر فيها والاستماع اليها وحذروا من طلبها والاهتمـام بجمعهـا، وقد روي عنهم فيمن فعل ذلك أشـياء كثـيرة بألفاظ مختلفة المعـنى على كراهية ذلك والانكـار على من رواها واستمع اليها".[174]

وقال الإمام النـووي:"فضـيلة الصـحبة، ولو لحظـة، لا يوازيها عمـل، ولا تُنـال درجتها بشـيء، والفضـائل لا تؤخذ بقيـاس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".

وقال القحطاني في نونيته:

قل خير قول في صحابة أحمد   وامدح جميع الآل والنسوان

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى بسيوفهم يوم التقى الجمعان

فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم   وكلاهما في الحشر مرحومان

والله يـــوم الحشر يـــنزع كل ما   تحـــوي صـــدورهم من الأضغان[175]

تكفير من يسب الصحابة

ومن هنا فان أهل السنة اتخذوا موقفا سلبيا عنيفا ضد كل من يسب أحدا من الصحابة، سـواء كـان من الشـيعة أو من غـيرهم. واعتبروه "رافضيا". وربما كانوا يعنون بالسب حتى مجـرد النقـد. فقد أخرج ابن عساكر.. عن الفضل بن زيـاد قـال سـمعت أبا عبد الله (أحمد بن حنبـل) وسـئل عن رجل انتقص معاوية وعمـرو بن العاص أيقـال له "رافضـي"؟ قـال: انه لم يجـتريء عليهما الا وله خبيثة سوء، ما يبغض أحـدا من أصـحاب رسـول الله (ص) الا وله داخلة سوء.

وقال عبد الله المبارك:معاوية عنـدنا محنـة، فمن رأينـاه ينظر الى معاوية شزرا اتهمناه على القوم، أعـني على أصـحاب محمد

174 - المصدر السابق. ص 176 عن (الإبانة لابن بطة ص 268)

175 - المصدر السابق. ص 178

(ص). وقـــال رجل لأحمد رحمه اللـــه: لي خـــال ذكر انه ينتقص معاوية وربما أكلت معـــه، فقـــال أبو عبد الله مبـــادراً: **لا تأكل معه**. [176] وكتب أحمد الى عبـدوس بن مالك عن اصـول السـنة فقال: من اصول السنة: ومن انتقص واحـدا من اصـحاب رسـول الله (ص) أو أبغضه لحدث كان منه، أو ذكر مساويه، كان مبتـدعا حتى يترحم عليهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما.[177]

وذكر الخلال في السنة: أخبرنا أبو بكر المروذي قال سألت أبا عبد الله عمن يشـتم أبا بكر وعمر وعائشـة. قـال: ما أراه على الاسلام، قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال مالك: الذي يشـتم أصحاب النبي ليس لهم سهم أو قال: نصيب في الاسلام.

وقال أيضا: أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد قال: سمعت أبا عبد الله قال: **من شتم أخاف عليه الكفر مثل الـروافض، ثم قال: من شتم أصحاب النبي (ص) لا نأمن أن يكـون قد مرق عن الدين**.

وقال أيضا: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سـألت أبي عن رجل شتم رجلا من أصحاب النبي (ص) فقال: **ما أراه على الاسلام**. و قـال أحمد بن حنبـل: "إذا رأيت أحـدا يـذكر أصـحاب رســول الله صـــلى الله عليه وســـلم بســـوء **فاتهمه على الإسلام**". وقال أبو زرعة الرازي: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسـلم **فـاعلم أنه زنـديق** ". وقال إسحاق بن راهويه: "من شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم **يعاقب ويحبس**"، وقال القاضي أبو يعلى: "الـذي عليه الفقهاء في سب الصحابة إن كان **مسـتحلا لـذلك كفر** وإن لم يكن مســتحلا لـــذلك فسق "، وقـــال ابن تيميـــة: "من زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نفر قليل لا يبلغـون بضـعة عشر نفسا أو أنهم فسـقوا عـامتهم **فلا ريب في كفره** ". وقـال ابن عابـدين: "من سب الشـيخين - أبا بكر وعمر - أو طعن فيهما **كفر ولا تقبل توبته** " .

ولا غرابة بعد ذلك في أن يتساءل الشيخ الحميدي قائلا:"فهل بعد هـذه الآيـات الـتي بين ربنا فيها رضـاه وتوبته على هـؤلاء الصحابة يتجرأ على سبهم الا **كافر كالرافضـة، أو زنـديق أو**

---

[176] - المصدر السابق. ص 173 عن (تاريخ ابن عساكر 59/208 و البداية والنهاية8/139) و (السنة للخلال ح693)

[177] - المصدر السابق. ص 177

مبتـــدع ضـــال؟".[178] "انظر الى رســـول الله (ص) يـــدعو لهم بالمغفرة والأكرام وبالصلاح وبالبركة، ثم يـأتي بعد ذلك من يسب صـحابته ويلعنهم ويكفـرهم ويتهمهم بالنفـاق وغـير ذلـك. وهـذه الأوصاف حقيقة بمن سبهم، قال تعالى: (فليحذر الذين يخـالفون عن أمـره أن تصـيبهم فتنة أو يصـيبهم عـذاب أليم) فقد حـذر بنا مخالفة أمر رسـوله (ص) وعـدم اتبـاع سـبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، اذ الأقـوال والأعمـال تـوزن بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبـل، وما خالفه فهو مـردود على قائله وفاعلـه، وان قائل ذلك أو **فاعله مجاد لله ورسـوله**، وانه ذليل مهـان، كما قال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسـوله كبتـوا كما كبت الـذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينـات وللكـافرين عـذاب مهين) **ومن أعظم محـــادة الله ورســـوله سب أوليائه** وأعظمهم بعد أنبياء الله ورسله، هؤلاء الصحابة الذين اصطفاهم الله واختـارهم لصحبة نبيه محمد (ص). ".[179]

ولا يكتفِ الحميدي بالهجوم على من ينتقد معاوية ، وانما يشن هجوما لاذعا على من يطعن في إســـلام أبيه أو يشك فيـــه، ويقـول:"من طعن في اسـلام ابي سـفيان أو شك فيه فهو ضـال عن الصراط المستقيم مخالف لإجمـاع الأمة والنصـوص الـواردة في ذلك...وقد شهد مع رسـول الله حـنين، وسـمى الله من كـان مع النبي يوم حـنين مؤمـنين، قـال تعـالى: (لقد نصـركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مـدبرين، ثم أنـزل الله سـكينته على رسـوله وعلى المؤمـنين وأنـزل جنـودا لم تروها وعذب الـذين كفـروا وذلك جـزاء الكـافرين). التوبة 25-26 قـال ابن حجر في الإصـابة: فقـدت الأصـوات يـوم الـيرموك الا صـوت رجل يقول: يا نصر الله اقترب، قال : فنظرت فاذا هو ابو سفيان تحت راية ابنه يزيد.[180]

ويقول الحميدي:"**ان الروافض أتبـاع ابن سـبأ هم شر من وطأ الحصى فحـــذرهم المســـلمون وكـــانوا بهم مستبصرين**، ولم يزل ذلك دأبهم يأخذه خلف عن سلف الى أن انفتحت الدنيا في هذه الأزمان واختلط بسببها أهل الاســلام بأهل الأوثان وأهل السنة بأهل البدعة، فأخـذت فـرق أهل الأهـواء تبث

---

178 - المصدر السابق. ص79
179 - المصدر السابق. ص 82
180 - المصدر السابق. ص 161

سمومها وتروق على الجهال مشربها، **فاغتر بهم من لم يــرد الله ان يطهر قلـوبهم**... فلما صـدروا بعد هـذا النهل الـوبي **أدخلوا في صـفوف أهل السـنة الحط من قـدر صـحابة النبي (ص).**[181]

ويضيف:"بعض من الضلال الزائغين عن الطريق السـوي ربما يكتبــون أو في بعض المجــالس يعقد لهم كلمــات في الصــحابة وعدالتهم، وتجد مثل هؤلاء ظاهره الفسق ولربما لا يعرف الصلاة في المساجد، كيف يكون مثل هؤلاء يتكلمون في **خـير الخليقة بعد النبيين والمرسلين**؟ ولربما أيضا أخــرج معاوية ومن معه من الصــحابة الــذين أســلموا في الفتح وما بعــده من صــحبة الرسول ولا يعـدهم من الصـحابة ولا يعد الصـحابة الا المهـاجرين والأنصار، وان غير هؤلاء ليسوا كلهم بعدول".[182]

وينقل عن ابن كثير قوله:" **قد أخبر الله العظيم أنه رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والــذين اتبعــوهم باحســان.** فيا ويل **من أبغضــهم أو ســبهم أو أبغض أو سب بعضهم** ولا سـيما سـيد الصـحابة بعد الرسـول وخيرهم وأفضلهم أعـني الصـديق الأكـبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنــــه، فــــان الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوســة، فــأين هــؤلاء من الإيمــان بــالقرآن اذ يســبون من رضي الله عنهم؟..".[183]

واستمرارا لذلك الموقف السلبي التـاريخي من الشـيعة ومن كل من ينتقد الصــحابة، تقــوم اليــوم حملات إعلامية مضــادة للشيعة "الروافض" تكفرهم وتبدعهم وتضـللهم وتعتـبرهم خـارج إطار الاسلام والمسلمين، وترفض أي لقاء معهم. بالرغم من أن كثيرا من الشيعة المعاصرين لا يعرف من التشيع الا الاسـم، وقد لا يتخذ موقفا سـلبيا من أي صـحابي، ولا يفقه كثـيرا بصـراعات التــاريخ القديمــة. ولا يشــفع للشــيعة أنهم يؤمنــون بالله الواحد وبرسوله وباليوم الآخر.[184]

---

[181] - المصدر السابق. ص 72

[182] - المصدر السابق. ص 171

[183] - المصدر السابق. ص 76

الانتقائية في التكفير

من الواضح ان النظرية السـنية حـول الصـحابة، جعلت منهم مادة دينية رغم أنهم بشر، في حين أنهم لم يكونوا يشكلون جزءا من العقيدة الاسلامية، ولكن تبلور تلك النظرية في وقت متـأخر، جعل موضوع الصحابة أهم فاصل بين المسلمين.

ورغم أن نظرية (تعظيم الصـحابة) الى تلك الدرجة الـتي تـرفعهم الى درجة (العصـمة) وحتمية غفـران الله لـذنوبهم وإدخالهم الجنة وعدم دخولهم النار، كانت نظرية حادثة اجتهادية، الا انها لم تكن تسـتند الى نص صـريح من القـرآن الكـريم، وان كانت تأوِّل بعض الآيـات، ولكنها كـانت تغفل آيـات آخـرى مقيـدة للأولى أو مخصصة لها أو حتى مناقضة لها، وكذلك لم تكن تستند الى نصـوص نبوية قطعية ومتـواترة، ما عـدا بعض أخبـار الآحـاد الضعيفة والمشكوك فيها، ولم يكن يوجد حولها إجمـاع خاصة في الجيل الأول. ومع ذلك فانها شـكلت مـادة للحكم على كثـير من المسـلمين بـالكفر والضـلال، وغطت على كثـير من القواسم المشتركة الرئيسية بينهم.

وبما أن التاريخ كان يشكل شاهدا مزعجا دائما للنظرية السنية حول الصحابة، فان "السـنة" كـانوا يحـاولون التخلص من التـاريخ بأية وسـيلة أو إخراجه بعيـدا عن قاعة المحكمـة، حيث كـان يتم التصريح باستمرار بضرورة الكف عن النظر والتفكير في أحـداث الفتنـة، وإغلاق ملف الصـحابة بخـيره وشـره، أو العمل من أجل تأويل ما قام البعض منهم من أخطـاء. ويحـاول بعض أئمة السـنة قراءة التاريخ بشكل انتقـائي، وإعـادة كتابته من جديـد، كما فعل

---

[184] - ويوجد أيضا من يرفض تكفير الشـيعة، مثل الـدكتور يوسف شـوقي ياوز، الذي قال في الندوة العلمية الدولية عن الشيعة والتشيع:" نسـتطيع أن نقـول أن من أهم ما يؤخذ على الامامية من علمـاء أهل السـنة والمعتزلة والزيديـة.. اعتبـار أئمتهم موصـوفين بصـفات عالية مثل العلم بالغيب والعصمة عن الخطأ استمرارا للنبـوة، وتقديسـهم للأئمة والافـراط في حبهم، ثم عدم حبهم للصحابة الذين كانوا بلا شك أولياء الله ورسـوله. ومع ذلك فاننا لن نستطيع أن نكفرهم بسبب بعض آرائهم الخطيرة ما دمنا في حالة الوفاق (أو الاتفاق)، خصوصا في أركان الإيمان مثل الإيمان بالله وبنبوة رسول الله (ص) وبحقية اليوم الآخر، وفي المبـاديء الاسـلامية من أداء الفرائض من الصلاة والصوم والحج والزكاة والامتناع عن المحارم من الربا والخمر والميسر والزنا وغيرها".
الندوة العلمية الدولية حول التشيع ، ص 693-694

الامام أحمد بن حنبل الـذي كـان يضع أصـبعيه في أذنيه في قاعة درس التاريخ حتى لا يسـمع ما لا يعجبـه، ثم يقـوم بكتابة ما يحلو له بعد ذلك.

يقـول أبو بكر الخلال في (السـنة) : ان أحمد بن حنبل كـان يقــول:" ما يعجبــني أن يــروي الرجل حــديثا فيه على أصــحاب رسـول الله شـيء. قـال وإني لأضـرب على غـير حـديث مما فيه على أصـحاب رسـول الله شـيء ". وقـال:" أخـبرني العبـاس بن محمد الدوري قال ثنا إبراهيم أخو أبان بن صالح قــال كنت رفيق أحمد بن حنبل عند عبدالرزاق قال فجعلنا نسمع فلما جـاءت تلك الأحــاديث الــتي فيها بعض ما فيها قــام أحمد بن حنبل فــاعتزل ناحية وقــال ما أصــنع بهــذه فلما انقطعت تلك الأحــاديث فجــاء فجعل يســمع ". وينقل عن عبد الــرزاق أحمد وخلف ورجل آخر فلما مرت أحاديث المثالب وضع أحمد بن حنبل إصـبعيه في أذنيه طويلا حتى مر بعض الأحاديث ثم أخرجهما ثم ردهما حــتى مضت الأحاديث كلها أو كما قال. [185]

ورغم ما ينقل عن بعض شــيوخ أهل الحــديث من التكفــير والتبديع والمقاطعة لمن يسب أو ينتقد الصحابة، فانهم لم يكونوا يلــتزمون بهــذا الموقف أحيانــا، أو يلــتزمون به انتقائيــا، حيث لم يكفر أحد من أئمة أهل السنة، الأمويين الذين كانوا يسبون الامام علي على المنـابر لمـدة سـتين عامـا. وكـذلك لم يكفر أحد منهم الخلفاء العباسيين الأوائل "الرافضة" الذين كانوا ينتقــدون أبا بكر وعمر وعثمــان. وقد أدى ذلك الى نشــوء حالة من اختلاط القيم، كما في حادثة الترضي على الصحابي حجر بن عدي وقاتله ظلما معاويــة، حسـبما تقـول هـذه العبـارة الـتي توجد على قـبره الى اليوم:" هذا قبر سيدنا حجر بن عدي رضي الله الذي قتله سيدنا معاوية رضي الله عنه".

ويمكن ملاحظة التناقض والانتقائية بوضوح في سياسة الخليفة العباسي المتوكل المتشددة تجاه من يسب الصحابة، إذ يقـال انه ضرب شخصا ألف سوط حتى الموت وأمر بإلقــاء جثته في دجلة بلا صـلاة بتهمة سب الصـحابة، ولكنه شخصـيا لم يكن يتـورع عن

---

185 - أبو بكر الخلال ، السنة،ج3 ص502

سب الامــام علي والاســتهزاء به في مجالسه أمــام النــاس.[186] ومع ذلك كان الامام أحمد بن حنبل يعتبره "ناصراً للسنة".[187]

وكـــذلك في الموقف المـــتردد من يزيد بن معاوية الـــذي قتل الحسـين وأهل بيته في كـربلاء ، وأغـار على حـرم الرسـول في المدينة المنـورة وقتل الآلاف من سـكانها بما فيهم العشـرات أو المئات من الصـحابة من المهـاجرين والأنصـار، وأبنـائهم الأخيـار، في واقعة الحرة الشهيرة. والترضي على يزيد بن معاوية بحديث مختلق "يشهد له أو لمن غزا بالمغفرة".[188]

---

[186] - يـــذكر الطـــبري قصة ضـــرب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب خان عاصم ببغداد ألف سوط. فيقول: ذكر الخبر عن سبب ضـربه وما كان من أمره في ذلك وكان السبب في ذلك أنه شهد عند أبي حسـان الزيـاديّ قاضي الشـرقية عليه أنه شـتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصـة، سـبعة عشر رجلاً؛ شـهاداتهم - فيما ذكر - مختلفة من هـذا النحـو؛ فكتب بذلك صـاحب بريد بغـداد إلى عبيد اللّه ابن يحـيى بن خاقـان، فـأنهى عبيد اللّه ذلك إلى المتوكـل، فـأمر المتوكل أن يكتب إلى محمد بن عبد اللّه بن طاهر يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط، فإذا مات رمى به في دجلة، ولم تدفع جيفته إلى أهله.

فكتب عبيد اللّه إلى الحسن بن عثمـان جـواب كتابه إليه في عيسـى: بسم اللّه الـرحمن الـرحيم؛ أبقـاك اللّه وحفظـك، وأتّم نعمته عليـك؛ وصل كتابك في الرّجل المســمّى عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صــاحب الخانات، وما شهد به الشهود عليه من شتم أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولعنهم وإكفارهم، ورميهم بالكبائر، ونسبتهم إلى النفاق؛ وغـير ذلك مما خرج به إلى المعاندة للّه ولرسوله صلى اللّه عليه وسـلم، وتثبّتك في أمر أولئك الشهود وما شهدوا به، وما صـحّ عنـدك من عدالة من عـدل منهم، ووضح لك من الأمر فيما شـهدوا بـه، وشـرحك ذلك في رقعة درج كتابك؛ فعرضت على أمير المؤمنين أعزّه اللّه ذلك؛ فأمر بالكتـاب إلى أبي العباس محمد بن طاهر مولى أمـير المؤمـنين أبقـاه اللّه بما قد نفذ إليـه، مما يشبه ما عنده أبقاه اللّه، في نصرة دين اللّه، وإحيـاء سـنّته، والانتقـام ممن ألحد فيــه، وأن يضــرب الرجل حــداً في مجمع النــاس حد الشــتم، وخمسمائة سوط بعد الحد للأمور العظام التي اجترأ عليها، فإن مات ألقى في الماء من غير صلاة ليكون ذلك ناهيـاً لكل ملحد في الـدين، خـارج من جماعة المسـلمين؛ وأعلمتك ذلك لتعرفه إن شـاء اللّه تعـالى - والسـلام عليك ورحمة اللّه وبركاته.

الطبري، تاريخ الرسل والملوك. ص 2277

[187] - وذلك رغم موقف الامام أحمد الايجـابي من الامـام علي، قـال أحمد بن زرارة المقريء: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: "من لم يربع بعلي بن أبي طالب في الخلافة، فلا تكلموه ولا تناكحوه". الحميدي، الإبانة لما للصحابة من المنزلة والمكانة. ص 105 (عن طبقات الحنابلة 1/45)

ولا يجد الذهبي مثلا مبررا لإدانة يزيد بن معاوية على جرائمه الكثيرة المنكرة، فيقول مثلا: "ويزيد ممن لا نسبه ولا نحبه" ويحاول أن يخفف من جرائمه بمقارنته بملوك آخرين من بني أمية وبني العباس أشرَّ منه، ويقول:"إنما عظم الخطب لكونه وُلِّيَ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بتسع وأربعين سنة، والعهد قريب، والصحابة موجودون، كابن عمر الذي كان أولى بالأمر منه ومن أبيه وجده".
وكان موقف الذهبي هذا امتدادا لموقف الفقيه الحنبلي عبد المغيث الحربي الذي صنف كتابا في منع لعن يزيد. ولكنه بالطبع لم يكن يمثل موقف عامة السنة أو الحنابلة الذين وجد فيهم من يجاهر بلعن يزيد، كأبي الفرج بن الجوزي الذي صنف كتابا في الرد على الحربي أسماه:" الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد".

3- موقف الشيعة من الصحابة

أ- الموقف الإيجابي الأول

إذن فان الفتنة الكبرى التي عصفت بالجيل الأول من المسلمين، فتحت الباب أمام عمليات نقد واسعة ضد عدد من الصحابة الذين قادوا الحروب والمعارك منذ حصار عثمان وقتله

[188] - قال أبو نعيم الاصبهاني، في حلية الأولياء، ص 833: "حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن المعلى، حدثنا سفيان بن عبد الرحمن، حدثنا أيوب بن حسان الجرشي، حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عمرو بن الأسود: أنه حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو بساحل حمص في ماله، ومعه امرأته أم حرام بنت ملحان، قال ابن الأسود: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا "، قالت أم حرام: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، قالت أم حرام: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: لا ".

وقال ابن الأثير في الكامل في التاريخ:" سنة تسع و أربعين . فيها غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قسطنطينية. و قد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : "أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم" فكان هذا الجيش أول من غزاها ، و ما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد".

مرورا بحرب الجمل وانتهاء بحرب صفين. ولم يكن نقد الصــحابة (أو ســبهم أو لعنهم أو تكفــيرهم) يقتصر على الشــيعة الــذين لم يكونوا قد تبلوروا بعد كطائفة خاصــة، وانما كـانوا لا يزالــون حزبا سياسيا يوالي الامام علي، أو كانوا في فترة معينة يمثلـون التيـار العام للمسلمين في عهد حكم الامام، ثم تشعب منهم "الخوارج" الذين انشقوا على الامام علي وكفــروه، وانــدمج قسم آخر منهم في صفوف معاوية بعد تنازل الامام الحسن عن الخلافة. وبما أن الشـيعة في ذلك الـوقت لم يكونـوا يمتلكـون أية نظرية سياسـية خاصة بهم كنظرية الامامة الالهية التي ولدت فيما بعـد، فقد كـان مــوقفهم من الشــيخين الجليلين الخليفــتين الراشــدين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهمــــــــا) موقفا إيجابيا وعاديا كموقف بقية المســلمين، وكــانوا يكنــون لهما كل المحبة والتقــدير، بل وعمل بعض قادة الحزب الشيعي ولاة لأمير المؤمنين عمر بن الخطـاب ، مثل سـلمان الفارسي الـذي أصـبح والي المـدائن، وعمـار بن ياسر والـبراء بن عـازب، وحذيفة بن اليمـان، وسـهل بن حـنيف، وعثمــان بن حــنيف، وحجر بن عــدي، وهاشم المرقــال، ومالك الأشتر. وعندما استشـار عمر بن الخطـاب رضي الله عنه عليـاً عليه السلام في الشخوص لقتال الفرس بنفسـه، قـال له الإمـام :"(إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلـة، وهو دين الله من الله، والله منجز وعده وناصر جنده، والعــرب اليـوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام، وعزيزون بالاجتماع. فكن قطبـاً واســتدر الــرُّحى بــالعرب، وأصــلهم دونك نــار العــرب، فإنك إن شخصت – أي خــرجت – من هــذه الأرض انتقضت عليك العــرب من أطرافها وأقطارهـا، حـتى يكـون ما تـدع وراءك من العـورات أهمَّ إليك مما بين يديك. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غـداً يقولـوا: هــذا أصل العــرب، فــإذا قطعتمــوه اســترحتم، فيكــون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك". نهج البلاغة

وهناك رواية يذكرها ابن قتيبة الدينوري ومصادر شيعية أخرى، تؤكد هذا المعنى، وتقول:

- إن حجر بن عــدي وعمــرو بن الحمق ، وعبد الله بن وهب الراسبي، دخلوا على علي ، فسألوه عن أبي بكر وعمر: ما تقول فيهما؟ وقالوا: بين لنا قولك فيهما وفي عثمـان. فقـال علي: وقد تفرغتم لهذا؟ وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي فيها قد قتلت؟ إني مخــرج اليكم كتابا أنـبئكم فيه ما سـألتموني عنه فـاقرءوه على شيعتي، فأخرج اليهم كتابا فيه:

"... فلما مضى (رسول الله) تنازع المسلمون الأمر بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر على بالي أن العرب تعدل هـذا الأمر عني، فما راعني الا إقبال النـاس على أبي بكـر، وإجفـالهم عليه، فأمسـكت يـدي، ورأيت أني أحق بمقـام محمد في النـاس ممن تـولى الأمـور علي، فلبثت بـذلك ما شـاء اللـه، حـتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يـدعون الى محو دين محمد وملة ابـراهيم عليهما السـلام، فخشـيت إن أنا لم انصر الاسـلام واهله أن أرى في الاسـلام ثلما وهـدما ، تكـون المصـيبة به علي أعظم من فـوت ولاية أمـركم الـتي إنما هي متـاع أيـام قلائل ثم يزول منها ما كان كما يزول السراب، فمشـيت عند ذلك الى أبي بكر فبايعتـه، ونهضت معه في تلك الاحـداث حـتى زهق الباطـل، وكـانت كلمة الله هي العليـا، وأن يـرغم الكـافرون. **فتولى أبو بكر رضي الله عنه تلك الأمـور فيسّـر وسـدّد وقـارب واقتصد، فصحبته مناصـحا وأطعته فيما اطـاع الله فيه جاهدا**، فلما احتضر بعث الى عمر فولاه فسمعنا وأطعنـا، وبايعنا وناصحنا، فتـولى تلك الأمـور **فكان مرضي السـيرة ميمـون النقيبة أيـــام حياته** ، فلما أحتضر قلت في نفســـي: ليس يصرف هذا الامر عني، فجعلها شورى وجعلني سادس ستة... ثم قـالوا لي: هلم فبـايع عثمـان، والا جاهـدناك، فبـايعت مسـتكرها وصبرت محتسبا، وقال قـائلهم: انك يا ابن ابي طـالب على الأمر لحـريص، فقلت لهم: أنتم أحـرص... حـتى اذا نقمتم على عثمـان فقتلتمــوه، ثم جئتمــوني تبــايعونني، فــأبيت عليكم وأبيتم علي، فنـــازعتموني ودافعتمـــوني ، ولم أمـــدَّ يـــدي ، تمنعا عنكم، ثم ازدحمتم علي، حتى ظننت أن بعضـكم قاتل بعض، وأنكم قـاتلي، وقلتم: لا نجد غـيرك، ولا نرضى الا بـك، فبايعنا لا نفـترق عنك ولا نختلف، فبايعتكم ودعوتم الناس الى بيعتي فمن بـايع طائعا قبلت منه، ومن أبى تركته، فأول من بـايعني طلحة والزبـير، ولو أبيا ما أكرهتهما، كما لم أكره غيرهما، فما لبثا الا يسـيرا حـتى قيل لي : قد خرجا الى البصــرة في جيش ما منهم رجل الا وقد أعطــاني الطاعة وسمح لي بالبيعة...".[189]

وعندما جدد الشيعة بيعتهم للامام علي بعد خـروج الخـوارج إلى حروراء والنهروان قالوا له: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت. فشرط لهم الامام أن يوالـوا من والى على سـنة رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم ويعـادوا من عـادى على سـنته، فجاء ربيعة بن أبي شداد الخثعمي - وكان صاحب رايــة خثعم في

---

[189] - الدينوري، ابن قتيبة، الامامة والسياسة ج1 ص 133-134

جيش الإمام أيام الجمل وصفين- فقال له الإمام: بايِع على كتاب الله وسنة رسوله. فقال ربيعة: وعلى سنة أبي بكر وعمر. فقال الإمام: لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسول الله لم يكونا على شيء من الحق.

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته التي بعث بها إلى أهالي مصر مع قيس بن سعد بن عبادة واليه على مصر:"**.. فلما قضى (رسول الله) من ذلك ما عليه قبضه الله عز و جل صلى الله عليه ورحمته و بركاته، ثم إن المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين عملا بالكتاب والسنة و أحسنا السيرة ولم يعدُوَا لِسُنَّـتِهِ ثم توفّاهما الله عز و جل رضي الله عنهما".**[190]

وقال عليه السلام عن أخيه عمر بن الخطاب بالخصوص:"..**لقد قوَّم الأود و داوى العمد و أقام السنة و خلّف الفتنة، ذهب نقيَّ الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها و سبق شرَّها، أدَّى إلى الله طاعته واتَّقاه بحقِّه".**[191]

وتجلى هذا الموقف الإيجابي من الشيخين أيضا في ثقافة أهل البيت عليهم السلام، وخصوصا في دعاء الامام السجاد علي بن الحسين، الذي يقول فيه:"... اللهمّ وأصحاب محمد صلى الله عليه وآله خاصة الذين أحسنوا الصحبة والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث اسمعهم حُجّة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا به، وما كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، فلا تنس لهم اللهمّ تركوا لك وفيك وأرضهم من رضوانك".[192]

وقد روى الكليني في (الروضة من الكافي) عن أبي بصير قال:"كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام، إذ دخلت علينا أم خالد تستأذن عليه، فقال أبو عبد الله: أيسرك أن تسمع كلامها؟ قال: فقلت: نعم، قال: فأذن لها، قال: وأجلسني معه

---

190 - إبراهيم بن هلال الثقفي في كتابه: " **الغارات** " ج1/ص210 ، و السيد علي خان الشوشتري في كتابه " **الدرجات الرفيعة** " ص 336 ، و الطبري في **تاريخ الأمم و الملوك،** ج3/ص550

191 - نهج البلاغة، الخطبة 228

192 - الصحيفة السجادية: الدعاء الرابع

على الطنفسة، قال: ثم دخلت فتكلمت، فإذا امرأة بليغة، فسألته عنهما – أي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما – فقال لها: توليهما، قالت: فأقول لربي إذا لقيته: إنك أمرتني بولايتهما، قال: نعم".

وينقل كثير من المصادر السنية: أن الامام علي كان يقول: **"لا أُوتَى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حدَّ المفتري".**[193] حتى ان القاضي المعتزلي عبد الجبار الهمداني نقل في كتاب (تثبيت النبوة) أن أبا القاسم نصر بن الصباح البلخي قال في (كتاب النقض على ابن الراوندي): أن سائلا **سأل شريك بن عبد الله فقال له: أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر. فقال السائل: تقول هذا وأنت شيعي؟ فقال له: نعم، من لم يقل هذا فليس شيعياً.** والله لقد رقي هذه الأعواد علي فقال:"ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر". وسواء صحت هذه الرواية أم لم تصح، وذلك لأن الشيعة عموما كانوا يُعرفون تاريخياً بتفضيلهم الامام علي، فان من الثابت أن الشيعة في القرن الأول كانوا يحترمون الشيخين ويوقرونهما أشد توقير، ولم تكن لهم مؤاخذات الا على بعض الصحابة الذين حاربوا الامام علي أو اختلفوا معه. وهذا ما يؤكده إمام أهل السنة في القرن الخامس الهجري اللالكائي حيث يروي عن ... حريث بن ابي مطر سمعت سلمة يقول: جالست المسيب بن نخبة (نجية) الفزاري في هذا المسجد عشرين سنة وناسا من الشيعة كثيرا فما سمعت أحدا منهم تكلم في أحد من اصحاب رسول الله الا بخير، وما كان الكلام الا في علي وعثمان.[194]

وهو ما يؤكده أيضا محب الدين الخطيب بقوله:"من الظواهر التي تسترعي الأنظار في تاريخ هذه الفترة أن الغلاة من الفريقين -فريق الشيعة وفريق الخوارج- كانوا سواءً في الحرمة للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، تبعاً لما كان عليه أمير المؤمنين علي نفسه، وما كان يعلنه على منبر الكوفة من الثناء عليهما والتنويه بفضلهما".[195]

---

[193] - البخاري ، حديث رقم 3671

[194] - اللالكائي، كتاب السنة، موقف الشيعة من ابي بكر وعمر، حديث رقم 2613

أجل.. ان التاريخ يسجل: أن الأجيال الأولى من الشيعة، وخاصة في القـرن الأول الهجـري قـالت: "إن عليا كـان أولى النـاس بعد رسول الله لفضله وسابقته وعلمه ، وهو افضل الناس كلهم بعده ، و أشجعهم وأورعهم وأزهدهم" . وأجازوا مع ذلك إمامة أبى بكر وعمر وعـدوهما أهلا لـذلك المكـان والمقـام ، وذكـروا: "إن عليا سلم لهما الأمر ورضي بذلك وبايعهما طائعا غير مكره وترك حقه لهما ، فنحن راضــون كما رضي المســلمون له ، ولمن بــايع ، لا يحل لنا غـير ذلـك، ولا يسع منا أحـدا إلا ذلـك، وان ولاية أبى بكر صارت رشدا وهدى لتسليم علي ورضاه ".[196]

بينما قالت فرقة أخرى من الشيعة :" إن عليا افضل النـاس لقرابته من رسول الله ولسابقته وعلمه ولكن كان جـائزا للنـاس أن يولوا عليهم غـيره إذا كـان الـوالي الـذي يولونه مجزئا ، أحبّ ذلك أو كرهه، فولاية الوالي الذي ولوا على أنفسـهم برضى منهم رشد وهـــــدى وطاعة لله عز وجل ، وطاعته واجبة من الله عز وجل".[197]

وقال قسم آخر منهم :" إن إمامة علي بن أبى طالب ثابتة في الوقت الذي دعا الناس واظهر أمره".[198]

ب- الموقف الثاني، بعد القول بنظرية الإمامة

ولكن ما أن انتهى القرن الهجـري الأول، وتعـرض الشـيعة الى ضغوط سياسية شـديدة ومجـازر وملاحقـات وتعـذيب على أيـدي الأمـويين، حـتى نشأ لـدى فريق صـغير منهم نـوع من التطـرف والغلـو، كما يحصل في أي تيـار يتوسع شـعبيا ويتعـرض لضـغوط مماثلــة، فنشــأت نظرية الإمامة الالهيــة، الــتي تحصر الحق في الحكم والخلافة في أهل الـــبيت، ولا تكتفي بـــالقول أنهم أولى وأحق من غيرهم، وعـادت الى الـوراء لتقـول بـأن النـبي الأكـرم (ص) قد عين الامام عليا خليفة من بعده ونص عليه، وان الإمامة تنحصر في ذريته الى يــوم القيامــة. وقد انعكست هــذه النظرية

---

195 - محب الدين الخطيب، الخطوط العريضة، ويليها مؤتمر النجف http://www.fnoor.com/books.htm

196 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 22، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 18

197 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 21، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص 18

198 - النوبختي، فرق الشيعة، ص 54

سلبا على مبدأ الشورى والخلفاء الراشدين الذين اعتبرتهم النظرية "غاصبين" للخلافة من الامام علي.

وقد ظهرت هذه النظرية أول ما ظهرت في الكوفة، أثناء ثورة الامام زيد بن علي على هشام بن الحكم سنة 122، وأدت الى انشقاق "الرافضة" عن الحركة الشيعية العامة.

ولنستمع الى الطبري وهو يحدثنا عن هذه القصة من البداية، حيث يقول:

- اجتمعت إليه (الى زيد) جماعة من رءوسهم ، فقالوا : رحمك الله ! ما قولك في أبي بكر و عمر؟ قال زيد : رحمهما الله و غفر لهما ، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما و لا يقول فيهما إلا خيراً ، قالوا : فلم تطلب إذاً بدم أهل هذا البيت، إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم ! فقال لهم زيد : إن أشد فيما ذكرتم أنا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه و سلم من الناس أجمعين ، و إن القوم استأثروا علينا ، و دفعونا عنه ، **و لم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً** ، **قد ولوا فعدلوا في الناس ، و عملوا بالكتاب و السنة** . قالوا : فلم يظلمك هؤلاء (الأمويون) ! و إن كان أولئك لم يظلموك ، فلم تدعوا إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين ! فقال **: و إن هؤلاء ليسوا كأولئك ، إن هؤلاء ظالمون لي و لكم و لأنفسهم** ، و إنما ندعوكم إلى كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم ، و إلى السنن أن تحيا ، و إلى البدع أن تطفأ ، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم ، و إن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل . ففارقوه و نكثوا بيعته ، و قالوا : سبق الإمام ــ و كانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الإمام ، و كان قد هلك يومئذ ــ و كان ابنه جعفر بن محمد حياً ، فقالوا : جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه ، و هو أحق بالأمر بعد أبيه ، و لا نتبع زيد بن علي فليس بإمام . فسماهم زيد **"الرافضة"**. وكانت منهم طائفة قبل خروج زيد مروا إلى جعفر بن محمد بن علي ، فقالوا له : إن زيد بن علي فينا يبايع ، أفترى لنا نبايعه؟ فقال لهم : نعم بايعوه ، فهو والله أفضلنا و سيدنا و خيرنا فجاءوا ، فكتموا ما أمرهم به .[199]

وقد واجهت هذه النظرية رد فعل رافض من قبل أهل البيت عليهم السلام، والشيعة الأوائل قبل غيرهم. فقد قال الامام

---

[199] - تاريخ الطبري ج4 ص204

محمد الباقر (ع) لجابر الجعفي: يا جـابر بلغـني أن قوما بـالعراق يزعمـون أنهم يحبوننا ويتنـاولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهمـا. ويزعمون أني أمـرتهم بـذلك. فـابلغهم أني الى الله منهم بـريء. والذي نفس محمد بيده **لو وليت لتقربت الى الله بدمائهم**. لا نـالتني شـفاعة محمد أبـدا إن لم اكن اسـتغفر لهما وأتـرحم عليهمـا. وقـال لتلميـذه سـالم: **يا سـالم تولهمـا، وابـرأ من عــدوهما، فانهما كانا إمــامي هــدى رضي الله عنهما**. وقـال لمن سـأله عن حلية السـيف: لا بـأس به فقد حلى ابو بكر الصـديق رضي الله عنه سـيفه. وعنـدما تعجب السـائل وقـال: وتقول الصديق؟ وثب الامام الباقر وثبة واسـتقبل القبلة ثم قـال: نعم الصـديق، فمن لم يقل الصـديق فلا صـدق الله له قـولا في الدنيا والآخرة.[200]

وكـانت حركة الغلو في أئمة أهل الـبيت قد نشـأت في بعض أوسـاط الشـيعة، بقيـادة بيـان بن سـمعان التميمي والمغـيرة بن سعيد وبشار الشعيري وأبي الخطاب، الذين كانوا يدعون الألوهية لأئمة أهل الـبيت، أو النبـوة لهم، أو لأنفسـهم، ويكفـرون أبا بكر وعمر ومن لم يوال عليا، ولكن أئمة أهل البيت كانوا يردون على هـؤلاء الغلاة بشـدة وغضب ويطـردونهم من صـفوف الشـيعة ويلعنـونهم ويتـبرأون منهم. وقد خـاطبهم الامـام الصـادق قـائلا: "تقربـوا الى اللـه، فـانكم فسـاق كفـار مشـركون" وقـال لأحد أصـحابه: اذا قـدمت الكوفة فـأت بشـار الشـعيري وقل لـه:" **يا كافر يا فاسق أنا بريء منك"**. وعندما دخل عليه بشـار يوما صاح بـه:" اخـرج عـني لعنك اللـه. والله لا يظلـني وإيـاك سـقف أبـدا". فلما خـرج قـال:"ويحـه.. ما صـغَّر الله أحد تصـغير هـذا الفاجر. والله اني لعبد الله وابن أمته". وقال الإمـام الصـادق عن المغيرة بن سعيد:" لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن الله يهودية كان يختلف اليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخـاريق، فوالله ما نحن الا عبيد، خلقنا الله واصطفانا، ما نقدر على ضـرر ولا نفع الا بقدرته، ولعن الله من قال فينا ما لا نقول في انفسنا". وأعلن الامـام :" من قـال إننا أنبيـاء فعليه لعنة الله ، ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله".[201]

ولم يكن من الصـعب على الحركة الشـيعية أن تتخلص من أولئك الغلاة "الكفـار" الـذين خرجـوا بـأقوالهم ليس عن التشـيع فقط وانما عن الـدين الاسـلامي بادعـاء الألوهية أو النبـوة لأئمة أهل الــبيت، ولكن المشــكلة كــانت أصــعب مع بعض الغلاة

---

[200] - الجندي، الامام جعفر الصادق، ص 143

[201] - المصدر السابق، ص168

السياسيين الـذين اعتقـدوا بنظرية "النص" وتعـيين النـبي للإمـام علي وأهل الـبيت خلفـاء من بعـده، والـتي انعكست سـلباً على الخلفـاء الراشـدين الـذين جـاءوا عـبر الانتخـاب والشـورى، قبل الامــام علي، حيث كــان هــؤلاء الغلاة أو "الرافضــة" يعتقــدون باغتصاب أبي بكر وعمر للخلافة من علي، ولـذلك كـانوا يتـبرءون منهمـا. وكـان بعض المتطـرفين منهم يـذهبون الى القـول بـردة معظم الصــحابة الــذين يزعمــون: "**أنهم عرفــوا النص ثم خالفوه**"، أو القول بنفاقهم.

وكان هذا بالطبع قولا فضـيعا ومتطرفا جـدا، ولكنه لم يكن ليشـمل عامة الشـيعة، ولا عامة الامامية الـذين قـال كثـير منهم بوجود النص الخفي وليس الصريح على الامام علي، وقالوا نتيجة لذلك بأن الصحابة "أخطـأوا" عنـدما لم ينتخبـوا الامـام علي يـوم السقيفة. ولم يقولوا بردتهم ولا نفاقهم ولا كفرهم، والعياذ باللــه. ولكنهم على أي حـال لم يقولـوا ما قـالوه كيـداً للاسـلام أو بغضا للصحابة الذين نصروا الاسـلام، وانما بنـاء على شـبهة قائمة على تـأويلات وأحـاديث ضـعيفة أو مختلقة صـدقوها، تماما كما اشـتبه الأمر على الخوارج الذين كفروا الامام علي.

وفي الحقيقة ان نشــوء نظرية الإمامة الإلهية لأهل الــبيت، وتحوّلها الى عقيدة دينية، أو أصل من أصول الدين، لدى الشــيعة الاماميــة، أوقعهم في أزمة تاريخية وعــداء نظـري مع الشـيخين، وانفصــال واقعي عن ثقافة أهل الــبيت وتــاريخ الشــيعة الأوائل الذين كانوا يكنون حبا واحتراما كبيرين لهما.

وهذا ما كان يـؤدي بهم الى الاصـطدام مع ثقافة أهل الـبيت المعلنة والإيجابية تجاه الصحابة والشيخين، حيث كانوا يضــطرون لتمرير أقــوالهم تحت ســتار "التقيــة". ولكن أهل الــبيت عليهم السلام كانوا يتصدون لتلك الـدعاوى المتطرفة بشـدة. وقد قـال الامام الصادق لرجل جاءه وقال له: إن لي جـارا يـزعم انك تـبرأ من ابي بكر وعمـر، فغضب منه الامـام وقـال:" **بريء الله من جــارك. وإني لأرجو ان ينفعــني الله بقرابــتي من ابي بكر". وعندما** سأله سالم بن ابي حفصة عن الشيخين، أجابه:" **يا سالم تولهما وابــرأ من عـدوهما. فانهما كانا أمـامي هدى رضي الله عنهما..**أيسب الرجل جده؟ أبو بكر جــدي. لا نـالتني شـفاعة محمد يـوم القيامة ان لم اكن أتولاهما وأبـرأ من عــدوهما".[202] وروى الامــام الصــادق حــديث جــده الامــام أمــير المؤمنين عن إخوانه الطيبين صحابة رسول الله (صـلى الله عليه وآله): "لقد رأيت أصحاب محمد صلى اللـه عليـه وآلـه، فمـا أرى

[202] - المصدر السابق، ص178

أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، وإذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبُلَّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب".[203]

محاولة إعادة كتابة التاريخ

وعلى أي حال وبناء على تلك الشبهة، جاء فيما بعد من نسج على منوالها، وبدأ يختلق الروايات على لسان أهل البيت، ويتلاعب بالتاريخ، ويدس ما يريد في صفوف الشيعة باسم التقية، ثم جاء من جمع تلك الروايات فنسبها الى الشيعة وهم منها براء.

وأعاد أولئك الغلاة قراءة التاريخ الاسلامي وكتابته من جديد، فأضافوا اليه من عند أنفسهم ما لم يحدث أبدا، واختلقوا أساطير تاريخية زرعت الحقد والعداوة والبغضاء على الصحابة الطاهرين، وتركت أثرا سلبيا على وحدة المسلمين النفسية على مدى التاريخ. وكان من الأمور التي ضخموها موضوع (فدك) التي أفاءها الله على رسوله يوم خيبر بلا قتال، فأعطاها لابنته السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وعندما تولى أبو بكر الخلافة استرجعها منها باعتبارها من الأموال العامة، ولكن الزهراء قالت ان النبي أعطاها لها منحة، فطالبها بالشهود، فجاءت بزوجها الامام علي وأم أيمن فشهدا لها، ولكن أبا بكر رفض الحكم لها برجل وامرأة وطالبها بمزيد من الشهود، فانصرفت فاطمة غاضبة.[204]

والى هنا فالقصة مما يجمع عليه المؤرخون، وهي، كما هو واضح، قصة خلاف قضائي شخصي لا يحمل معنى عدائيا ضد الزهراء، وقد راجع الامام علي (عليه السلام) في أيام حكمه القاضي شريح في دعوى بسرقة درع له ضد ذمي، ولم يكن معه شهود، فحكم القاضي للذمي، ولم يغضب الامام علي من ذلك. ولكن الغلاة أضافوا على تلك القصة خطبا مزعومة وموهومة

---

[203] - نهج البلاغة، الخطبة 97

[204] - الحموي، ياقوت ، معجم البلدان: 4 / 238 والبخاري: 4 / 96، ك فرض الخمس، الطبقات الكبرى، ابن سعد: 2 / 315 و8 / 28، مسند أحمد: 1 / 6، وبما معناه في 1 / 214، 2 / 353، وفاء الوفاء، السمهودي: 3 / 995 و 996، مسند أبي عوانة: 4 / 251 ح6679، المصنف: عبد الرزاق: 5 / 472 ح 9774، تاريخ الطبري: 2 / 236.

قـــالوا ان السـيدة فاطمة ألقتها في المسـجد ضد أبي بكر والمهاجرين والأنصار، وذمتهم فيها كثيرا. ويوجد نسخ عديدة لهذه الخطب المتناقضة، وكلها منقولة عن كتب مجهولة من القـرن الثالث والرابع والسادس، بلا أسناد متصلة، أو رواية موثوقة.[205]

أسطورة الهجوم على بيت فاطمة الزهراء

وربما كـانت قصة "كبس بيت الامـام علي من قبل عمر من أجل إجبـاره على بيعة أبي بكـر، وما رافق ذلك من تهديد بحـرق بيت فاطمة على من فيـه، أو قيامه بحـرق بـاب الـبيت وضـرب الزهراء وعصرها وراء الباب، وإسقاط جنينها (محسن) والتسبب في وفاتها" من أهم القصص الأسطورية الخطيرة التي لعبت عبر التاريخ وتلعب اليوم دورا كبـيرا في تـأجيج الخلافـات بين الشـيعة والسنة، بعد زوال معظم أسباب الخلافات التاريخية. ولـذلك فـان من الضروري التوقف عند هذه القصة – الأسـطورة، والبحث في ظروف نشأتها وعرضـها على التحليل المختـبري والجنـائي للتأكد فيما اذا كانت تتمتع بأية مصداقية أو حقيقة تاريخية.

وقبل أن نقوم باستعراض "الأدلة" التي يقدمها المدعون ضد الشيخين، والتي يصنفونها عادة الى أدلة "سنية" و"شيعية". لا بد أن نشير الى عدة نقاط:

1- أن المسـلمين في القـرون الثلاثة الأولى لم يكونـوا يعرفـون الانقسـام الطـائفي الحـاد، حيث لم يكن اسم "أهل السـنة" يطلق الا على مجموعة صـغيرة من "أهل الحـديث" ولم يكن اسـما عاما على طائفة مقابل "الطائفة الشـيعية". حيث كـان يوجد تـداخل كبـير بين تيـارات الشـيعة المختلفة من محـبي أهل الـبيت من الزيدية والإمامية والمعتزلة وأهل الحـديث، من العلـويين والعباسـيين وغـيرهم، بصـورة يصـعب فيها إطلاق وصف شـيعي أو سـني على أي شـخص، فضلا عن إطلاقه على عامة النـاس. ولعل أبـرز مثل على ذلك هو الامـام الشـافعي الـذي اعتـبر بعد وفاته أنه إمـام من أئمة أهل

[205] - راجع كتاب (بلاغات النساء) لأحمد بن طاهر أبي طيفور (ت 280 هـ) وكتاب (السقيفة وفدك) لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري البغدادي (ت 323 هـ) وهو كتاب مفقود لا أثر له، الا ما نقل عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ، وقد قال الأربلي في (كشف الغمة): هذه الخطبة نقلتها من كتاب السقيفة، وكانت النسخة مع قدمها مغلوطة فحققتها من مواضع أخر، وكذلك كتاب (مقتل الحسين) للخوارزمي (ت 568 هـ).

السنة، بينما كان يتهم في حياته بأنه شـيعي أو رافضـي. وكـذلك المـؤرخ الطـبري، الـذي صُـنِّف مـؤخرا على أنه شـــيعي، بينما كـــان المتطرفـــون من أهل الســـنة، أي الحنابلة، يتهمونه بالتشيع والـرفض. وفيما اعتـبر الإمامية أئمة أهل الـــبيت، أئمة خاصـــين بهم، كـــان عامة "أهل السنة" يعتبرونهم أئمة لهم ويوالونهم ويحبونهم.

2- ولا بد أن نشير الى نقطة أخرى مهمـة، وهي أن التـاريخ يحتوي على روايـات متـواترة حـول أمـور معينـة، يحصل لمن يقرأها مجتمعة القطع واليقين على أمر معين، في حين يحتـوي أيضا على إشـاعات وأسـاطير ، وروايـات تســـمى بروايـــات الآحـــاد، وهي روايـــات أقـــرب الى الإشاعات، وتنقل بصور غامضة ومتناقضة وبلا أسـناد، أو عبر رجال كـذابين أو غـير ثقـاة أو كتب غـير معروفة ولا معتـبرة، وهـذه الظـاهرة معروفة في التـاريخ كما في العقيدة والفقه والسياسة والقضـايا القانونية الشخصـية. والموقف منها هو الشك والـــرفض والتمسك بـــالأمور اليقينية الثابتة بالتواتر والإجماع حسب القاعدة الأصـولية المعروفة:"لا تنقض اليقين بالشك".

3- أما النقطة الثالثـة، فهي ضـرورة قـراءة التـاريخ قـراءة ظاهرية طبيعية، وتجنب التفسيرات التعسفية والقراءات الباطنية المقلوبة، الـتي قـام بها الغلاة، للتـاريخ ولأقـوال أئمة أهل الـبيت، وقلبـوا من خلالها الأبيض الى أسـود، والأسـود الى أبيض، وذلك باسم "التقيـة" الـتي كـانوا يستخدمونها كغطـاء لتمرير أقـوالهم ونظريـاتهم المغالية المضادة لفكر وأقوال أهل الـبيت، حـتى وصل بهم الأمر الى أن ينكـروا وفيـات عـدد من الأئمة ، أو ينسـبوا اليهم أولادا لم يولدوا ولم يعرفوا أثرا لهم.

4- وهنـاك نقطة رابعـة، هي ضـرورة تجنب الاعتمـاد على تشكيل الصورة التاريخية بـالافتراض والتخمين، إذ يلاحظ أن بعض من يكتب في التاريخ، يقوم بافتراض كثـير من الأمـور الـتي لم تقع ولم يسـجلها التـاريخ، ولا يوجد لديه أي دليل عليها، اعتمادا تصورات معينـة، أو ادعـاء حـذفها من التـــاريخ ومنعها من التـــدوين، وهو ما يعـــني محاولة كتابة التاريخ على مجرد الافـتراض والخيـال، دون العلم واليقين.

ميزان القوى القبلية عند بيعة أبي بكر

من المعروف ان خلافا سياسـيا مؤقتا حـدث بين الصـحابة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وان الأنصار بــادروا الى سقيفة بـني سـاعدة لتعـيين رئيس عليهم قبل ان يلتحق بهم بعض المهاجرين فيناقشوهم ويقنعـوهم بانتخـاب أبي بكـر، الـذي كـان من أصـغر قبائل قـريش وهي تيم، ولم يكن معه من رجـال قريش الا أبو عبيدة ابن الجـراح وعمر بن الخطـاب، الـذي كـان ينتمي هو الآخر لقبيلة ضعيفة، هي عدي، وهـذا ما أدى الى توقف البطـون الكـبرى من قـريش كبـني عبد منـاف وأمية وأسد وبـني زهرة وبني مخزوم، عن بيعة أبي بكر لفترة، ثم بايعوه.

يقول ابن قتيبة الدينوري: ان بـني هاشم اجتمعت عند بيعة الانصار الى علي بن ابي طـالب... واجتمعت بنو امية الى عثمـان واجتمعت بنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن بن عـوف فكـانوا في المسجد مجتمعين، فلما اقبل عليهم ابو بكر وابو عبيـدة وقد بـايع الناس ابا بكر قال لهم عمـر: ما لي أراكم مجتمعين حلقا شـتى؟ قوموا فبايعوا ابا بكر فقد بايعته الأنصار".[206]

وكان من بين الرافضين في البداية زعيم قريش أبو سـفيان، حيث ذهب الى الإمام علي يحرضه ضد ابي بكر قائلا:" أرضيتم يا بـني عبد منـاف ان تلي عليكم تيم؟!" ثم عـرض عليه ان يبايعـه: "أمــدد يــدك أبايعــك، فلأملأنها عليه خيلا ورجلا". وأيــده في ذلك العباس بن عبد المطلب الذي قال لعلي أيضا:"امـدد يـدك أبايعك وآتيك بهذا الشيخ من قريش (يعني ابا سفيان) فيقال: عم رسول الله بايع ابن عمه، ويبايعك أهل بيتك، فلا يختلف عليك من قريش اثنان، والنـاس تبع لقـريش". ولكن الامـام علي رفض الاسـتجابة لهما، دون ان يخفي امتعاضه من بيعة ابي بكر.[207]

ويبدو من خلال قول العباس لعلي، الذي يتضمن تحليلا للواقع السياسي وتنويها بدور قريش وبـني عبد منـاف، ان سـيطرة أبي بكر على الأمــور لم تتم ببيعة الســقيفة مباشــرة، إذ لم يحضَ بصـوت الأكثرية من المسـلمين، أو من قـريش، وانما بقيت بيعته معلقة حـتى بايعه بنو هاشم وبنو أمية وبنو زهـرة، ولو كـان علي قد اسـتجاب لـدعوة العبـاس وأبي سـفيان لكـان قلب الأمر على أبي بكر والأنصار، لأنه كان يحظى بـأكبر وأقـوى الأصـوات، ولكنه أحجم عن المنافسة وانســحب من أمـــام أبي بكـــر، خوفا من

---

206 - الدينوري، الامامة والسياسة، ج1 ص 12

207 - الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 7 والدينوري، الامامة والسياسـة، ج1 ص 12

إحداث شقاق بين المهاجرين، أو بينهم وبين الأنصـار، وفتح بـذلك الباب أمام استقرار نظام أبي بكر.

يقول الطبري:"حدثنا أبو صالح الضرار ، قال : حدثنا عبد الرزاق بن همـام ، عن معمر ، عن الزهـري ، عن عـروة ، عن عائشة ، أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فـدك ، وسـهمه من خيبر ، فقـال لهما أبو بكر : أما اني سـمعت رسـول الله يقـول : لا نـورث ، ما تركنا فهو صـدقة ، إنما يأكل آل محمد في هـذا المـال . واني والله لا أدع أمراً رأيت رسـول الله يصـنعه إلا صـنعته . قـال : فهجرته فاطمة فلم تكلمه في ذلك حـــتى مـــاتت ، فـــدفنها علي ليلاً...فمكثت فاطمة سـتة أشـهر بعد رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ، ثم توفيت .

قال معمر : فقال رجل للزهري : أفلم يبايعه على سـتة أشـهر ! قال : لا ؛ ولا أحد من بني هاشم ؛ حـتى بايعه علي . فلما رأى على انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر ، فأرسل إلى أبي بكر : أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد ، وكـــره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر ، فقـال عمر : لا تـأتهم وحـدك ، قـال أبو بكر : ولله لآتينهم وحدي ، وما عسى أن يصنعوا بي ! قال : فـانطلق أبو بكر ، فـدخل على علي ، وقد جمع بـنى هاشم عنـده ، فقـام علي فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قـال : أما بعد ، فإنه لم يمنعنا من أن نبايعك يا أبا بكر إنكـار لفضـيلتك ، ولا نفـاس عليك بخـير سـاقه الله إليك ، ولكنا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقـاً ، فاسـتبددتم به علينا . ثم ذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسـلم وحقهم . فلم يـــزل علي يقـــول ذلك حـــتى بكى أبو بكر . ثم قـــال علي : موعدك العشية للبيعة ، فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على النـاس ، ثم عــذر عليا ببعض ما اعتــذر ، ثم قــام علي فعظم من حق أبي بكر ، وذكر فضيلته وسابقته ، ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه . قـالت : فأقبل الناس إلى علي فقالوا : أصبت وأحسـنت ، قـالت : فكـان الناس قريباً إلى علي حين قارب الحق والمعروف" .[208]

وهذا ما يؤكدا أيضا المسـعودي في (مـروج الـذهب)[209] وابن الأثير في (الكامل في التاريخ) حيث ينقل عن الزهري قولـه: بقي علي وبنو هاشم والزبير سـتة أشـهر لم يبـايعوا أبا بكر حـتى مـاتت فاطمة، رضي الله عنهـا، فبـايعوه.[210] وكـذلك ابن أبي الحديد الـذي يقــول: وأما الــذي يقوله جمهــور المحــدثين وأعيــانهم، فإنه عليه السلام امتنع من البيعة ستة أشهر، ولزم بيته، فلم يبايع حتى مـاتت

---

208 - الطبري ج3 ص 619 و فتح الباري 7/403

209 - المسعودي، مروج الذهب، ص 290

210 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ص 361

فاطمة عليها السـلام، فلما مـاتت بـايع طوعـاً. [211] وينقل عن صحيحي مسلم والبخاري: أنه لما ماتت فاطمة عليها السلام، خـرج من بيته فبـايع أبا بكـر، وكـانت مـدة بقائها بعد أبيها عليه الصـلاة والسلام ستة أشهر.[212]

ومع بيعة الامـام علي لأبي بكر بعد سـتة أشـهر من وفـاة الرسول (ص) طويت صفحة الخلاف بين الامام علي وإخوانه من السـابقين والمهـاجرين والأنصـار، وعم الـود والحب والتقـدير والتعـاون في سـبيل الله والـدفاع عن الاسـلام، الى حد تـزويج الامام علي ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب.[213] وتسـمية ثلاثة من أبنائه باسم أبي بكر وعمر وعثمان.

ذلك الأمر الذي يؤكده الموقف الشيعي الإيجابي من الشيخين وعموم الصـحابة، والثـابت عـبر الروايـات المتـواترة من الشـيعة والسنة، والذي قدمناه في الصفحات الآنفة قبل قليل.

ولكن بعض الروايات تقول إن الامام علي أخذ يقـاوم أبا بكر وانه أركب فاطمة على حمار وراح يـدور بها في طرقـات المدينة ليلا، استجلابا لدعم الأنصار لـه، وانه اعتصم مع الزبـير وعـدد من المهـاجرين في بيته وحملـوا السـلاح اسـتعدادا للمقاومة[214]، مما دفع أبا بكر الى أن يرسل عمر الى فاطمة الزهـراء ليهـددها بإحراق البيت عليهم أو يخرجوا للبيعـة، وان الامـام علي قد أجـبر على بيعة أبي بكر.[215]

---

211 - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ص 107

212 - المصدر السابق، ص 107

213 - ذكر الكليني في الكافي ثلاث روايات حول زواج أم كلثوم من عمر، وصححها المجلسي في (مرآة العقول) منكرا على المفيد التشكيك بها. مرآة العقول: 20/42 و 21/197.

214 - يقول ابن أبي الحديد ان الامـام علي كـان يـردد قـائلا: "لم يكن لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن المـوت"، وانه قـال أيضـا:" لو وجـدت أربعين ذوي عـزم!". ذكر ذلك نصر بن مـزاحم في كتـاب صـفين، وذكـره كثير من أرباب السيرة. شرح نهج البلاغة ، ص 107 وهـذا يخـالف الرواية الـتي ينقلها ابن أبي الحديـد، عن أحمد بن عبد العزيز الجـوهري، والـتي تقـول: ان أبا سـفيان جـاء إلى علي عليه السـلام، فقـال: وليتم على هـذا الأمر أذل بيت في قـريش، أما والله لئن شـئت لأملأنها على أبي فصـيل خيلاً ورجـالاً، فقـال علي عليه السـلام: طالما غششت الإسـلام وأهله فما ضررتهم شيئاً! لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلـك، لـولا أنا رأينا أبا بكر لها أهلاً، لما تركناه". المصدر السابق، ص119

215 - الدينوري، الامامة والسياسة، ج1 ص 19

ولكن المـيزان العـام لمعادلة القـوى ، والجو العـام لتطـور الأحداث يستبعد الرواية السابقة التي تتحدث عن ممارسة العنف في أخذ البيعة لأبي بكر، فاذا كان أبو بكر قد ترك سعد بن عبـادة ولم يجبره على البيعة، فقد كان أضعف من أن يجـبر الامـام علي على البيعــة، وأبعد من أن يــأمر باقتحــام داره وجلبه بــالقوة، أو يســـمح لأي أحد بتهديـــده بـــإحراق بيته عليـــه، وهو ما تقوله الأسـطورة الـتي نشـأت في القـرون التاليـة، وحملت بين طياتها تفاصيل أسطورية أخرى أبعد ما تكـون عن الحقيقـة. مثل ضـرب عمر للزهراء وحرق بـاب بيتها فعلاً، والتسـبب في إسـقاط جنينها (محسن) أثناء الهجوم على بيتها، والعياذ بالله.

وهنا يحق لنا أن نتسـاءل: هل تقـاوم هـذه الأسـطورةُ الروايـةَ الأولى علميــا؟ وهل هي رواية متــواترة؟ أم هي خــبر آحــاد؟ أو إشـاعة سـخيفة؟ وهل هي مسـندة بشـكل متصـل؟ أم مقطوعة ومرسلة وغامضة ومتناقضة ومجهولـة؟ وهل هي قديمة ومعروفة في الأجيال الأولى؟ أم نظرية حادثة في العصور المتأخرة؟

يقــول ابن أبي الحديد في (شــرح نهج البلاغــة): "اختلفت الروايات في قصة السقيفة، فالذي تقوله الشـيعة - وقد قـال قـوم من المحدثين بعضه ورووا كثـيراً منه - أن عليـاً عليه السـلام امتنع من البيعة حتى أخرج كرهـاً، وأن الزبـير بن العـوام امتنع من البيعة وقال: لا أبايع إلا عليـاً عليه السـلام، وكـذلك أبو سـفيان بن حـرب، وخالد ابن سـعيد بن العـاص بن أمية بن عبد شـمس، والعبـاس بن عبد المطلب وبنـــوه، وأبو ســـفيان بن الحـــارث بن عبد المطلب، وجميع بني هاشم. وقـالوا : إن الزبـير شـهر سـيفه، فلما جـاء عمر ومعه جماعة من الأنصـار وغـيرهم، قـال في جملة ما قـال: خـذوا سيف هذا فاضربوا به الحجر. ويقال: إنه أخذ السـيف من يد الزبـير فضـرب به حجـراً فكسـره، وسـاقهم كلهم بين يديه إلى أبي بكـر، فحملهم على بيعته ولم يتخلف إلا علي عليه الســـلام وحـــده، فإنه اعتصم بــبيت فاطمة عليها الســلام، فتحــاموا إخراجه منه قســراً، وقـامت فاطمة عليها السـلام إلى بـاب الـبيت فأسـمعت من جـاء يطلبه، فتفرقوا وعلموا أنه بمفرده لا يضر شيئاً، فتركوه.
وقيل: إنهم أخرجوه فيمن أخرج وحمل إلى أبي بكر فبايعه. وقد روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري كثيراً من هذا. [216]

[216] - المصـدر السـابق، ص 107 يـروي الطـبري القصة السـابقة بسـند مقطوع عن ابن حميد (الرازي ، الذي توفي سنة 255) قال : حـدثنا جرير ، عن مغـيرة ، عن زيـاد بن كليب (أبو معشر الكـوفي ، تـوفي سـنة 119) قـال : أتى عمر بن الخطـاب مـنزل علي وفيه طلحة والزبـير ورجـال من

فأما حديث التحريق وما جرى مجراه من الأمور الفظيعة، وقول من قال إنهم أخذوا علياً عليه السلام يقـاد بعمامته والنـاس حولـه؛ **فأمر بعيد والشيعة تنفرد به**، على أن جماعة من أهل الحديث قد رووا نحوه، وسنذكر ذلك. [217]

الروايات السنية

وما أشار اليه ابن أبي الحديد، ورد في خـبرٍ في مصـنف ابن أبي شيبة (توفي سـنة 235) الـذي نقله عن محمد بن بشر (بن الفرافصة العبدي، توفي سنة 203) حـدثنا عبيد الله بن عمر (بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطــاب، المعاصر لمالك بن أنس) حدثنا زيد بن أسلم (العدوي، توفي سـنة 136)[218] عن أبيه أسـلم (مولى عمر بن الخطاب، توفي بين سنة 60 – 70 هـ) : أنه حين بويع لأبي بكر بعد رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم كـان علي والزبــير يــدخلان على فاطمة بنت رســول الله صــلى الله عليه وسلم فيشاورونها ويرتجعـون في أمـرهم ، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة فقال : " يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما من أحد أحب إلينا من أبيــك، وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك ، وأيم الله ما ذاك بمـــــانعي إن اجتمع هـؤلاء النفر عنـدك، أن أمـرتهم أن يحـرق عليهم الـبيت ". قال : فلما خرج عمر جاءوها فقالت : تعلمون أن عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم البيت وأيم الله ليمضين لما حلف عليه، فانصرفوا راشـدين، فَـروا رأيكم ولا ترجعـوا إلي، فانصرفوا عنها فلم يرجعوا إليها حتى بايعوا لأبي بكر". [219]

المهـاجرين ، فقـال : والله لأحـرقن عليكم أو لتخـرجن إلى البيعـة. فخـرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف ، فعثر فسـقط السـيف من يـده ، فوثبـوا عليه فأخذوه.

[217] - المصدر السابق، ص 107

[218] - قال الساجي حدثنا أحمد بن محمد المعيطي قال قال بن عيينة كان زيد بن أسلم رجلاً صالحاً **وكان في حفظه شيء.**

[219] - ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي ، ما جاء في خلافة أبي بكر وســيرته، رواية رقم 4.ــ وهنــاك رواية أخــرى لابن أبي شــيبة في نفس الصفحة، تنفي اعتداء الشيخين على الزهراء، حيث يقول: حدثنا ابن نمــير عن عبد الملك بن سـبع عن عبد خـير قـال : سـمعت عليا يقــول : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على خير ما قبض عليه نبي من الأنبياء ، قال : ثم استخلف أبو بكر فعمل بعمل رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وبسـنته ، ثم قبض أبو بكر على خـير ما قبض عليه أحد ، وكـان خـير هـذه الأمة بعد نبيها ، ثم اســتخلف عمر فعمل بعملهما وســننهما ثم قبض على خير ما قبض عليه أحد ، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها وبعد أبي بكر .

وبغض النظر عن قيمة الرواية والكتاب العلمية، فان هذه الرواية تتحدث فقط عن التهديد بحرق البيت.[220] مع إعراب عمر عن محبته للزهراء، وانصراف علي والزبير ومبايعتهما لأبي بكر، ولكن رواية أخرى ينقلها أحمد بن عبد العزيز الجوهري فيما بعد (في القرن الرابع الهجري)، تتحدث عن مجيء عمر في عصابة وصياح الزهراء ومناشدتها لهم، وإخراج علي والزبير بالقوة من البيت للبيعة.[221] فيما تضيف رواية ثالثة ينقلها الجوهري أيضا:" أنهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً عليه السلام، فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت، فخرج إليه الزبير بالسيف، وخرجت فاطمة عليها السلام تبكي وتصيح" رغم أنها تعود فتناقض نفسها وتقول على لسان الامام علي ومن اجتمع عنده:"ليس عندنا معصية، ولا خلاف في خير اجتمع عليه الناس؛ وإنما اجتمعنا لنؤلف القرآن في مصحف واحد. ثم بايعوا أبا بكر، فاستمر الأمر واطمأن الناس".[222]

---

[220] - الرواية عن أسلم العدوي، وهو عبد اشتراه عمر في مكة سنة 11 للهجرة، أي بعد الحادثة بشهور، وهو لم ينقل الرواية عن أحد، وتتضمن سلسلة الرواية أحد حفدة عمر بن الخطاب، وهو عبيد الله، الذي ينقل عنه محمد بن بشر في منتصف القرن الثاني الهجري. وأما الكتاب (المصنف) فان ابن أبي شيبة يحشد فيه ما يجد من النصوص بغض النظر عن صحة هذه النصوص أو ضعفها، الا اذا كانت ظاهرة الوضع، وبلغت نصوص الكتاب في جملتها 37251 نصا مسندا، منها ما هو المرفوع ومنها ما هو الموقوف، ومنها ما هو المقطوع . ومن الروايات التي يرويها المؤلف عن محمد بن بشر أيضا، قصة محاولة الامام علي الزواج من ابنة أبي جهل على فاطمة. حيث يقول : حدثنا محمد بن بشر ، عن زكريا ، عن عامر ، قال : خطب علي ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام ، فاستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فقال : عن حسبها تسألني ؟ قال علي: قد أعلم ما حسبها ، ولكن أتأمرني بها ؟ قال : لا ، فاطمة بعضة مني، ولا أحب أن تجزع ، فقال علي: لا آتي شيئاً تكرهه .

[221] - قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، عن ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، قال: غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة، وغضب علي والزبير، فدخلا بيت فاطمة عليها السلام، معهما السلاح، فجاء عمر في عصابة، منهم أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش - وهما من بني عبد الأشهل - **فصاحت فاطمة** عليها السلام، وناشدتهم الله. فأخذوا سيفي علي والزبير، فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما ، ثم أخرجهما **عمر يسوقهما حتى بايعا**.
ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ص 121

[222] - المصدر السابق، ص 121

وفي رواية رابعة مقطوعة السند[223]، ينقلها الجوهري ، تتحدث عن عزم الزبير على بيعة علي في مواجهة أبي بكر، وذهاب عمر مع خالد بن الوليد الى بيت علي، وأخذ السيف من الزبير وتكسيره بالحجر، ثم الأخذ بيده ودفعه وإخراج علي معه، وقيام فاطمة على باب الحجرة ومخاطبة أبي بكر:" يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله".[224]

وكل هذه الروايات لا نستطيع التأكد من صحتها، لأن ابن أبي الحديد ينقلها في القرن السابع الهجري عن الجوهري، الذي توفي القرن الرابع ، عن كتابه (السقيفة وفدك) المفقود، الذي ينقل الروايات من دون سند متصل، رغم توثيق ابن أبي الحديد له.[225] وبالتالي لا يمكن الاعتماد على أية رواية منها. لأن الوجدان في الكتب من أضعف طرق الرواية، خاصة اذا كانت قديمة وعرضة للتلاعب والتزوير.

ونشاهد مثل هذا التخبط لدى مؤرخ آخر هو البلاذري في (أنساب الأشراف) حيث ينقل مجموعة روايات متناقضة، ولكها بلا سند متصل، فيشير في الرواية الأولى التي ينقلها عن (أحمد

---

223 - (قال أبو بكر: حدثنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: أخبرنا أبو بكر الباهلي، قال: حدثنا إسماعيل ابن مجالد، عن الشعبي)

224 - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ص 121

225 - يقول ابن ابن الحديد عن الكتاب والمصنف:جميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري المتوفى ـ 323 هـ في السقيفة (وفدك) . وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث ، كثير الأدب، ثقة ورع ، أثنى عليه المحدثون ، ورووا عنه مصنفاته. المصدر السابق 16 ـ 210، ويقول محقق الكتاب (المطبوع بصورة مستقلة نقلا عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد) الدكتور محمد هادي الأميني: يروي أبو بكر الجوهري ، في كتابه عن رجال أجمعت أئمة الجرح والتعديل على توثيقهم وصدقهم ، كما ترجمت لهم أصحاب المعاجم واثنوا عليهم ، وترجموا لهم وذكروهم بالتقدير والاكبار ، وهم من كبار الشيوخ وفطاحل السنة... وان أتى فيه ما يخالفه الحقيقة والواقع في بعض الأحايين ، فذكر أحاديث وأخبار مباينة للحق الصراح ، ولذلك أشرنا إليها في الهوامش ، وترجمنا رجال السند ، وأقوال أئمة الجرح والتعديل فيهم ، لتمتاز الأحاديث الصحيحة من السقيمة، والمعتمدة من المختلفة، ولينتقى التاريخ عن المختلقات والموضوعات ، ويصفى من الشبه والضلالات . ولم تكن لأبي بكر الجوهري في المعاجم ترجمة ضافية ، ولا لمحة عن حياته ، ولا اشارة إلى تاريخه ، لذلك كانت حياته غامضة ، وأحواله مبهمة لم يكشف التاريخ عنها القناع بصورة باتة ، بيد أننا نجد في بعض المعاجم ، اشارة عابرة إليه والاكتفاء بذكر اسمه وتأليفه ، مع اليقين انه كان في الرعيل الأول من الذين احترمتهم الخاصة والعامة ، وأذعنت لحيويته العلمية الشيعة والسنة ، ونقل الرواة عنه الكثير من القضايا ، بحيث ابتنوا على ثقافته ، مؤلفاتهم في الحديث والأدب .

بن محمد أيوب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري) الى اعتزال علي وطلحة والزبير في بيت فاطمة، دون أي استخدام للعنف معهم.[226] ويؤكد هذا المعنى في الرواية الثانية التي ينقلها عن (هدبة بن خالد،حدثنا حماد بن سلمة، أنبأ الجريري، عن أبي نضرة) والتي يقول فيها ان عليا والزبير فتحا الباب لعمر وخرجا معه طائعين وبايعا أبا بكر.[227]

كما يؤكده في الرواية الثالثة التي ينقلها عن المدائني، عن عبد الله بن جعفر، عن أبي عون، ولكنه يذكر أن البيعة تمت بعد ارتداد العرب، وأنها تمت بشكل سلمي وودي، حيث يقول:"لما ارتدت العرب، مشى عثمان إلى عليّ. فقال: يا بن عم، إنه لا يخرج أحد إلى هذا العدو، وأنت لم تبايع. فلم يزل به حتى مشى إلى أبي بكر. فقام أبو بكر إليه، فاعتنقا، وبكى كل واحد إلى صاحبه. فبايعه فسرّ المسلمون، وجدّ الناس في القتال، وقطعت البعوث". [228]

ولكن البلاذري يشير في رواية رابعة ينقلها عن (بكر بن الهيثم، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس) الى أمر أبي بكر لعمر بالإتيان بعلي اليه " **بأعنف العنف**" قبل أن يبايع.[229]دون أن يذكر تفاصيل عملية الجلب وما حدث خلالها من عنف.

ثم يشير البلاذري في رواية خامسة ينقلها عن (المدائني، عن مسلمة بن محارب، عن سليمان التيمي، وعن ابن عون) الى " أن أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة، فلم يبايع. فجاء عمر، **ومعه قبس** فتلقته فاطمةُ على الباب، فقالت فاطمة: يا بن الخطاب، أتراك محرّقاً عليَّ بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك. وجاء علي، فبايع وقال: كنتُ عزمتُ أن لا أخرج من منزلي حتى أجمع القرآن". [230]

---

[226] - البلاذري، أنساب الأشراف ، ص 251

[227] - حيث يقول: لما بايع الناس أبا بكر، اعتزل علي والزبير، فبعث إليهما عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، فأتيا منزل عليّ، فقرعا الباب، فنظر الزبير من فترة ثم رجع إلى عليّ فقال: هذان رجلان من أهل الجنة، وليس لنا أن نقاتلهما. قال: افتح لهما. ثم خرجا معهما حتى أتيا أبا بكر، فقال أبو بكر: يا علي أنت ابن عم رسول الله وصهره، فتقول إني أحق بهذا الأمر، لاها الله لأنه أحق به منك. قال: لا تثريب، يا خليفة رسول الله، ابسط يدك أبايعك. فبسط يده فبايعه. ثم قال للزبير: تقول أنا ابن عمة رسول الله وحواريه وفارسه وأنا أحقّ بالأمر؛ لاها الله لأنا أحق به منك. فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، ابسط يدك، فبسط يده فبايعه. المصدر السابق، ص 252

[228] - المصدر السابق، ص 253

[229] - المصدر السابق، ص 253

[230] - المصدر السابق، ص 252

وبغض النظر عن انقطاع السند في كل روايات البلاذري الآنفة، توجد ملاحظة على شخصيته "الانتهازية" إذ ينقل عنه أنه كان يمدح المأمون ثم كان من ندماء المتوكل، كما يقول ابن عساكر وياقوت الحموي، ويقال أنه وسوس في آخر أيامه ومات في البيمارستان. وأما المؤرخ البصري علي بن محمد أبو الحسن المدائني (توفي سنة 224) الذي نقل البلاذري عنه الرواية الأخيرة، فانه ليس بالقوي في الحديث، كما يقول ابن عدي في (الكامل). ولم يذكره ابن حبان في الثقات، إضافة الى أنه قلّما يذكر رواية مسندة.

ومن هنا فان رواية البلاذري في القرن الثالث الهجري، عن استعمال عمر للعنف مع علي، أو تهديده بقبس من نار، رواية ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها في مقابل الروايات الأخرى.

واذا ما انتقلنا الى كتاب آخر صدر في نفس الفترة، وهو كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة الدينوري (213 – 276)، فاننا سوف نشاهد فيلما هنديا مليئا بالبكاء والدموع والخيال اللامحدود، بدل أن نقرأ رواية علمية يعتمد عليها. وفي الحقيقة ان ابن قتيبة يعفينا عن تجشم الرد على روايته الأسطورية بالاعتراف مسبقا في مقدمة الكتاب بأنه يعتمد طريقة الجمع والقص والتأليف دون ذكر دقيق للمصادر.[231] وهي طريقة غير علمية وتثير كثيرا من الشكوك والريبة في ما يرويه.

ومن هنا فان ابن قتيبة يضيف على الروايات السابقة كثيرا من التفاصيل الجزئية الجديدة من جيبه الخاص، حيث يقول:"ان أبا بكر رضي الله عنه تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث اليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له : يا أبا حفص.. ان فيها فاطمة! فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا، الا عليا...فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له: اذهب فادع لي عليا. قال فذهب الى علي فقال له: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: لسريع ما كذبتم

231 - حيث يقول تحت عنوان: (استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه): "عن ابن مريم، قال: حدثنا العرياني، عن أبي عون بن عمرو بن تيم الأنصاري رضي الله عنه، وحدثنا سعيد بن كثير، عن عفير بن عبد الرحمن قال: حدثنا بقصة استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، وشأن السقيفة، وما جرى فيها من القول والتنازع بين المهاجرين والأنصار، وبعضهم يزيد على بعض في الكلام، فجمعت ذلك كله وألفته على معنى حديثهم ومجاز لغتهم". ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ص 10 - 11

على رسول الله. فرجع فأبلغ الرسالة، قال: **فبكى أبو بكر طويلا**. فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر رضي الله عنه لقنفذ: عد اليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: سبحان الله!..". [232]

وكثيرا ما يستشهد الشيعة برواية ابن قتيبة، باعتباره "سنيا" دون أن ينظروا الى طبيعة كتابه (الامامة والسياسة) المثير للشك والريبة، والذي يحتوي على قصص وحكايات ضد أئمة أهل البيت وواضحة البطلان.[233]

ورغم أن مؤرخين "سنة" آخرين ذكروا قصصا مشابهة في القرون التالية، فان مجرد نقل أي كاتب من أية طائفة، لأي خبر، حتى لو كان بلا دليل ولا سند، لا يمنح روايته مصداقية علمية، أو يرفعها الى مصاف الروايات المتواترة المتفق عليها. كما فعل مثلا ابن عبد ربه الأندلسي (246 - 328) في (العقد الفريد)[234] عندما ذكر رواية التهديد بحرق بيت فاطمة ، وأضاف عليها أمر أبي بكر لعمر بمقاتلة علي والعباس والزبير الذين قعدوا في بيت فاطمة "حتى بَعث إليهم أبو بكر عمرَ ابن الخطاب ليُخرِجهم من بيت فاطمة، وقال له: إِن أبوا فقاتِلْهم. فأقبل بقَبس من نار على أن

---

232 - المصدر السابق، ص 19

233 - فهو مثلا يروي أن الامام الحسن كان ينتقد أباه الامام عليا ويلومه وجها لوجه، وأن الامام كان يستهزيء بابنه فيقول عنه:" أما الحسن فصاحب خوان، وفتى من الفتيان، ولو التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم في الحرب حثالة عصفور". المصدر السابق، ص 49 و 132

234 - يقول الباحث حسين بن رشود العفنان :كتاب (العقد الفريد) مخلوط صحيحه بواهيه محذوف الأسانيد والرواة واعتمدَ على مصادر لا يجوز النقل منها إلا بعد تثبت، ولم يعتمد مؤلفه في النقل منها إلا الطرفة والملحة إذ في كتابه ميل إلى الفكاهة والدعابة ونزوع إلى القصص والنوادر والنكات فتراه في كتابه يذكر الكثير من ذلك أو لا يستنكف عن ذكر بذيء اللفظ وسافل المعنى ورغم ذلك فإن المسحة الأدبية تبدو قوية في كتابه بحيث يشعر بها كل من يقرأ (العقد) أو يتصفحه.

وينقل عن المؤرخ ابن كثير في تقييم ابن عبد ربه: انه (كان من الفضلاء المكثرين والعلماء بأخبار الأولين والمتأخرين..ويدل كثير من كلامه على تشيع فيه وميل إلى الحد من بني أمية وهذا عجيب منه لأنه أحد مواليهم وكان الأولى به أن يكون ممن يواليهم لا ممن يعاديهم) و (كان فيه تشيع شنيع ومغالاة في أهل البيت). البداية والنهاية 11/230 و10/ 433 .

ويقول الدكتور الطاهر أحمد مكي في دراسة له عن هذا الكتاب: وهو لا يمحص الأخبار ولا يقف منها موقف الفاحص المدقق وإنما يعرضها كيفما تأتت له ويقول أيضا: ثم يعرض لأشياء هي إلى الخرافات والأساطير أقرب). (2 /44)

يُضرم عليهم الـدار، فلقيته فاطمـةُ، فقـالت: يا بن الخطـاب، أجئت لتُحـرق دارنـا؟ قـال: نعم، أو تـدخلوا فيما دخلتْ فيه الأمـة. فخـرج علي حـتى دخل على أبي بكر فبايعــه، فقـال له أبو بكـر: أكــرهتَ إمارتي؟ فقال: لا، ولكـني آليتُ أن لا أرتـدي بعد مـوت رسـول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى أحفـظَ القـرآن، فعليه حَبست نفسـي".[235] ولم يذكر الأندلسي لروايته هذه أي سند، رغم أنه ينقل روايــة أخرى لا يوجد فيها سوى ندم أبي بكر في آخر لحظـة من حياتــه، عن كشف بيت فاطمة.[236]

وإذا صـحت هـذه الروايـة، فانها لا تحمل في طياتها أكـثر من كشف البيت أو تفتيشـه، دون اعـتراف باسـتعمال العنف أو تهديد بـإحراق الـبيت على فاطمة الزهـراء عليها السـلام. ولكن الأمـور تتطور عادة عبر التاريخ، ومن الأصدقاء الى الأعداء، فتصبح الحبة قبة، والأسطورة حقيقــة. ولقد هـالني في الحقيقة وأنا أبحث في هذا الموضوع أن أجد كاتبا (كمحمد الشـاهرودي) يتحمس لقضـية الحـرق والضـرب، يـدعي وجـود التـواتر والتظـافر على دعــواه، ويستشـهد بكتـاب الملل والنحل لأبي الفتح الشهرسـتاني، الـذي ينقل عنه أنه يقول:" انّ عمر ضرب بطن فاطمة (عليها السـلام) يوم البيعـة حـتى ألقت الجـنين من بطنهـا، و كـان يصـيح أحرقـوا دارهـا بمن فيهـا". وعنـدما راجعت الكتـاب متعجبـا ومسـتغربا ، وجدت الشهرستاني يقـذف إبـراهيم بن سـيّار النظّـام المعـتزلي بهذه التهمة الشنيعة، لا أنه هو من يقول بها، بعـد أن يتهمـه أيضـا بالرفض، ويعدد مثالبه فيقول ما نصه:"الحادية عشـرة: ميلـه إلى الرفض، ووقيعته في كبار الصحابة. قال: أولا: لا إمامـة إلا بـالنص

---

[235] - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص 573

[236] - "قال أبو صالح: أخبرنا محمد بن وضاح، قـال: حـدّثني محمد بن رُمْح بن المهاجر التُّجيبي قال: حدّثني الليثُ بن سـعد عن عُلـوان عن صـالح بن كَيسـان عن حميد ابن عبد الــرحمن بن عــوف عن أبيه أنه دخل على أبي بكر رضي الله عنه في مَرضه الــذي تُــوفي فيه فأصــابه مُفيقــا، فقــال: أصبحت بحمد اللهّ بارئاً. قال أبو بكر: أتراه؟ قال: نعم. قــال: أما إني على ذلك لشـديدُ الوَجـع، ولما لقيتُ منكم يا معشر المُهـاجرين أشـدُّ عليَّ من وَجعي. إني وَليت أمَركم خيركم في نفسي فكلّكم وَرِم من ذلك أنفه، يريد أن يكون له الأمر من دونه، ورأيتم الدنيا مُقبلـة...فأما الثلاث الـتي فعلتهن وودتُ أني تــركتُهن: فــوددتُ أني لم أكشف بيتَ فاطمة عن شــيء، وإن كانوا أغلقوه على الحرب...". ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص 578 ، وهي الرواية التي يذكرها اليعقوبي في تاريخـه، والطـبراني في المعجم الكبـير، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في (السنة) في بـاب بيعة أبي بكـر. ويعـترف بها ابن تيمية ولكنه يفسـرها تفسـيرا بعيـدا حيث يقـول:"إنـه كبس الـبيت لينظر هل فيه شئ من مال الله الذي يقسمه ليعطيه للمسلمين".

والتعيين ظاهرا مكشوفا. وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على عليّ رضي الله عنه في مواضع، وأظهر إظهارا لم يشتبه على الجماعة، إلا أن عمر كتم ذلك، وهو الذي تولى بيعة أبي بكر يوم السقيفة ... وزاد في الفرية فقال: إن عمر ضرب بطن **فاطمة** يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: احرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين".[237] وبغض النظر عن صحة التهم التي يوجهها الشهرستاني الى النظّام، أو عدم ذلك، فان مجرد نقل أي كاتب لأي خبر، حتى لو كان عاريا من الدليل، لا يجعله صحيحا وصادقا، ومتواترا.

والعجيب من بعض المؤرخين الذين يأتون بعد قرون ويرددون قصصا أو تهما لا أساس لها من الصحة، مثل الصفدي الذي جاء في القرن السابع الهجري، وردد تلك التهم الغريبة ضد النظّام، في كتابه (الوافي بالوفيات) دون دليل ولا سند، والأعجب منه أن يأتي آخرون فيجعلون أقواله حجة فيما يذهبون، فيصدقون تلك التهم الباطلة التي لا أساس لها من الصحة، ويجعلون منها دليلا لاتهام خيار الصحابة وعظمائهم مثل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[238]

ان حدثاً جزئياً كموضوع كشف بيت فاطمة الزهراء، وإخراج من تحصن فيه من الصحابة، وإجبارهم على البيعة لأبي بكر، لو ثبت ذلك، كان يمكن أن يطوى مع التاريخ، ويذهب مع الزمان، في خضم الأحداث والتطورات الكبرى الإيجابية والسلبية التي أعقبت ذلك، ولم يكن ليستوقف الأجيال اللاحقة على مدار الزمن، لو كان المسلمون ينظرون الى تلك الحقبة ورجالها نظرة شخصية، ولم يضفوا عليها مسحة دينية إيجابية وسلبية، إيجابية من طرف ما عرف بأهل السنة، وسلبية من طرف ما عرف بالشيعة، وذلك بعد أن حاول أهل السنة اعتبار تجربة الصحابة مقدسة ومصدرا من مصادر التشريع في الاسلام، ورووا عن الرسول الأعظم (ص) قوله:"اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر

---

[237] - الشهرستاني، الملل والنحل، الجزء الأول، الباب الأول: المسلمون ، الفصل الأول: المعتزلة ، 3- النظّامِيَّة ، وقد ردد الصفدي في القرن السابع الهجري هذه التهم في كتابه (الوافي بالوفيات).

[238] - انظر: السيد محمد الحسيني الشاهرودي http://www.shahroudi.net/arabic/7monasenat/zahraa.htm#إنّ%20في%20الدار%20فاطمة

وعمر". في الوقت الذي حاول الشيعة إضفاء هالة من القدسية على أئمة أهل البيت واعتبروهم مصدرا ملحقا بمصادر التشريع الى جانب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وخاصة بعدما قال الإماميون بنظرية النص في الخلافة وكونها امتدادا للنبوة.

ولقد كان الإماميون بحاجة ماسة الى رواية من ذلك القبيل، حتى يبنوا نظريتهم السياسية حول (الإمامة الإلهية لأهل البيت). فبالاضافة الى النصوص التي جاءوا بها من أجل إثبات النص على الامام علي، والتأويلات التي قاموا بها لبعض الآيات القرآنية، كانوا بحاجة الى أدلة تاريخية تؤكد نظريتهم، ولكن التاريخ الاسلامي، وتاريخ الامام علي بالخصوص، كان يكذب نظريتهم ويهدمها من الأساس، فكيف يصح النص على الامام بالخلافة ويقوم هو بالتنازل عن "حقه الشرعي" طواعية ويبايع أبا بكر؟ إذن لا بد أن يكون هناك عنف وإرهاب وقمع واستضعاف له "يثبت" أنه بايع تحت الضغط والإكراه، وان بيعة أبي بكر كانت باطلة، وكذلك مبدأ الشورى والاختيار.

ولكي تتم الصورة، لا بأس بأن تروى قصة التهديد بحرق الدار عن حفيد عمر بن الخطاب عن ابن مولاه زيد بن أسلم. كما في رواية ابن أبي شيبة. وإذا لم تنهض الروايات "السنية" بتشكيل الصورة "التاريخية" فلا بأس أيضا بأن تنسج روايات خاصة "شيعية" حول الموضوع ، ويضاف اليها الكثير الكثير.

ولعل من المثير للسخرية أن تتم هذه العملية في القرن الثالث أو القرن الرابع، بعد غياب أو فقدان أئمة أهل البيت، ووصول النظرية السياسية الإمامية الى طريق مسدود. في دلالة بارزة على غياب العقل الاسلامي وانحدار الحضارة الاسلامية.

واذا ما عدنا الى أواسط القرن الثالث الهجري، فانا سوف نواجه ما يسمى بـ:"الحيرة" التي ضربت الشيعة الإمامية بعد وفاة الامام الحسن العسكري (الإمام الحادي عشر) سنة 260 هـ دون خلف ظاهر معروف، وهو ما أدخل شيعته في أزمة حادة أدت الى تفرقهم الى أكثر من أربع عشرة فرقة، وافتراض بعضهم (وهم الأثنا عشرية) وجود ولد مستور له، قالوا انه غائب وسوف يظهر في المستقبل.

ومن ذلك الحين لم يظهر الامام المفترض الغائب "محمد بن الحسن العسكري" مما أدى الى ان تصبح النظرية الإمامية نظرية تاريخية وهمية غير قابلة للتطبيق . ومع ذلك فان أنصار النظرية ظلوا يتحمسون لتأييد نظريتهم ونقد نظرية الشورى والاختيار، ويحاولون قراءة التاريخ بشكل مغاير لسلوك أهل البيت والامام علي، وكتابته من جديد. ومن أجل ذلك تشبثوا

بحكاية تهديد عمر بحرق بيت فاطمة الزهراء، وحولوا التهديد المفترض الى واقع تاريخي ثابت، وأضافوا على الحادث كثيرا من الرتوش الأخرى مثل ضرب الزهراء وعصرها وراء الباب وكسر ضلعها وإسقاط جنينها "محسن" ووفاتها على إثر ذلك.

الروايات الشيعية

إن الروايات التي تداولها الشيعة الإمامية عن الموضوع، ارتقت لدى بعضهم الى درجة "التواتر والتظافر والاجماع" وشكلت بذلك شبهة أو عقدة في نظرتهم الى عمر بن الخطاب. ومع انهم لم يستطيعوا عبرها ان يعيدوا الخلافة الى أهل البيت، ولكنهم نجحوا في زرع العداوة والبغضاء ضدهم في قلوب محبي أبي بكر وعمر من بقية المسلمين.
ان السؤال هو هل كانت هذه القصة أو الشبهة معروفة لدى الشيعة في الأجيال الأولى؟ وهل تستند على مصادر موثقة قديمة لدى الشيعة؟ أم انها وليدة الروايات الأسطورية المختلقة في العصور اللاحقة؟

يقول السيد محمد الحسيني الشاهرودي:" ان الأخبار الواردة حول ما لاقته أم الأئمة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، من ممارسات تعسفية على أيدي الحاكمين، مثل كسر ضلعها وإسقاط جنينها المسمى بمحسن بن علي، ولطمها على خدها ومنعها من البكاء وما الى ذلك، أخبار كثيرة متظافرة متواترة إجمالا".[239] ويقول السيد علي الميلاني:" إنّ إحراق بيت الزهراء من الأُمور المسلّمة القطعيّة في أحاديثنا وكتبنا، وعليه إجماع علمائنا ورواتنا ومؤلّفينا".[240]

فما هي تلك الروايات "المتواترة" و "المتظافرة"؟

بعد أن اطلعنا على روايات المؤرخين "السنة" يجدر بنا أن نطلع على حقيقة روايات الشيعة، لننظر مدى قيمتها العلمية،

---

239 - http://www.shahroudi.net/arabic/7monasenat/zahraa.htm#إنّ%20في%20الدار%20فاطمة

240 - في محاضرة له عن (مظلومية الزهراء) نشرها مركز الأبحاث العقائدية، التابع لمكتب السيد السيستاني.

وفيما اذا كانت حقا متواترة؟ أم ليست سوى إشاعات وأساطير وروايات غير مسندة؟

1- رواية إبراهيم الثقفي

ان أول رواية شيعية تصلنا عبر التاريخ هي رواية إبراهيم بن محمد الثقفي، المتوفى سنة 280 هـ في كتابه (أخبار السقيفة أو الغارات)، يرويها عن أحمد بن عمرو البجلي، عن أحمد ابن حبيب العامري، عن حمران بن أعين، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال:" **والله ما بايع علي حتى رأى الدخان قد دخل بيته**". و كتاب السقيفة هذا لم يصلنا ولم نعرف له أثرا، وانما نقل هذه الرواية عنه الشريف المرتضى في كتاب (الشافي في الإمامة) في القرن الخامس ، أي بعد فاصلة زمنية تقدر بأكثر من مائة عام، وبلا أي سند.

ولعل هذه الرواية هي نفسها التي رواها الشيخ المفيد (استاذ المرتضى) في أماليه ص 38، عن الثقفي، ولكن عن كتاب (الغارات). وكان هذا الكتاب يتضمن شرحا للوضوء يختلف عن رأي الشيعة المعروف، وهذا ما دفع مركز الأبحاث العقائدية التابع لمكتب المرجع الديني السيد علي السيستاني، للتعليق عليه بالقول:"إن الرواية المذكورة في كتاب الغارات لا يمكن الاعتماد عليها ، وذلك لمعارضتها لروايات متواترةٍ صحيحة تصف الوضوء على طريقة الإمامية المتعارفة المتبعة ، لذا فهي ساقطة عن الاعتبار ، وقد روى هذه الرواية الشيخ المفيد في أماليه بنفس السند إلاّ أن نصها يؤكد طريقة وضوء الإمامية خلاف النص الوارد في كتاب الغارات مما جعل المحقق النوري صاحب المستدرك على الوسائل أن يعتبر ما ورد في نص كتاب الغارات هو من تصحيف العامة . أي من تحريفهم ...".

وهذا ما يؤكد تعرض الكتاب المذكور غير المسند الى تلاعب وتحريف وتصحيف، ومع ذلك فانه لم يصلنا ولا نعرف عنه شيئا. فكيف يمكن أن نثق بأية رواية فيه يرويها رجال جاءوا بعده بسنين طويلة؟ وكيف يمكن ان نصدق رواية الثقفي عن الامام الصادق حول عدم بيعة الامام علي لأبي بكر الا بعد رؤيته للدخان في بيته؟ وهل يمكن اعتبار هذه الرواية مسندة وصحيحة؟ واذا كان يمكن للعامة أن يحرفوا الكتاب فلماذا لا يمكن للخاصة أن يفعلوا ذلك؟ ويضيفوا عليه ما يشاؤون؟

2- رواية سليم بن قيس الهلالي

الرواية الثانية الأشهر، والأكثر تفصيلا ، هي رواية سُليم بن قيس الهلالي، في كتابه المعروف والمنسوب اليه، والذي انتشر في القرن الرابع الهجري، واحتوى على أمور أسطورية غريبة وعجيبة، في نفس الوقت الذي انتشرت فيه كتب وتفاسير أخبارية حشوية مليئة بالخرافات والأساطير والأحاديث الموضوعة والمنكرة كتحريف القرآن الكريم، مثل تفسير القمي وتفسير العياشي وتفسير ابن فرات ، فيما عرف بالمرحلة الأخبارية الأولى، قبل أن يقوم علماء الشيعة الأصوليون بتهذيب تلك الأخبار والتأكد منها وتصفيتها ورفض الدخيل منها.

وكما نعرف فان الكتب في السابق كانت عرضة للتحريف والتصحيف والزيادة والنقصان، ولذلك كان علماء الحديث يتوقفون في النقل عن الكتب الا برواية الثقة، ويرفضون "الوجادة" فيها، وربما كان هذا هو سبب امتناع أئمة أهل البيت عليهم السلام من تأليف الكتب ونشرها بين الناس، وتحذيرهم من التلاعب والتزوير والكذب في الرواية عنهم.

في هذا الجو انتشر (كتاب سليم بن قيس الهلالي) الذي يَزعم أو يُزعم أنه جاء من نجد وهو شاب صغير، وعاصر خمسة من الأئمة هم علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر (عليهم السلام) وأنه كان يدور حاملا قلمه وقراطيسه ليسجل أدق التفاصيل التي حدثت يوم السقيفة وعند استخلاف أبي بكر، وخاض حروب الامام علي كلها، وعاش الى زمن الحجاج الى أن هرب منه الى مدينة فارسية هي (نوبندجان) ثم أودع كتابه قبيل وفاته حوالي سنة 76 عند راو صغير هو أبان بن أبي عياش الذي كان قد ولد في حدود سنة 62 هـ ليحتفظ هذا الطفل بكتابه سراً سبعين عاما، الى يوم وفاته سنة 138 ، ويسلمه الى راوٍ آخر هو عمر بن أذينة، الذي سينقله من واحد الى آخر حتى ينتشر الكتاب في القرن الرابع.

ماذا تقول رواية سليم؟

انها تقول إن الامام علي رفض بيعة أبي بكر، وحمل زوجته فاطمة الزهراء على حمار وأخذ بيدي ابنيه الحسن والحسين ، وراح يدور على بيوت المهاجرين والأنصار، ويذكرهم بحقه ويدعوهم الى نصرته، ولكنهم لم يستجيبوا له الا أربعة وأربعون رجلا، فأمرهم أن يصبحوا بكرة محلقين رؤوسهم ومعهم سلاحهم ليبايعوا على الموت، فأصبحوا، فلم يواف منهم أحد الا أربعة هم سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير، فلما رأى غدرهم وقلة وفائهم لزم بيته، وأقبل على القرآن يجمعه... وأرسل أبو بكر

اليه :"أجب خليفة رسول الله" فأتاه الرسول فقال له ذلك، فقال له:" سبحان الله ما أسرع ما كـذبتم على رسـول اللـه، إنه ليعلم ويعلم الذين حوله أن الله ورسوله لم يسـتخلفا غـيري.. سـبحان الله ما والله طال العهد فينسى. فوالله إنه ليعلم أن هذا الاسم لا يصـلح إلا لي، ولقد أمـره رسـول الله وهو سـابع سـبعة فسـلموا علي بإمرة المؤمنين"..

وتقـول الرواية إن أبا بكر أرسل شخصا اسـمه قنفذ فـانطلق فاستأذن على علي، فأبى أن يـأذن لـه، فقـال عمـر: اذهبـوا فـان أذن لكم والا فـادخلوا عليه بغـير إذن! ..فقـالت فاطمـة: "أحـرج عليكم أن تدخلوا على بيتي بغير إذن". فغضب عمر وقـال: ما لنا وللنسـاء! ثم أمر أناسا حوله أن يحملـوا الحطب، فجعلـوه حـول مــنزل علي، ثم نــادى :"والله لتخــرجن يا علي ولتبــايعن خليفة رســول الله وإلا أضــرمت عليك بيتك النــار"! ودعا عمر بالنــار فأضــرمها في البــاب ثم دفعه فــدخل فاســتقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت:"يا أبتاه يا رسـول اللـه" فرفع عمر السـيف وهو في غمــده فوجأ به جنبهــا، ثم رفع الســوط فضــرب به ذراعها فنـادت:"يا رسـول اللـه، لـبئس ما خلفك أبو بكر وعمـر". فـوثب علي عليه السلام فأخذ بتلابيبه ثم نتره فصـرعه ووجأ أنفه ورقبته وهم بقتله، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصاه به. فتناول بعضهم سـيوفهم فكـاثروه وضـبطوه فـألقوا في عنقه حبلا! وحـالت بينهم وبينه فاطمة عند بـاب الـبيت، فضـربها قنفذ بالسوط ، فمـاتت حين مـاتت وإن في عضـدها كمثل الـدملج من ضربته، ثم انطلق بعلي عليه السلام يعتل عتلا حـتى انتهي به إلى أبي بكر، وعمر قائم بالسيف على رأسه.

وتضيف الرواية: أن قنفذ ضرب فاطمة بالسوط وألجأها إلى عضادة باب بيتها ودفعها فكسر ضـلعا من جنبها فـألقت جنينا من بطنها. فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت من ذلك شهيدة.

وتقول أيضا: ان الامام علي رفض أن يبايع تحت تهديد السيف، وقال: فإن لم أفعل فما أنتم صـانعون؟ قـالوا: نقتلك ذلا وصـغارا فقـال عليه السـلام: إذا تقتلـون عبد الله وأخا رسـوله. فقـال أبو بكر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسول الله فما نقر بهذا.

ثم قال عمر: قم يا بن أبي طالب فبايع. فقال: فإن لم أفعل؟ قال: إذا والله نضـرب عنقـك، ثم مد يـده من غـير أن يفتح كفـه، فضرب عليها أبو بكر ورضي بذلك منـه.فنـادى علي عليه السـلام قبل أن يبـــــايع - والحبل في عنقه -:"يا بن أم إن القــــــوم استضعفوني وكادوا يقتلونني".

وتقول الرواية أيضا: إن أبا بكر وعمر سـألا عليا عن فاطمة في مرضـها، وطلبا عيادتها ودخلا عليها وسـلما ثم قـالا: ارضِ عنا رضي الله عنك، ولكنها رفضت الصفح عنهما.[241]

وبناء على هذه الرواية، أو بالتزامن معها، قال في القرن الرابع، كل من المـؤرخ الشـيعي علي بن الحسـين المسـعودي (-346) في (إثبـات الوصـية):"انهم هجمـوا عليه واسـتخرجوه من منزله كرها، وضغطوا سيدة النساء بالباب حتى أسقطوا محسنا". وقال المؤرخ الشيعي الأخر محمد بن جرير بن رستم الطبري (- 358) في رواية عن أبي عبد الله عليه السـلام :" كـان **سـبب وفاتها أن قنفــداً مــولى الرجل لكزها بنعل السـيف بــأمره فأسقطت محسناً ومرضت من ذلك مرضـاً شـديداً** ".[242] وقال محمد بن علي الصدوق (-380)، في رواية استباقية ينقلها عن النبي الأكرم (ص) يتنبأ بما سـيقع على ابنته في المسـتقبل:"

---

[241] - المجلسي، بحار الأنوار ج 43 ص 179 و ج 28 ص 297 ح 48

[242] - قـال الطـبري: حـدثني ابو الحسـين محمد بن هـارون بن موسى التلعكبري ، عن أبيه ، قـال حـدثني محمد بن همـام بن سـهيل، قـال روى أحمد بن محمد الــبرقي ، عن أحمد بن محمد الاشــعري القمي ، عن عبد الــرحمن بن بحر ، عن عبد الله ابن ســنان ، عن ابن مســكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قـال : قبضت فاطمة عليها السـلام في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء خلـون منه سـنة احـدى عشر من الهجـرة ، **وكان سبب وفاتها أن قنفداً مـولى الرجل لكزها بنعل السـيف بأمره فأسقطت محسـناً ومرضت من ذلك مرضـاً شـديداً ،** ولم تدع أحداً ممن آذاها يدخل عليها".

الطبري محمد بن جرير (- 358) دلائل الامامة ، ص 45

وهـذا الكتـاب لم يصـلنا مسـندا، ولم يـذكره الطوسي في الفهرست ولا النجاشي في كتب الطــبري، وانما ذكــرا كتابا آخر تحت اسم (المسترشد في الإمامــة) وقـالا أيضا عن (أحمد بن محمد بن خالد الـبرقي): إنه أكـثر الرواية عن الضــعفاء واعتمد المراسـيل. ولا يوجد ذكر لعبد الــرحمن بن بحر، وانما (عبد الرحمن بن أبي نجـران) وقـال النجاشي عن (عبد الله بن سـنان (183) انه ليس بثبت ، وكـان خازنا للمنصـور والمهـدي والهـادي والرشيد. وربما كان هنـاك تقـديم وتـأخير في ذكر اسم عبد الله بن سـنان الأكبر من ابن مسكان (-203) والمتوفي قبله بحـوالي عشـرين عامـا. أما أبو بصير فهو عدة أشخاص لم يتضح المقصود منه، فهناك الأزدي الواقفي، وهنـاك الأسـدي المخلـط، وهنـاك غيرهمـا. مما يضـعف الرواية من ناحية السند، وحتى لو صح السند فهناك شبهة الوضع أو الانحياز والتسـرع تحـوم حـول كل روايـات الإمامية الـذين كـانوا ينطلقـون في اتهـام عمر بضـرب الزهــراء من منطلق أيــديولوجي مســبق. ولــذلك رفض ابن أبي الحديد رواياتهم كلها.

و أمّـا ابنـتي فاطمـة كـأنى بهـا و قـد دخـل الـذل بيتهـا و انتهكت حرمتهـا ، وغُصِـب حقّهـا ومنعت ، وكسـرت جنبهـا ، و أسـقطت جنينها".[243] وروى ابن قولويه في (كامـل الزيـارات) عن جبرئيـل (ع) أنه خاطب النبي يخبره بمـا سـيقع على الزهـراء قـائلا:"وأمّـا ابنتك فتظلم ، و تُضرب و هى حامل ، و يُدخل حريمهـا و منزلهـا بغـير إذن و تطـرح مـا في بطنهـا من ذلـك الضـرب ".[244] وروى العياشي في (تفسيره):" أن فاطمة أغلقت البـاب في وجـوههم، فضرب عمر الباب برجله فكسـره".[245] وقـال الشـيخ المفيـد في (أماليـه):"أن عمــر أضــرم عليهم البــاب نــارا".[246] وفي القــرن السادس نسب ابن شـهر آشـوب (المتـوفى سـنة 588 هـ) قصة إسقاط الجنين محسن، الى ضربة قنفذ.[247]

ونتيجة لذلك انتشرت في القرن الرابع "زيارات" منسوبة لأئمة أهل الـبيت (عليهم السـلام) تتضـمن اللعن الصـريح لأعـداء أهل البيت، مثل زيارة عاشوراء والجامعة.

ومع أن هؤلاء المؤرخين والمفسرين والكتاب يروون بدون اسناد متصل أو صحيح، وينسبون روايات الى مـؤلفين لم يـروهم ماتوا قبلهم منذ مئات السنين، وبالتالي فان روايـاتهم لا يمكن أن تـرقى الى درجة (خـبر الآحـاد) فـان السـيد محمد الشـاهرودي ،

---

243 - أمالي الصدوق ، ص 68 الى 82

244 - ابن قولويه،**كامل الزيارات،** ص 232 الى 235

245 - العياشى ، التفسير، ج 2 ص 66 الى 67

246 - المفيد في أماليه ص 38 ، وروى المفيد في كتابه (الاختصاص): ان فاطمة اسـتنزعت كتابا من أبي بكر بــرد فـدك اليها ، فخـرجت والكتـاب معها ، فلقيها عمر فقــال : يا بنت محمد ! ما هــذا الكتــاب الــذي معك ؟ فقالت : كتاب كتب لي أبو بكر بــردّ فـدك ، فقـال : هلميّه إليّ ، فـأبت أن تدفعه إليه ، فرفسـها برجله ــ وكـانت عليها السـلام حاملة بـابن اسـمه : المحسن ـــ فأســقطت المحسن من بطنها ، ثم لطمها **،** فكــأني به أخذ الكتـاب فخرقـه. فمضت ومكثت خمسة وسـبعين يومـاً مريضة من ضـربة عمر ثم قبضت .

http://www.rafed.net/research/05/03.html

247 - وذلك نقلا عن كتاب (المعـارف) لابن قتيبـة. وهو غـير صـحيح لأن ما يوجد في الكتاب المحقق الذي بين أيدينا اليوم، ما لفظـه: "أما محسن بن علي فهلك وهو صـغير". دون إشـارة الى عملية الضـرب والإسـقاط. وفي محاولة لتصحيح عمل ابن شـهر آشـوب، يفـترض السـيد علي الميلاني: أنّ اليد الآثمة العابثة هي التي حرفت كتـاب (المعـارف) لابن قتيبة وأسـقطت هذه الكلمة، التي نقلها ابن شهر آشوب عنه، دون أن يفـترض الكـذب في نسبة ابن شهر آشوب اليه.

يقــول اعتباطــاً:" ان تلك الروايــات فــوق التــواتر".[248] وذلك في محاولة واضـــحة لاســـتغلال مصـــطلح: "التـــواتر" واســـتخدامه استخداما دعائيا.

ولكن السيد علي الميلاني يعترف بأن روايـات القـوم في هـذا الموضع (إسـقاط الجـنين محسـن) مشوشة جـدّاً، وان كـلّ من يراجع روايـاتهم وأقـوالهم وكلمـاتهم يعـرف ذلـك. ولكنه يفـترض فيقــول:"من الطــبيعي أنْ لا يصــلنا كــلّ ما وقــع، وأنْ لا تصــلنا تفاصيل الحوادث، مع الحصار الشـديد المضـروب على الروايـات والاحـاديث، ومع ملاحقة المحـدثين والـرواة، ومع منعهم من نقل الاحاديث المهمة، وحتى مع حرق تلك الكتب الـتي اشـتملت على مثل هـــذه القضـــايا أو تمزيقها وإعـــدامها بـــأيّ شـــكل من الاشكال...فإذن، من بعد هذه القـرون المتطاولـة، ومن بعد هـذه الحواجز والموانع، لا نتوقّع أنْ يصل إلينا كلّ ما وقــع، وإنّما يمكننا العثـــور على قليل من ذلك القليل الـــذي رواه بعض المحـــدّثين وبعض المؤرخين... ولكنّنا لا نتوقّع أنْ نعثر على كلّ تفاصـيل تلك القضايا، وحتّى لو عثرنا على الخمسين بالمائة من القضايا يمكننا فهم الخمسـين البقيّـة". ويضـيف:"أنّ القـوم قد منعـوا من نقل القضايا والحوادث، وجزئيّات الأُمور، وتفاصيل الوقـائع، أتتوقّعـون أن ينقل لكم البخاري أنّ فلاناً وفلاناً وفلانـاً أحرقـوا دار الزهـراء بأيديهما ؟! بهذا اللفظ تريـدون ؟! لقد وجـدتم البخـاري ومسـلماً وغيرهما يحرّفون الاحاديث التي ليس لها من الحسّاسيّة والاهميّة ولا عشر معشار ما لهذه المسألة.

لقد نصّـت روايـاتهم على أنّه كـان لعلي (عليه السـلام) من الذكور ثلاثة أولاد: حسن، وحسـين، ومحسن ، وكـان رسـول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) قد سـمّى هـؤلاء بهـذه الأسـامي تشبيهاً بأسماء أولاد هارون: شَبَر شُبير ومشبّر، وهذا موجود في: مسـند أحمد ، وموجـود في المسـتدرك وقد صـحّحه الحـاكم ، والـذهبي أيضـاً صـحّحه، وموجـود في مصـادر أُخـرى. فيبقى السؤال: هل كان لعلي ولد بهذا الاسم أو لا ؟ قـالوا: كـان له ولد بهذا الاسم... فأين صار ؟ وما صار حاله ؟".[249]

248-http://www.shahroudi.net/arabic/5etegadat/aghyed30.htm

249 - السيد علي الحسيني الميلاني، مظلومية الزهراء، مركز الأبحاث العقائدية ـ سلسلة الندوات العقائدية (21) و (22)
/http://www.14masom.com/14masom/02/mktba2/book06

وهكذا ، وبواسطة الافتراض والتخمين، يحاول الميلاني أن يكمل الصورة، وأن ينسب الى أفضل الصحابة أبشع الاتهامات.

وقبل ان نتوقف عند الرواية الرئيسية الأهم، وهي رواية سليم بن قيس الهلالي، يجدر بنا أن نشير الى رواية أخرى مناقضة يرويها الطبرسي صاحب (الاحتجاج)، حيث يقول: ان عمر هدد المعتصمين في بيت فاطمة قائلا:"و الذي نفس عمر بيده ليخرجن أو لأحرقنه على ما فيه". فقيل له: إن فاطمة بنت رسول الله وولد رسول الله و آثار رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، و أنكر الناس ذلك من قوله، فلما عرف إنكارهم قال: "ما بالكم! أتروني فعلت ذلك؟ إنما أردت التهويل".[250]

وهذا ما يؤكده ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) حيث يقول:"..فأما الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة عليها السلام، وأنه ضربها بالسوط فصار في عضدها كالدملج وبقي أثره إلى أن ماتت، وأن عمر أضغطها بين الباب والجدار، فصاحت: يا أبتاه يا رسول الله! وألقت جنيناً ميتاً، وجعل في عنق علي عليه السلام حبل يقاد به وهو يعتل، وفاطمة خلفه تصرخ وتنادي بالويل والثبور، وابناه حسن وحسين معهما يبكيان، وأن علياً لما أحضر سألوه البيعة فامتنع، فتهدد بالقتل ... فكله لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله".[251]

---

[250] - في الاحتجاج ، ج 1 ص 51 فقال عمر أرسل اليه قنفذاً و كان فظّاً غليظاً ، ثم أمر أناساً حوله ، فحملوا حطباً ، و حمل معهم عمر و جعلوه حول منزله و فيه عليّ و فاطمة وابناهما (عليهم السلام) ، ثم نادى عمر والله لتخرجنَّ أو لأضرمنّ عليك بيتك ناراً ، ثم قال أبو بكر لقنفذ ان خرج و الاّ فاقتحم عليه ، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم ناراً ، وحالت فاطمة (عليها السلام) بين زوجها و بينهم عند باب البيت ، فضربها قنفذ بالسوط على عضدها و انّ بعضدها مثل الدملج من ضرب قنفذ إيّاها . والمصدر : ج 1 / ص 201 ـ 203 وفي هذه الرواية أيضا لا يوجد دليل على حرق البيت، وانما تدعي ضرب قنفذ للزهراء بالسوط. وكما هو معروف فان كتاب (الاحتجاج) من أضعف الكتب الحشوية غير الموثقة، والمليئة بالخرافات والأساطير. وهو ينقل الرواية عن الكتب الضعيفة السابقة من غير سند.

[251] - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ص 123 ويقول ابن أبي الحديد في شرح النهج : 14 /193 في قصة خروج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة ومتابعة الكفار لطلبها ، فأدركها هبار بن الاسود

موقف الشيخ المفيد من كتاب سليم

والآن نعود الى كتاب سليم بن قيس الهلالي، الـذي انتشر في القرن الرابع الهجري، وكما قلنا فقد كان ذلك القرن بالنسبة الى الشيعة، قرنا أخباريا حشويا موبوءا بالخرافات والأساطير والغلـو، بسبب انقطاع الصلة مع أئمة أهل البيت الذين كـانوا في حيـاتهم يرشدون حركة التشيع، ولما توفي الامام الحسن العسكري سـنة 260 دون ولد ظـاهر يسـتلم زمـام القيـادة والتوجيـه، وخيم ما يسـمى بعصر الحـيرة والغيبـة، وقع الشـيعة، وخاصة الإماميـة، ضحية الرواة الكذَبة والدجالين، وصدق بعضهم كل ما ينشر باسم الأئمة، قبل ان يتطور لديهم (علم الرجـال) ويمـيزوا بين الرجـال الصادقين والكـذابين، والروايـات الحقيقية والأسـطورية. ومن هنا وصف محمد بن أبي زينب النعمـاني ، في مرحلة سـابقة،كتـاب سـليم :" بأنه من الأصـول الـتي يرجع اليها الشـيعة ويعولـون عليهـا"، ولكن عامة الشـيعة فيما بعد أخـذوا يشـكون في وضع واختلاق كتـاب سـليم ، وذلك لروايته عن طريق (محمد بن علي الصـيرفي ابو سـمينة) الكـذاب المشـهور ، و (احمد بن هلال العبرتـائي) الغـالي الملعـون ، وقد قـال ابن الغضـائري :" ينسب هذا الكتاب المشهور الى سليم بن قيس، وكان أصحابنا يقولون : ان سـليما لا يُعـرف ولا ذكر لـه... والكتـاب موضـوع لا مرية فيه وعلى ذلك علامات تدل على ما ذكرنا ، منها ما ذكر أن محمد بن أبي بكر وعظ أباه عند الموت، ومنها أن الأئمة ثلاثة عشـر، وغـير ذلك، وأسـانيد هـذا الكتـاب تختلف تـارة برواية عمر بن أذينة عن ابراهيم عمر الصنعاني عن أبان بن أبي عياش عن سـليم، وتـارة يروى عن عمر عن أبان بلا واسطة..." .[252]

وعندما استلم الشيخ المفيد قيادة الشيعة في القرن الخامس الهجـري، وأسس المدرسة الأصـولية (الاجتهاديـة) قـام بتضـعيف

فروّعها وكانت حاملاً فطرحت ما في بطنها ، فلذلك أباح رسول الله صلى الله عليه وآله يـوم فتح مكة دم هبـار ، يقـول ابن أبي الحديد قـرأت هـذا الخبر على النقيب أبو جعفر ، فقال : إذا كـان رسـول الله صـلى الله عليه وآله أباح دم هبار لأنه روّع زينب فألقت ما في بطنها ، فظهر الحـال انه لو كان حياً لأباح دم من روّع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها . فقلت : اروي عنك ان فاطمة رُوّعت فألقت المحسن ، فقال :" لا تروه عني ولا تـروي بطلانه ". وليس في قوله هـذا أي دليل على صـحة الـدعوى، لأنها ليست روايـة، ولم يقل بها أبو جعفر بقوة.

[252] - القهبائي، مجمع الرجال، ج3 ص 157

(كتـاب سـليم)، وحـذَّر منه قـائلاً:" انه غـير موثـوق بـه، ولا يجـوز العمل على أكـــثره ، وقد حصل فيه تخليط وتـــدليس ، فينبغي للمتـــــدين ان يتجنب العمل بكل ما فيه ولا يعــــوّل على جملته والتقليد لروايته ، وليفزع الى العلمـاء فيما تضـمنه من الأحـاديث ليوقفوه على الصحيح منها والفاسد". وانتقد الشيخ المفيدُ الشيخَ الصدوقَ على نقله الكتاب واعتماده عليـه، وعـزى ذلك الى منهج الصدوق الاخباري ، وقال عنه: " انه على مذهب أصحاب الحديث في العمل على ظواهر الالفاظ والعدول عن طرق الاعتبار ، وهذا رأي يضر صـــــــــاحبه في دينه ويمنعه المقـــــــــام عليه عن الاستبصار" .[253]

لقد انتبهت وأنا أكتب هذه السطور الى عدم ذكر الكليـني (-329) في (الكافي) لرواية سليم، ولأية رواية أخرى حول الهجوم على بيت الزهـراء، وكـذلك للتفاصـيل الأخـرى الـتي ستشـيع من بعده في القـرن الرابـع الهجـري، رغم أن الكـافي يعتـبر من أول وأصح الكتب عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ولكنـه مـع ذلـك لم يـذكر شـيئا عن حكايـة التهديـد بـالإحراق أو الإحـراق الفعلي بالنـار أو ضـرب الزهـراء أو إسـقاط جنينهـا ومـا الى ذلـك من الروايـات المختلقـة الـتي رويت على لسـان (سـليم بن قيس الهلالي) في كتابـه المزعـوم، رغم أن الكليـني ، كمـا يبـدو، كـان يعرف كتاب سليم، ونقل عنه بعض الأحاديث ، ويقال انـه يشـكل أحد الأصول الأربعمائـة الـتي اعتمـد عليهـا ، وذلـك إمـا لتضـعيف الكليني للكتاب المذكور، أو لعدم وجـود هـذه الحكايـات فيـه في ذلك الوقت، وانما أضيفت اليه فيما بعد، وهو الأرجح.

وربما كان هذا هو السبب في عدم وجود نسخة واحدة موثقة ومتفق عليها من (كتاب سليم)، لأنه كـان كتابا مفتوحا يكتب فيه من هب ودب وينسبه الى سـليم، ومن هنا فقد أفـرد المجلسي في (بحار الأنوار) بابا خاصا عن الأحاديث التي نسبت الى (كتـاب سليم) ولا توجد فيه.

ولذا يعتقد أن بعض الإمامية كتبوه في وقت متأخر، في القرن الرابــع، وذلك في محاولة منهم لإعــادة كتابة التــاريخ وصــياغة أقوالهم على لسـان الامـام علي، وتفسـير البيعة المعروفة الـتي قـدمها الامـام لأبي بكر طواعيـة، وكـانت منافية لنظرية الإمامـة، بأنها تمت بالقهر والعنف والإرهاب.

---

[253] - المفيد: اوائل المقالات، وشرح اعتقادات الصدوق

ورغم أن الكتاب يعتبر "أصل القول في حصر عدد الأئمة باثني عشر إماما" كما يقـول المـؤرخ الشـيعي المسـعودي في (التنبيه والإشراف)، الا انه تضمن أيضا رواية تشـير الى أن عـددهم (ثلاثة عشــر) وهي الرواية الــتي تقــول: إن النــبي (ص)، قــال لأمــير المؤمـنين عليه السـلام:"أنت واثنا عشر من ولـدك أئمة الحـق". وقد نقلها الكليني في الكافي. وهـذا ما دفع هبة الله بن احمد بن محمد الكاتب ، حفيد أبى جعفر محمد بن عثمان العمـري ، الـذي كان يتعاطى (الكلام)، لأن يؤلف كتابا في الامامة ، ويقول فيه: ان الأئمة ثلاثة عشـر. ويضـيف الى القائمة المعروفة (الإمـام زيد بن علي) كما يقول النجاشي في (رجاله). وربما كان اختلاف روايات (كتاب سليم)، حـول عـدد الأئمة يعكس التذبـذب والاختلاف الـذي كان يعاني منه الشيعة الإمامية في (عصر الحيرة) قبل أن يستقر رأيهم على اثني عشر إماما، ثم يعرفـوا بــ:"الاثـني عشـرية" في نهاية القرن الرابع الهجري.

ورغم وضوح ضعف الكتاب، وغموض اسـناده، وكونه خـبر آحاد، بل أقل من ذلك، فان بعض رجال الدين الشيعة المتأخرين، يصـرون على التمسك به والـدفاع عنــه، من أجل "إثبـات" التهم الــتي يوجهونها الى الخليفــتين الراشــدين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهمـا)، وإسـقاط عـدالتهما، تمهيـدا لتفنيد نظرية الشـورى، وإثبات نظرية النص والتعيين في الإمامة.

يقول السيد علي الميلاني:"هناك في تاريخ الإسلام قضايا هي في ظواهرها قضــايا تاريخية لكنّها في الحقيقة تعـود إلى صــميم العقيدة وتتعلّق بأصل الـدين وأسـاس الإسـلام . فهـذه من جهة . ومن جهة ثانية ، فإن خلافة الرّسول صلى الله عليه وآله من أهم المسائل الإسلاميّة عند جميع المسلمين ، وإن كان الحق أنّها من أصـول الـدين ، فـإذا لم تثبت شـرعيّتها لم يجب ــ بل لم يجز ــ الاعتقاد بها والانقياد لها ، كما لم يجز القول بعدالة المتولّين لها ، بل يحــرم اتّخــاذهم قــدوةً وقــادةً في طاعة الله والوصــول إلى رضـاه والعمل بأحكامه . وعلى هـذا ، فـإن كـانت أخبـار مأسـاة الزهراء سلام الله عليها صادقةً ، وكـان ما جـرى عليها ظلمــاً لها تحقّق القدح في شرعيّة الخلافة وفي عدالة المتصــدّين لها ، وإذا بطلت الخلافة الأولى بطل ما تفــرّع عليها ، وإذا ســقطت عدالة القوم سقطت أقوالهم وأفعالهم ورواياتهم ـ في مختلف الشؤون

الدينية ـ عن الاعتبـار ... وحينئـذٍ يحكم بضـلال الفرقة التابعة لهم والآخذة معالم الدين منهم".[254]

ويقول الشيخ فارس الحسون، مدير مركز الأبحاث العقائدية التابع لمكتب السيد علي السيستاني: "الحقيقة أنّ قضية الزهراء سلام الله عليها أساس مـذهبنا، وجميع القضـايا الـتي لحقت تلك القضــية وتـأخّرت عنها كلّها مترتبة على تلك القضــية، ومــذهب الطائفة الامامية الاثني عشرية بلا قضية الزهراء سـلام الله عليها وبلا تلك الاثار المترتبة على تلك القضية ـ هـذا المـذهب ــ يـذهب ولا يبقى، ولا يكون فرقٌ بينه وبين المذهب المقابل".[255]

وبغض النظر عن صحة هذا التبرير، أو الدافع لاتهام الشيخين أبي بكر وعمـــــر، وهما من أفاضل الصـــــحابة الكـــــرام، ومن المهـاجرين الأولين الـذين مـدحهم الله تعـالى في كتابه الكـريم، فان تلك التهم تخالف الواقع والتاريخ الثـابت المتـواتر، وأحـاديث أهل البيت عليهم السلام،وبالخصوص أحاديث الإمـام علي بن أبي طالب، التي تزخر بالمودة والحب والاحترام لهمـا، تلك الأحـاديث الموجـودة في تـراث الشـيعة قبل السـنة، والـتي استعرضا جانبا منها في بداية الفصل. وان كـان هـؤلاء الحشـويين يفسـرون تلك الأحـاديث بالتقيـة، أي انهم يعـترفون بصـحتها، ولكنهم يفسـرون صدورها من أهل البيت بالتقية، وهـذا منهج تعسـفي غـير علمي، ولا توجد له أية ضرورة، في الوقت الـذي لا يملك الحشـويون أي دليل على ادعاءاتهم الجوفاء.

دور الصفويين في تأجيج الفتنة

ومن المؤسف ان بعض الدول كالدولة الصفوية التي سيطرت على بلاد فارس في القرن العاشر الهجري وما بعده، قد استغلت ذلك التراث السلبي الأسطوري، في صراعها مع العثمانيين، لكي تشن حملة شـــعواء ضد أهل الســـنة، وتسن بدعة السب واللعن للخلفاء الراشدين، وتقيم دولة ديكتاتورية مسـتبدة أبعد ما تكـون عن سياسة أهل البيت أو عدالة الاسلام، ولكنها تتظـاهر بالتشـيع القشري الممسوخ، البعيد كل البعد عن روح التشيع الأول. وهــذا ما دفع مفـتي اسـطنبول الشـيخ عبد الله لأن يصـدر فتـوى تـدعو لمحاربة "الروافض المرتدين المقيمين في إيـران، وتطهـير البلاد

---

[254] - http://www.rafed.net/research/05/03.html

[255] - المصدر

منهم، لأنهم منذ عهد إســماعيل الصــفوي قد عــاثوا في الأرض الفسـاد وأعلنـوا سب الصـحابة الكـرام أبي بكر وعمر وعثمـان، وكفروهم باستثناء علي...".[256] ثم دفع الأفغان للثورة ضد الدولة الصفوية المتطرفة والقضاء عليها عام 1722م

ومع ان الدولة الصفوية ذهبت مع التاريخ الا انها تركت بصماتها المشـؤومة على العلاقـات الأخوية بين السـنة والشـيعة، وخلفت وراءها تراثا ثقافيا متعفنا مليئا بالأحقاد.

وقد حاول الإمبراطور الإيراني نـادر شـاه، الـذي ورث الدولة الصفوية، أن يقضي على بدعة اللعن للخلفـاء الـتي انتشـرت في فارس في ذلك الزمان، ويوحد بين طوائف مملكته الواسعة التي امتدت من الهند الى العراق، وضمت الشيعة والسنة، فعقد لذلك مؤتمرا علميا في النجف الأشرف، في شـوال من عـام 1156هـ الموافق لكـــانون الأول عـــام 1743م، ضم مجموعة من كبـــار العلمـاء الشـيعة والسـنة من العـرب والفـرس والـترك والأفغـان (حوالي سبعين عالما شيعيا وسبعة من علمـاء تركسـتان وسـبعة من أفغانستان)، وكان على رأسهم مفتي العـراق السـني الشـيخ عبد الله السويدي، ومفتي الأفغان الملا حمزة القلنجاني، ومفـتي إيران الملا باشي علي أكـبر والمرجع الكـربلائي السـيد نصر الله الحـائري، وطلب منهم ان يبحثـوا النقـاط الخلافية بينهم، وكـان بـالطبع موضـوع (السب واللعن) على رأس القائمـة. وقد انتهى المؤتمر الى إصدار بيان موحد من علماء السنة والشـيعة يـرفض فيه الموقف السلبي تجاه الخلفاء الراشدين. وجـاء فيـه:"ان أهل إيران عـدلوا عن العقائد السـالفة، ونكلـوا عن الـرفض والسـب، وقبلوا المذهب الجعفري الذي هو من المذاهب الحقة، فالمأمول من القضـاة والعلمـاء والأفندية الكـرام الإذعـان بـذلك وجعله خـامس المـذاهب". وكـان من نتيجة ذلك اعـتراف علمـاء أهل السنة بالشـيعة حسـبما وقعـوا:"نحن علمـاء الاسـلام من بخـارى وبلخ نشـهد أن العقيـدة الصـحيحة الاسـلامية للأمة الإيرانية على نحو ما ذكره العلماء سـالفا، وأن هـذه الفرقة داخلة في الاسـلام ومن أمة سيد الأنام (ص) وكل من أظهر العداوة مع هـذه الفرقة فهو خـارج عن الـدين ومحـروم من شـفاعة خـاتم النبـيين... والاختلاف مع أهل هذه العقيدة في بعض الفـروع غـير منـاف ولا مغاير للاسلام، وأصحابها من أهل الاسلام، ويحرم على الفـريقين

---

[256] - الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج 1 ، ص 103

المسلمين من أمة محمد قتل كل واحد منهم الآخر ونهبه وأسره، وهم إخوان في الدين".

وذكر الشيخ عبد الله السويدي، الذي كان لولب المؤتمر:" أنه حين تم توقيع العلماء على المحضر صار لأهل السنة فرح وسرور لم يقع مثله في العصور ولا تشبهه الأعراس والأعياد، فكان يوما مشهودا من عجائب الدنيا، والحمد لله على ذلك.. وصار ذكر الصحابة ومناقبهم في كل خيمة من المعسكر وعلى لسان العجم كلهم بحيث كانوا يذكرون لأبي بكر وعمر وعثمان مناقب وفضائل يستنبطونها من الآيات والأحاديث مما يعجز عنه فحول أهل السنة، وأخذوا يسفهون رأي الشاه إسماعيل (الصفوي) في سبهم".[257]

واذا كان مؤتمر النجف قد نجح بصورة رئيسية بطي صفحة البدعة الصفوية السيئة، في زمن نادر شاه، اعتمادا على قوته وإرادته السياسية، فانه لم يستطع اقتلاع الشبهات والأساطير التي كانت تعشعش في الثقافة الشعبية، وعلى رأسها موضوع "الهجوم على بيت فاطمة الزهراء وأحراق باب دارها، وضربها وإسقاط جنينها". وهو ما كان يؤجج نار الفتنة بين آونة وأخرى، ويسخن الموقف الشيعي السلبي من الشيخين.

ورغم ان موضوع الهجوم على بيت الزهراء ، يعتبر موضوعا تاريخيا بحتا، فان بعض رجال الدين الأخباريين الحشويين، يحاولون إضفاء صبغة دينية عليه، وبدلا من تقديم أدلتهم العلمية التاريخية، نرى البعض منهم يلجأ الى سلاح "الفتوى" والتهريج ليكمم أفواه العلماء والمحققين الذين يصرحون بضعف تلك الروايات واختلاقها. رغم ان مجال الإفتاء هو الأحكام الفقهية وليس الأمور العقائدية أو التاريخية، التي يجب فيها الاجتهاد ويحرم التقليد.

ويحاول أولئك الحشويون ، بقايا الصفويين، استدرار الدموع والعواطف باعتبار التباكي على الزهراء ضريبة الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) والتبري من "أعدائهم" والتنظير لسبهم ولعنهم واعتبار ذلك من "عقائدهم" وهم لا يعرفون أنهم بترديدهم لتلك الشائعات والشبهات وممارسة السب واللعن، انما يضربون

---

257 - المصدر السابق، ج1 ، ص 133، نقلا عن كتاب (الحجج القطعية لاتفاق الفرق الاسلامية) للسويدي، المطبوع في القاهرة سنة 1324 ، و (أعيان الشيعة) لمحسن الأمين.

صميم أهل البيت، ويؤلبون عامة النـاس ضد الشـيعة ، ويمزقـون الوحـدة الاسـلامية ، ويسـيئون الى الاسـلام والمسـلمين بتشـويه تاريخ الجيل الأول من المسلمين، خيرة صحابة رسول اللـه، بتلك الصورة البشعة.[258]

ج - واقع الشيعة اليوم..

إن الامام محمد الباقر (عليه السلام) يقول:" لا تسـبوا النـاس فتكتسبوا العـداوة بينهم ".[259] ويقـول: "إن اللعنة إذا خـرجت من في صاحبها ترددت بينهمـا، فـإن وجـدت مسـاغا وإلا رجعت على صاحبها". [260] فكيف بسب الصحابة؟ أو لعنهم؟ والعياذ باللـه. بيـد ان ممـا يسـرّ المـرء هـو حـدوث تطـور إيجـابي كبـير لـدى عامـة الشـيعة تجـاه هـذا الموضـوع، وإعـادة النظـر الى أسـبابه، فـان الشيعة اليوم في الحقيقـة، يرفضـون تلك الإتهامـات الأسـطورية الفظيعــة، ويســتنكرونها أشد اســتنكار، ويكنــون احتراما كبــيرا للشــيخين، وذلك لأن الشــيعة اليــوم أقــرب الى الشــورى والديموقراطية منهم الى الفكر الإمامي التقليدي، وليس لهم من "الإماميــة" الا الاســم، ولا يتمسك منهم بتلك الأباطيل الا فئـات صــغيرة تميل الى "الأخبارية الحشــوية" الــتي تــرفض العلم والاجتهاد وترفض تسليط أي ضوء على التاريخ.

وقد قام مؤخرا المرجع الشيعي الكبير السـيد محمد حسـين فضل الله بتسـليط الضـوء على بعض مخلفـات الفتنــة، مثل ما يسمى بزيارة عاشـوراء والجامعـة، الـتي تتضـمن اللعن الصـريح لأعداء أهل البيت، فقـال عن زيـارة عاشـوراء: "**لم يثبت لدينا صحة هذه الزيارة لضعف بعض رواتها**" وأبدى تحفظه على زيـــارة الجامعة الكبــــيرة للأســــباب التالية**:"**أولا **ان طريق الصدوق الى الراوي غير نقي ويتصف بالضعف**، كما نص على ذلك سيدنا الاستاذ المرحوم السيد الحوئي (قده) في كتـاب معجم رجال الحديث، ولم تردنا هذه الرواية من غير طرق الشيخ

---

[258] - جاء في مباني تكملة المنهاج للسيد الخوئي: "مسـألة 214:ـ يجب قتل من سب النبي على سامعه ما لم يخف الضـرر على نفسـه أو عرضـه أو ماله الخطير ونحو ذلك، ويلحق به سب الأئمة وسـب فاطمـة الزهـراء ، ولا يحتاج جـواز قتلـه إلى الأذن من الحـاكم الشـرعي". وقـد رأينـا فتـاوى علمـاء السـنة الأقـدمين والمحـدثين كيـف يكفـرون من يسـب أحـدا من الصحابة الكرام.

[259] - الكليني ،الكافي ج2 ص360 ح3

[260] - المصدر السابق ج2 ص360 ح7

الصدوق، حتى يمكن تصحيح ذلك.وثانيا: **ما ورد عن النبي (ص) والأئمة (ع) من أنهم صح عنهم أن ما خالف قول ربهم لم يقولوا،** وبعض فقراتها يخالف بوضوح ظاهر بعض الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى:"إن إلينا أيابهم، ثم إن علينا حسابهم" فان ما ورد في هذه الزيارة مخالف جدا لهذه الآيات، والمقصود هذه العبارة**:" وإياب الخلق اليكم، وحسابهم عليكم".** والله العالم".[261] كما شكك العلامة السيد مرتضى العسكري (أحد مؤسسي حزب الدعوة الاسلامية) بصحة زيارة عاشوراء، ودعا الى الكف عن ترديد ما فيها من اللعن.[262]

واذا كان للإمامية في القرون الأولى أي مبرر لترويج تلك الأحاديث والاتهامات الموجهة للشيخين، رغم الصبغة الجرمية الكبرى التي تمثلها، فانه لا يوجد للشيعة اليوم أي مبرر للتمسك بتلك الإتهامات الباطلة والأسطورية البشعة، وذلك بعد ذهاب أئمة أهل البيت، وانقراض المذهب الامامي، ووصوله الى طريق مسدود بوفاة الامام الحسن العسكري دون ولد ظاهر تستمر فيه الإمامة، رغم افتراض فريق من الإمامية وجود ولد له في السر، لم يظهر على مدى أكثر من ألف عام، واضطرار الشيعة مؤخرا للتخلي عن اشتراط العصمة والنص في الإمام (الرئيس)، وتبني نظرية "ولاية الفقيه" ثم النظام الجمهوري الديموقراطي، أي الشورى وانتخاب الأمة للإمام، في خطوة مناقضة تماما للفكر الامامي القديم البائد واللامعقول.

إن الفهم الصحيح لنظرية الإمامة، وكونها نظرية "سياسية قديمة" وبائدة، بدل أن تكون "عقيدة دينية" يشكل المقدمة الضرورية أمام التخلي النهائي والحاسم عن تلك الإتهامات الباطلة، ووضعها على رفوف التاريخ.

وعلى أي حال، فان النقد والسب واللعن والتكفير والاتهام بالردة والنفاق، كان إفرازا من افرازات الفتنة الكبرى التي

---

[261] - مكتب الاستفتاءات لسماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله. 26 جماد الأول 1425

[262] - وذلك في محاضرة له في مدرسة السيدة المعصومة بقم بتاريخ 29 / 4 / 2004 حول زيارة عاشوراء التي يرد فيها لعن ظالمي أهل البيت عليهم السلام فقال: "إذا توجهنا إلى سيرة الأئمة فلن تجد عندنا هذا الأمر، وما ورد بشأن زيارة عاشوراء غير صحيح، وأنا متردد في أصل زيارة عاشوراء، وفي هذا العصر وهذه الظروف الحساسة لم يعد للعن موقعا أو محلا".

عصــفت بالمســلمين، مع الأسف الشــديد. ولا بد من إغلاق ذلك الملف، إذ لا يعقل أن نلوك ذلك التـاريخ السـيء وتلك الإفـرازات القبيحة، ونظل نلوكها الى يوم القيامـة. وحسـنا فعل أهل السـنة بالــدعوة الى طي صــفحة الماضي ، وعــدم الغــوص كثــيراً في أحداث التاريخ السحيق.

ولكن إغلاق ملف التـاريخ، وتجـاوز أحــداث الماضي الأليمة وخاصة أحداث الفتنة الكبرى، لا يعني تقديس الصحابة جميعـا، أو رفع منزلة المخطئين منهم الى درجة الأولياء والصالحين، واعتبار ذلك جزء من العقيدة الدينية. فـان تكفـير أو تبـديع أو تضـليل من ينتقد أحــدا منهم، وإعلان الحــرب على طوائف اســلامية كبــيرة اليوم، أو اتهامها بالكفر والمروق من الدين، يعتبر أسوء من سب الصحابة أنفسهم، واستمراراً للفتنة بشكل آخر. ان فلسفة تجاوز التاريخ وغض النظر عن أعمال الصـحابة، تقتضي منا بدرجة أولى التســامح مع المســلمين المعاصــرين، الــذين قد ينفعل بعضــهم لشبهة تحدث لـه، فينتقد أو يسب بعض الصـحابة، وهـذا يجب أن ينصح ويقنع بالــدليل والبرهــان. ولا بد من عــدم فتح أية معركة جديدة مع أي فريق تعصبا للـدفاع عن معـارك التـاريخ. يجب أن نعامل أخواننا الــذين قد يخطئــون اليــوم ويواصــلون التفاعل بحماس وانفعال مع أحداث التاريخ، ويسيئون الى بعض الصحابة، لا ســمح اللــه، وذلك حفاظا على الوحــدة الاســلامية، وملاحظة القواسم المشــتركة الكثــيرة والرئيســية الــتي تجمعهم بنا ولا تخرجهم من الدين.

الفصل الثاني: دور الأدعية والزيارات في إضفاء المسحة الدينية على التاريخ
كتاب"مفاتيح الجنان" نموذجا

يحتفظ الشيعة الامامية الإثنا عشرية بتراث ضخم من الأدعيـة والزيـارات المنسـوبة الى أئمـة أهـل الـبيت، والـتي يـدأبون على تلاوتها آناء الليل وأثنـاء النهـار وفي عقب كـل صـلاة، وهنـاك من الأدعية والزيارات ما يتلونها كل ساعة أو كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر أو في كل موسم أو في المناسـبات السـنوية. ومن هنـا

تلعب الأدعية والزيارات دورا كبيرا في صياغة الثقافة الشيعية الشعبية، وترسيخها بين الناس.

ومن يقرأ كثيرا من تلك الأدعية الواردة عن أهل البيت يلمس روح الإيمان والتوحيد والخوف من الله تعالى والتوسل به وإخلاص الدعاء له، كما في دعاء الصباح المنسوب الى الامام علي بن أبي طالب، والدعاء الذي علمه الى كميل بن زياد، أو دعاء الامام الحسين يوم عرفة، أو "الصحيفة السجادية" المنسوبة الى الامام علي بن الحسين، وغيرها من الأدعية الرائعة التي تصقل روح الانسان وتزرع الإيمان في قلبه. ولكن كتب الأدعية والزيارات تعاني من مشكلة عامة هي مشكلة الوضع في الأحاديث، ولذلك نجد الى جنب تلك الادعية الصادقة كثيرا من الأدعية الموضوعة من قبل الغلاة والمنحرفين والمنسوبة الى أئمة أهل البيت، والتي تعبر عن أفكار واضعيها وتلعب دورا خطيرا في إشاعة المفاهيم السلبية ، وبث العداوة والبغضاء بين المسلمين.

وقد بدأ محدثو الشيعة في تجميع تلك الأدعية والزيارات في كتبهم، منذ القرن الرابع الهجري، عندما قام الكليني بتضمين كتابه "الكافي" بابا خاصا للزيارات، ثم قام تلميذه جعفر بن محمد ابن قولويه بتأليف كتاب خاص بالأدعية والزيارات تحت عنوان "كامل الزيارات" وجاء من بعده الشيخ محمد بن علي الصدوق الذي نقل عنهما في كتابه "من لا يحضره الفقيه" قسما من تلك الزيارات، وجاء الشيخ أبو جعفر الطوسي فجمع ما تيسر له من الأدعية والزيارات في كتاب خاص اسمه "مصباح المتهجد". الى أن جاء الشيخ محمد بن المشهدي في القرن السادس الهجري، فألف كتاب "المزار الكبير". ثم جاء من في القرن السابع الهجري بعده السيد علي بن موسى بن ابن طاووس فألف عدة كتب هي: "إقبال الأعمال" و "جمال الأسبوع" و "أمان الأخطار" و "مهمّات في صلاح المتعبد وتتمّات لمصباح المتهجد" وجمع فيها ما توافر في زمانه من أدعية وزيارات. وفي القرن التاسع الهجري ألف الشيخ إبراهيم الكفعمي كتابين في الأدعية هما:" جنة الأمان الواقية و الجنة الباقية" المعروف بـ"المصباح" و "البلد الأمين و الدرع الحصين". وألف الشيخ محمد باقر المجلسي في القرن الثاني عشر الهجري كتابا بعنوان "زاد المعاد ومفتاح الجنان".

ومعظم هذه الكتب غير متداول بين الناس، ما عدا كتاب "مفاتيح الجنان" الذي ألفه في القرن الرابع عشر الهجري، الشيخ عباس بن محمد رضا القمي، واشتهر اشتهارا واسعا، حتى

دخـل كـل بيت شـيعي تقريبـا. وقـد قـال في مقدمتـه إنـه ألفـه اسـتجابة لطلب بعض المؤمـنين الـذين سـألوه أن يراجـع كتـاب "مفتاح الجنان" المتداول بين الناس ليألف كتابا على غراره خلـوا مما احتواه مما لم يعـثر على سـنده، فأجـابهم الى ذلـك وأضـاف اليه أدعية وزيارات لم ترد في ذلك الكتاب.

وقد أعـرب الشـيخ عبـاس القمي في كتابـه عن امتعاضـه من التلاعب بالأدعيـة والزيـارات عـبر التـاريخ واعتـبر ذلـك نوعـا من البدعـة والـدس في الحـديث والخـروج عن المـأثور، فنقـل عن شيخه النوري تعليقا على إحدى الزيادات المتعلقة بزيارة الامـام الحسين، جاء فيه:" ان هذه الكلمات التي ذيلت بها هذه الروايـة، انما هي بدعة في الدين وتجاسـر على الامـام (ع) بالزيـادة فيمـا صدر منـه، وفـوق ذلـك فهي تحتـوي على أباطيـل وأكـاذيب بينـة الكذب. والغريب المدهش أنها تبث بين الناس وتذوع حتى تهتـف بها في كل يوم وليلة عدة آلاف مرة في مرقد الحسين (ع) .. ولا منكر ينكرها، أو رادع يردع عن الكذب والعصيان. فـآل الأمـر الى أن تدون هذه الأباطيل وتطبع في مجاميع من الأدعيـة والزيـارات يجمعها الحمقاء من عوام الناس فتزعمها كتابا فتجعـل لهـا إسـما من الأسماء، ثم تتلاقفها المجـاميع فتسـري من مجموعـة أحمـق الى مجموعة أحمق آخر. وتتفـاقم المشـكلة، فيلتبس الأمـر على بعض طلبـة العلم والـدين. وإني صـادفت طالبـا من طلبـة العلم والدين، وهـو يـزور الشـهداء بتلـك الأباطيـل القبيحـة، فمسسـت كتفه، فالتفت إلي، فخاطبته قائلا: ألا يشنع من الطالب أن ينطق بمثل هذه الأباطيل في مثل هذا المحضر المقدس؟ قال: أليسـت هي مرويـة عن الامـام عليـه السـلام؟ فتعجبت لسـؤاله وأجبتـه بالنفي، قال: فـإني قـد وجـدتها مدونـة في بعض الكتب، فسـألته عن الكتاب فأجـاب: كتـاب مفتـاح الجنـان. فسـكت عنـه، فانـه لا يليـق أن يكـالم المـرء رجلا أدى بـه الغفلـة والجهـل الى أن يعـد المجموعة التي جمعها بعض العـوام من النـاس كتابـا من الكتب، ويستند اليه مصدراً لما يقول. ثم بسط الشيخ (رحمه الله) كلامـه في هذا المقام، وقال: ان عدم ردع العوام عن نظائر هذه الأمور غير الهامة، والبدع الصغيرة، كغسـل أويس القـرني، وهـو التـابع المخلص لمعاوية، وصوم الصـمت بـأن يتمالـك المـرء عن التكلم بشيء في اليوم كله، وغير ذلـك من البـدع، الـتي لم يـردع عنـه رادع، ولم ينكـره منكـر، قـد أورثت الجـرأة والتطـاول، ففي كـل شهر من الشهور، وفي كل سنة من السنين، يظهر للناس نبي أو إمام جديد، فترى الناس يخرجون من دين الله أفواجا".

وأضاف الشيخ عباس القمي:"مع ما بلغتنـا من الأدعيـة المـأثورة ذات المضامين السامية، والكلمات الفصيحة البليغة، يصـاغ دعـاء سخيف غاية السخف، فيسمى بدعاء الحبي، فيـنزل من شـرفات العرش، فيفتري له من الفضل ما يدهش المرء ويبهته، من ذلـك، والعياذ بالله، أن جبرئيـل بلـغ النـبي محمـدا (ص) أن اللـه تعـالى يقول: إني لا أعذب عبدا يجعـل معـه هـذا الـدعاء، وان اسـتوجب النار وأنفق العمر كله في المعاصـي، ولم يسـجد لي فيـه سـجدة واحدة، انني أمنحه أجر سبعين ألف نبي، وأجر سبعين ألف زاهد، وأجر سبعين ألف شهيد، وأجر سـبعين ألـف من المصـلين، وأجـر من كسا سبعين ألف عريان وأجـر من أشـبع سـبعين ألـف جـائع، ووهبته من الحسنات عدد حصى الصحاري، وأعطيته أجر سـبعين ألف بقعة من الأرض، وأجر خاتم النبوة لنبينا (ص) وأجـر عيسـى روح الله، وابراهيم خليل الله وأجر اسـماعيل ذبيح اللـه وموسـى كليم الله... يا محمد من دعا بهذا الدعاء العظيم دعـاء الحـبي، أو جعله معه غفـرت لـه واسـتحييت أن أعذبـه – الى آخـره- وجـدير بالمرء أن يستبدل الضحك على هـذه المفتريـات الغريبـة بالبكـاء على كتب الشـيعة ومؤلفـاتهم، الكتب القيمـة الـتي بلغت الرتبـة السامية ضبطا وصحة واتقانا، فكانت لا يستنسخها في الغـالب الا رجال من أهل العلم والدين، فيقابلونها بنسخ نسـختها أيـدي أهـل العلم ، وصححها العلمـاء... وهـذا مبلـغ مـا بـذلوه من الجهـد في مداقتها وتصـحيحها، والآن نجـدها قـد عيفت وتـركت، فاسـتخلفها كتاب "مفتاح الجنان" الذي وقفت على نزر من صفته، فيكون هو الكتاب الوحيد الذي تتداوله الأيدي، ويرجع اليه العوام والخـواص، والعـرب والعجم، ومـا ذلـك الا لأن أهـل العلم والـدين لا يبـالون بالأحـاديث والروايـات، ولا يراجعـون كتب علمـاء أهـل الـبيت الطاهرين وفقهائهم، ولا ينكرون على أشباه هذه البـدع والزوائـد، وعلى دس الدساسـين والوضـاعين ، وتحريـف الجـاهلين، ولا يصدون من لا يرونه أهلا، ولا يردعون الحمقـاء فيبلـغ الأمـر حيث يلفـق الأدعيـة بمـا تقتضـيه الأذواق، ويصـاغ زيـارات ومفجعـات وصلوات، ويطبـع مجـاميع عديـدة من الأدعيـة المدسوسـة، وينتج أفراخ الكتاب المفتـاح وتعم المشـكلة، فـيروج الـدس والتحريـف ونراهما يسريان من كتب الأدعية الى سائر الكتب والمؤلفات".

وقد بـذل الشـيخ عبـاس القمي جهـدا كبـيرا في كتابـه "مفـاتيح الجنان" لتنقية الأدعية والزيارات ومحاولة التأكـد من نسـبتها الى أئمة أهل البيت وانتقائهـا من الكتب الشـيعية القديمـة المعتـبرة. ومع ذلك فقد عانى ممـا عـانت منـه كتب الأدعيـة السـابقة حيث

تسرب اليه الكثير من الأدعية المزورة والزيارات الموضوعة والمختلقة. وهذا ما أثار لدى المحققين أسئلة كثيرة عن صحة عدد كبير من الأدعية والزيارات الواردة فيه والتي ينقلها القمي عن كتب قديمة بلا تمحيص أو ذكر للسند، وانما اعتمادا على ورودها في كتب "مشايخ الطائفة" الأقدمين.

وهذا نهج أخباري حشوي قديم ابتلي به المسلمون عموما والشيعة خصوصا، تحت شعار "التسامح في أدلة السنن". إذ كان الكثير من المحدثين من السنة والشيعة يقبل خبر الآحاد، وربما الضعيف، حتى في أمور العقيدة فضلا عن الفقه والحلال والحرام. ولكن تطور حركة الفقه عند الشيعة دفعت العلماء الى تصنيف الأحاديث وتنقيتها وتشذيبها وتهذيبها، فنشأت المدرسة الأصولية التي بذلت جهودا كبيرة في هذا المجال، وقد نجحت في جوانب وعجزت أو فشلت في جوانب، ومن الجوانب التي فشلت فيها أو أهملتها هي الأدعية والزيارات باعتبارها لا تمس دائرة الحلال والحرام، وانها من السنن. واذا كانت قراءة الأدعية والزيارات من السنن، فان ما تحتويه كان يمس دائرة العقيدة والأصول، ولذا لم يكن يجوز تركها بلا تحقيق أو تمحيص.

أدعية موضوعة تحتوي على أباطيل

وإذا ألقينا نظرة على كتاب "مفاتيح الجنان" لوجدناه يزخر بكثير من الأحاديث والأدعية والزيارات الموضوعة التي تحتوي على أباطيل.

يقول الشيخ عباس القمي في الفصل الثاني من كتابه (في التعقيبات الخاصة):"حكى شيخنا ثقة الاسلام النوري نور الله مرقده في كتاب دار السلام عن شيخه المرحوم العالم الرباني الحاج المولى فتح علي السلطان آبادي : ان الآخوند المولى محمد الصادق العراقي كان في غاية الضيق والعسرة والضراء، ومضى عليه كذلك زمان فلم يجد من كربه فرجا ولا من ضيقه مخرجا، الى أن **رأى ليلة في المنام** كأنه في واد يتراءى فيه خيمة عظيمة عليها قبة، فسأل عن صاحبها فقيل فيها الكهف الحصين وغياث المضطر المستكين الحجة القائم المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) فأسرع الذهاب اليها، فلما وافاه صلوات الله عليه شكا عنده سوء حاله وسأل عنه دعاء يفرج به همه ويدفع به غمه، فأحاله عليه السلام الى **سيد من ولده** والى خيمته، فخرج من حضرته ودخل في تلك الخيمة فرأى السيد السند والحبر المعتمد العالم الأمجد المؤيد جناب

السيد محمد السلطان آبادي قاعدا على سجادته مشغولا بدعائه وقراءته، فذكر له بعد السلام ما أحال عليه حجة الملك العلام، فعلمه دعاء يستكفي به ضيقه ويستجلب به رزقه، فانتبه من نومه والدعاء محفوظ في خاطره، فقصد بيت جناب السيد، وكان قبل ذلك نافرا لرؤيته لوجه لا يذكره، فلما أتاه ودخل عليه رآه كما في النوم على مصلاه ذاكرا ربه مستغفرا ذنبه، فلما سلم عليه أجابه وتبسم في وجهه كأنه عرف القضية، فسأل عنه ما سأل عنه في الرؤيا فعلمه من حينه عين ذاك الدعاء فدعا به في قليل من الزمان فصبت عليه الدنيا من كل ناحية ومكان، وكان المرحوم الحاج المولى فتح علي (رحمه الله) يثني على السيد ثناء بليغا وقد أدركه في أواخر عمره وتلمذ عليه شطرا من الزمان".

ولا يستطيع المرء أن يتأكد من أساس هذه القصة، ولكنه يستطيع التنبه بسهولة الى طبيعتها الاسطورية، فهي تتحدث عن رؤية الامام المهدي في المنام وكأنها في اليقظة، في حين أن شخص الامام المهدي (المقصود: الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) مشكوك في وجوده، وتتحدث أيضا عن معرفة السيد السلطان آبادي بما أوحى به المهدي لذلك الرجل في المنام. وتبسمه وتعليمه له نفس الدعاء، وهذا من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله. أو كأن روح الامام المهدي قد طافت على الرجلين في ليلة واحدة. وتقول الرواية أن المهدي أحال النائم الى سيد من ولده وهو السلطان آبادي، وهذا يخالف الرواية الشيعية بعدم وجود أو معرفة أولاد للامام المهدي.

وهناك مثل آخر على الوضع والتحريف هو (دعاء العديلة) الذي يُقرأ لضمان عدم انحراف الانسان عند الموت، والذي يتضمن أفكارا مغالية ومنحرفة، كالفقرة التي تقول بأن الدنيا والأرض والسماء تثبت بوجود "المهدي المنتظر". ومع ان الشيخ عباس القمي يروي هذا الدعاء في "مفاتيح الجنان" الا انه يتساءل:"هل هذا الدعاء من المعصوم عليه السلام؟ أم هو من إنشاء بعض العلماء؟ ثم يجيب:يقول في ذلك خريت صناعة الحديث وجامع أخبار الأئمة عليهم السلام العالم المتبحر والمحدث الناقد البصير مولانا الحاج ميرزا حسين النوري (نور الله مرقده): وأما دعاء العديلة المعروفة فهو من مؤلفات بعض أهل العلم ليس بمأثور، ولا موجود في كتب حملة الأحاديث ونقادها".

ولا يوضح الشيخ القمي بعد ذلك لماذا إذن يذكر هـذا الـدعاء الموضوع في كتابه، في جملة الأدعية الـتي يتعهـد بروايتهـا فقـط عن أئمة أهل البيت؟ رغم ما يوجد فيه من غلو وأباطيل.

وبعد صفحات من ذلك ينقل الشيخ عباس القمي دعاء باسـم (السيفي الصغير المعروف بدعاء القاموس) ويقول:"ذكره الشيخ الأجل ثقة الاسلام النوري (عطر الله مرقده) في الصحيفة الثانية العلويـة، وقـال: ان لهـذا الـدعاء في كلمـات أربـاب الطلسـمات والتسخيرات شرح غريب، وقد ذكروا له آثارا عجيبـة، ولم أرو مـا ذكروه لعـدم اعتمـادي عليـه، ولكن أورد أصـل الـدعاء **تسامحا في أدلة السنن**، وتأسيا بالعلماء الأعلام".

ومن أبرز الأمور التي يذكرها الشيخ عبـاس القمي، وتنطـوي على قدر كبير من الخرافة والأباطيل، حديث عجيب غريب، ينقله عن كتاب (زاد المعاد) لعلي ابن طاووس، يقول فيه:ان قومـا من الأصحاب كانوا جلوسـا، إذ دخـل عليهم رسـول اللـه (ص) فسـلم عليهم فردوا عليه السلام، فقال: ألا أعلمكم دواء علمني جبرئيـل (ع) حيث لا أحتـــاج الى دواء الأطبـــاء؟ وقـــال علي وســـلمان وغيرهم: وما ذاك الدواء؟ فقال النـبي (ص) لعلي: تأخـذ من مـاء المطر بنيسان، وتقرأ عليه كلا من فاتحـة الكتـاب وآيـة الكرسـي وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب النــاس، وقل يا أيها الكافرون، سبعين مرة، وزادت رواية أخرى: سورة انا أنزلناه، أيضا سبعين مرة، والله أكبر سبعين مرة، ولا إلـه الا اللـه سبعين مرة، وتصلي على محمد وآل محمد سبعين مرة وتشـرب من ذلك الماء غدوة وعشية سبعة أيـام متواليـات، والـذي بعثـني بالحق نبيا ان جبرئيل (ع) قال: ان الله يرفع عن الذي يشرب هذا الماء كـل داء من جسـده، ويعافيـه، ويخـرج من جسـده وعظمـه وجميع أعضائه، ويمحو ذلـك من اللـوح المحفـوظ، والـذي بعثـني بالحق نبيا ان لم يكن له ولد بعد، فشرب من ذلك المـاء كـان لـه ولد، وان كانت المرأة عقيما وشربت من ذلـك المـاء رزقهـا اللـه ولدا، وان أحبت أن تحمل بذكر أو أنثى حملت، وتصديق ذلـك في كتاب الله تعالى :" يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الــذكور، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا، ويجعل من يشاء عقيما".
ثم قال عليه السلام: وان كان به صداع فشـرب من ذلـك يسـكن عنه الصداع بإذن الله ، وان كـان بـه وجـع العين يقطـر من ذلـك الماء في عينيه، ويشـرب منـه، ويغسـل بـه عينـه، ويشـتد أصـول الأســنان، ويطيب الفم، ولا يســيل من أصــول الأســنان اللعــاب،

ويقطع البلغم، ولا يتخم اذا أكـل وشـرب، ولا يتـأذى بـالريح – من القولنج وغيره – ولا يشتكي ظهره، ولا يبخع بطنه، ولا يخـاف من الزكام، ووجع الضرس، ولا يشتكي المعـدة، ولا الـدود، ولا يحتـاج الى الحجامة، ولا يصيبه البواسير، ولا يصيبه الحكـة، ولا الجـدري، ولا الجنون، ولا الجذام، ولا الـبرص ، ولا الرعـاف ، ولا القيء، ولا يصيبه عمى، ولا بكم، ولا خرس، ولا صـمم، ولا مقعـد، ولا يصـيبه الماء الأسود في عينيه، ولا يصيبه داء يفسد عليه صومه وصـلاته، ولا يتأذى بوسوسة الجن ولا الشياطين.
وقال النبي (ص) قال جبرئيل: انه من شرب من ذلك، ثم كان بـه جميـع الأوجـاع الـتي تصـيب النـاس، فانـه شـفاء لـه من جميـع الأوجاع، فقال جبرئيل (ع) : والـذي بعثـك بـالحق، من يقـرأ هـذه الآيات على هذا الماء، فيشـرب منـه ملأ اللـه قلبـه نـورا وضـياء، ويلقى الالهام في قلبه، ويجري الحكمة على لسانه، ويحشـو لبـه من الفهم والبصيرة، وأعطاه من الكرامات ما لم يعـط أحـدا من العالمين، ويرسل عليه ألف مغفرة، وألـف رحمـة، ويخـرج الغش والخيانــة والغيبــة والحســد والبغي والكــبر والبخــل والحــرص والغضب، من قلبـه، والعـداوة والبغضـاء، والنميمـة والوقيعـة في الناس، وهو الشفاء من كل داء.
ومع ان الشيخ عباس القمي يضعف سند هذه الرواية "لوجود عبد اللـه بن عمـر في سـندها" كمـا يقـول، الا انـه يعـود فيقويهـا برواية أخرى يقول ان سـندها ينتهي الى الامـام الصـادق، وتوجـد فيهـا اضـافات، وتـذكر آثـارا أخـرى، منهـا: انـه اذا كـان مسـجونا فشرب من ذلك الماء نجا من السجن، وانه لم يغلب على طبعــه البرودة.
ولسنا بحاجة الى مناقشة هذه الرواية التي تنضح بحقيقة وضــعها واختلاقها وأسطوريتها، والتي تحـاول تقـديم "مـاء نيسـان" كحـل سـحري لجميـع مشـاكل الانسـان الجسـدية والماليـة والروحيـة والأخلاقية والاجتماعية والسياسية.

يقــدم الشــيخ عبــاس القمي في كتابه "الباقيــات الصــالحات"، الملحق بــــ"مفــــاتيح الجنــــان"، مجموعة من الأدعية والــــرقي والتعاويذ لمعالجة مختلف الأمــراض بحيث لاتعــود هنــاك حاجة لمراجعة أي طبيب وأية صيدلية، فلديه تعاويذ لوجع الـرأس ووجع الإذن والشـقيقة والصـمم والحمى ووجع الفم والأسـنان والصـدر والسعال والبطن وقرقرة البطن والقولنج ، وضــعف البصر ووجع العين، وضعف الركب، ووجع السرة والخاصــرة، ومختلف الأورام والثآليــل. ولديه تعاويذ خاصة للعقــارب والــبراغيث، والأمن من

السراق واللصـوص. ولرجـوع العبد الآبـق. كما يقـدم رقية لحفظ زرع الخيـار والبطيخ من أضـرار الـدود وغـيره مما يفسـدها من الحيوان.

وربما كانت هذه "الأدعية" والـرقي والتعاويـذ، الموضـوعة في عصـور التخلـف، سـراً من أسـرار انحطـاط المسـلمين، الـذين استبدلوا بها طريق العقل والعلم. صحيح ان الـدعاء الخـالص للـه تعـالى يـؤثر في حيـاة الإنسـان، ولكن ليس بهـذه الصـورة الأسطورية والاعتماد الكلي على "الأدعية والتعاويذ" السحرية.

ويكفي في ذكر الشيخ عبـاس القمي لهـذه الروايـات واعتقـاده بصحتها لاكتشاف منهجه الحشـوي في الحـديث ، وعـدم معرفتـه للصحيح من السقيم، واختلال الموازين العلمية لديـه، والـذي أدى بـه وبمن شـابهه من المحـدثين الحشـويين، الى قبـول كثـير من الأدعية والزيارات الموضوعة والتي تمتليء غلوا وتطرفـا وشـركا وكفرا بالله تعـالى. وتقـديمها للعـوام على أنهـا جـزء أسـاس من الدين.

وبالإضافة الى ما يوجد في "مفاتيح الجنان" من أدعية موضوعة وخرافات وأساطير، فقد تعرض كتابه الى دس أحاديث أخـرى لم يذكرها هو في كتابه، مثل "حديث الكساء". وهذا ما كـان يخشـاه الشيخ عباس القمي، ويحرص على تجنبه، حيث كـان يعمـل على صيانة كتابه من الزيادة والنقصان، ولعن من يقوم بذلك، حتى انه تجنب إضافة أدعية أخرى الى كتابـه بعـد الفـراغ منـه خشـية فتح الباب للأهواء للتلاعب الكتاب – كمـا يقـول - "لقـد خطـر بالبـال بعدما فرغت من تأليف كتاب مفاتيح الجنان وانتشرت نسـخه في الأقطـار أن أضـيف اليـه للطبعـة الثانيـة إضـافات تشـتد الحاجـة اليها... ولكن الاضـافة الى الكتـاب فيمـا رأيت كـانت تفتح البـاب للتصرف في كتاب مفاتيح الجنان، وهو باب قد يغتنم فتحــه بعض الفضـوليين متصـرفين في الكتـاب إضـافة وحـذفا فينشـرون مـا عبثت به الأهواء باسم مفاتيح الجنان، كما هو المشاهد في كتـاب مفتاح الجنان، ولأجل ذلك لم أغير من أصـل الكتـاب شـيئا وإنمـا ذيلته بملحق يحتـوي على هـذه المطـالب الثمانيـة، وإني أدع الى لعنة الله القهار ولعنة رسوله (ص) والأئمة الأطهـار (ع) من عبث في كتاب مفاتيح الجنان بشيء".

ورغم ذلك فقد أضاف ناشر مجهول في بعض الطبعات ملحقا يتضـمن أدعيـة مطولـة يقـول ان المؤلـف القمي قـد أشـار اليهـا فذكر فواتحها ثم تركها لطولها، ثم يورد الناشر "حـديث الكسـاء"

ويقـول:" اسـتجابة لطلبـات كثـير من المؤمـنين وإتمامـا للكتـاب ارتأينا بذكر حديث الكساء الشريف نقلا عن كتاب (عوالم العلوم) للشيخ عبد الله بن نور الله البحـراني بسـند صـحيح عن جـابر بن عبد الله الانصاري عن فاطمة الزهـراء (عليهـا السـلام)" ويـذكر الحديث. وهو ما أثار الشك بصحة رواية القمي لهذا الحديث ودفع مؤخرا المحـدث الايـراني الشـيخ محمـدي الـري شـهري، سـادن مقام الشاه عبد العظيم في طهران، الى حذف الحديث المـذكور من الطبعات الجديدة لـ"مفـاتيح الجنـان" وتمزيقـه من الطبعـات القديمة.

"حديث الكساء"

ولا بأس بالتعرف على "حديث الكساء" من أجل التعرف على طبيعة الأدعية الموضوعة التي تبث الغلـو والتطـرف في الثقافـة الشيعية الشعبية.

يقول الحديث – الأسطورة: ان النـبي محمـد (صـلى اللـه عليـه وآله) ذهب يوما الى بيت فاطمة الزهراء واشتكى من ضـعف في بدنه فتدثر بكساء، ثم جاء الحسـن فـدخل تحت الكسـاء، ثم جـاء الحسـين فـدخل تحت الكسـاء وجـاء الامـام علي فـدخل تحت الكساء ثم دخلت فاطمة، فقال عندها النبي:"اللهم ان هؤلاء أهل بيـتي وخاصـتي لحمهم لحمي ودمهم دمي يؤلمـني مـا يـؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم أنـا حـرب لمن حـاربهم وسـلم لمن سـالمهم وعدو لمن عاداهم ومحب لمن أحبهم انهم مني وأنا منهم فاجعـل صـلواتك وبركاتـك ورحمتـك وغفرانـك ورضـوانك علي وعليهم واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا" فقال اللـه عـز وجـل:"يـا ملائكتي ويا سكان سماواتي إني ما خلقت سماء مبنيـة ولا أرضـا مدحية ولا قمرا منيرا ولا شمسـا مضـيئة ولا فلكـا يـدور ولا بحـرا يجري ولا فلكا يسري الا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكسـاء" فـنزل جبرئيـل وأبلغهم بحـديث اللـه ودخـل معهم تحت الكساء. وقال رسول الله (ص):"يا علي والذي بعثني بـالحق نبيـا واصطفاني بالرسالة نجيا ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم الا وفـرج الله همه، ولا مغمـوم الا وكشـف اللـه غمـه، ولا طـالب حاجـة الا وقضى الله حاجته".

وهذا الحديث غير معروف لدى المحدثين الشيعة القدماء، لأنه لم يكن موجـودا، أو كـان ضـعيفا الى درجـة يـرفض أي محـدث يحترم نفسه الاشارة اليه، ولا يوجد له أي سند، وقد تركه الشـيخ

عباس القمي، ولكن الناشر المجهول أضافه الى "مفاتيح الجنان" نقلا عن كتـاب "عـوالم العلـوم" للشـيخ عبـد اللـه بن نـور اللـه البحـراني، المتـأخر، وليس عن كتب الأدعيـة والزيـارات القديمـة المعروفة، وهذا ما يدل على اختلاقه في وقت متأخر.

وسواء صحت هذه الرواية أو لم تصح، فان "حديث الكسـاء" ينطوي على فكـرة متطرفـة ومغاليـة هي خلـق العـالم من أجـل الخمسة (النبي وأهل بيته) وهي فكرة لم ترد في القرآن الكـريم ولا في السنة النبوية، وتتعارض مع نظرية الاثني عشرية، ويحتمل بعض المحققين أنها من بنات الفرقة "المخمسة" التي ولدت في القرن الثاني الهجري ، وكانت تغالي بالخمسة (أصحاب الكسـاء) ثم انقرضت قبل ولادة الفرقة الاثني عشرية.

ان أخطر ما في كتاب "مفاتيح الجنـان" هي "الزيـارات" الـتي يخاطب بها الشيعة الأئمة من أهل البيت عنـد زيـارتهم لقبـورهم، والـتي ينقلهـا الشـيخ عبـاس القمي عن عـدد من كتب الزيـارة المؤلفة في القرون الماضية، وخاصة في القرن الرابـع الهجـري، عند تأسيس النظرية الاثني عشرية، تلك الزيـارات الـتي تتضـمن معاني الغلو والتعظيم المبـالغ فيـه تجـاه الأئمـة من أهـل الـبيت، والحط من درجة خصومهم أو أعـدائهم أو منافسـيهم، وأشـياعهم وأتباعهم الى يوم القيامة، وهو ما يؤدي الى حـدوث شـرخ عظيم بين المسـلمين، وبنـاء جـدران عاليـة حـول الشـيعة وعـزلهم عن التفاعل الإيجابي مع إخوانهم من أبناء المذاهب الأخرى، وإشـاعة روح الحقد والكراهية والبغضاء، ومـا يسـبب ذلـك من ردود فعـل عدائية من قبل الآخرين ضد الشيعة.

وتتكثف الخطورة من أن تلك الزيارات تشكل المنبع الرئيسي للثقافة الشيعية الشعبية الـتي لا تعـرف كتب الفلسـفة أو الكلام، وانما تواضب على قراءة تلك الزيارات بنية الحصـول على الأجـر والثواب، فـاذا بهـا تقـع فريسـة الغلاة والمتطـرفين الـذين يبثـون نظرياتهم وأسـاطيرهم وأحقـادهم في عقـول النـاس باسـم أهـل البيت.

واذا سألت أي عالم محقق أو مجتهد خبير في علم الحديث عن تلك الزيارات، لأكد لك ضعف أسنادها، وتهـافت مضـامينها، ولكن رأيه يبقى محصورا في دائرة ضـيقة في مقابـل الانتشـار الواسـع لكتب الادعية والزيـارات، وخاصـة "مفـاتيح الجنـان" في المراقـد والبيوت والمساجد والحسـينيات. ومن الأمثلـة على تلـك الأدعيـة والزيارات السلبية المغالية والمشحونة حقدا وعداء:

دعاء "يوم الغدير"

يقدم الشيخ عباس القمي دعاء يـوم الغـدير ضـمن مجموعة مفاهيم وأفكار ونظريات، تستند الى أحاديث ضـعيفة أو مختلقـة، حيث يسمي في البداية يوم الغدير بعيد الغدير، الذي يصفه بأنـه: "عيد الله الاكبر" و "عيد آل محمد (عليهم السلام)"، ويقول عنه: "انه أعظم الأعيـاد، وما بعث الله تعـالى نبيا الا وهو يعيد هـذا اليـوم، ويحفظ حرمتـه، واسم هـذا اليـوم في السـماء يـوم العهد المعهـود، واسـمه في الأرض يـوم الميثـاق المـأخوذ، والجمع المشـهود". ويضـيف: "روي أنه سـئل الصـادق عليه السـلام: هل للمسلمين عيد غـير يـوم الجمعة والأضـحى والفطـر؟ قـال: نعم، أعظمها حرمة. قال الراوي: وأي عيد هو؟ قال: اليوم الذي نصب فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أميرَ المؤمنين (عليه السلام) وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، وهو يوم ثمـاني عشر من ذي الحجـة. قـال الـراوي: وما ينبغي لنا أن نعمل في ذلك اليـوم؟ قـال: الصـيام والعبـادة والـذكر لمحمد وآل محمد (عليه السلام) والصلاة عليهم، وأوصى رسول الله (ص) أمير المؤمـنين (ع) أن يتخذ ذلك اليوم عيدا، وكـذلك كـانت الأنبيـاء تفعـل، كـانوا يوصون أوصياءهم بذلك فيتخذونه عيدا".

وبالرغم من تحدث هذه الرواية عن معرفة الأنبياء السـابقين واحتفالهم بـ"عيد الغـدير" – وهو أمر غـريب لم يشر اليه أحد من الأولين والآخرين، من قريب أو بعيد- فانها تكشف أيضا عن عـدم معرفة السـائل في زمـان الامـام الصـادق لهـذا العيـد؟ مما يؤكد اختلاق هذا الحديث وضـعفه، خاصة وان الشـيعة لم يعرفـوا هـذه التسمية ولم يقوموا بالاحتفال بـ"عيد الغدير" الا في القرن الرابع الهجري في ظل الدولة البويهيـة. وقد أراح الشـيخ عبـاس القمي نفسه من عناء ذكر السـند أو التحقيق فيـه، واعتمد على إرسـال الحـديث، وأضـاف اليه حـديثا آخر بنفس الطريقة فقـال:" في حديث أبي نصر البزنطي عن الرضا (صلوات الله وسـلامه عليـه) أنه قـال:يا بن أبي نصر أينما كنت، فاحضر يـوم الغـدير عند أمـير المؤمنين عليه السلام فـان الله تبـارك وتعـالى يغفر لكل مـؤمن ومؤمنة ومسـلم ومسـلمة ذنـوب سـتين سـنة، ويعتق من النـار ضـعف ما أعتق في شـهر رمضـان، وليلة القـدر، وليلة الفطـر. ولَدرهم فيه بـألف درهم لإخوانك العـارفين، وأفضل على إخوانك في هذا اليوم، وسُرَّ فيه كل مؤمن ومؤمنة، والله لو عرف الناس

فضل هـذا اليـوم بحقيقته لصـافحتهم الملائكة في كل يـوم عشر مرات".

وأضاف:"الخلاصة: ان تعظيم هذا اليوم الشريف لازم، وأعماله عديدة، الأول: الصوم، وهو كفارة ذنوب ستين سنة، وقد روي أن صـيامه بعـدل صـيام الـدهر، ويعـدل مائة حجة وعمـرة. الثـاني: الغسل. الثالث: زيارة أمير المؤمنين".

وذكر القمي عــدة "زيــارات" وأدعيــة، جــاء في أحــدها ما يلي:"...إنا يا ربنا بمنك ولطفك أجبنا داعيك واتبعنا الرســـــول، وصدقناه وصـدقنا مـولى المؤمـنين، وكفرنا بـالجبت والطـاغوت، فولنا ما تولينا واحشرنا مع أئمتنا فانا بهم مؤمنـون موقنـون ولهم مســلمون، آمنا بســرهم وعلانيتهم وشــاهدهم وغــائبهم وحيهم وميتهم ، ورضـينا بهم أئمة وقـادة وسـادة وحسـبنا بهم بيننا وبين الله دون خلقه لا نبتغي بهم بــــدلا، ولا نتخذ من دونهم وليجــــة، وبرئنا الى الله من كل من نصب لهم حربا من الجن والإنس من الأولين والآخــرين وكفرنا بـالجبت والطـاغوت والأوثـان الأربعـة، وأشــياعهم وأتبــاعهم وكل من والاهم من الجن والإنس من أول الدهر الى آخره.

اللهم إنا نشهد أنا ندين بما دان به محمد وآل محمد صلى الله عليه وعليهم، وقولنا ما قالوا، وديننا ما دانوا به، ما قـالوا به قلنـا، وما دانوا به دنا، وما أنكروا أنكرنا، ومن والـوا والينـا، ومن عـادوا عادينا، ومن لعنوا لعنا، ومن تبرؤوا منه تبرأنـا، ومن ترحمـوا عليه ترحمنا، آمنا وسلمنا ورضينا واتبعنا موالينا صلوات الله عليهم".

ومن الواضح ان هذا الدعاء يتضمن التبري مما يسميه بالجبت والطــاغوت ، ويقصد بهما الشــيخين، وأشــياعهم وأتبــاعهم ومن والاهم من الجن والإنس من أول الدهر الى آخره، وهو ما يـؤدي الى القطيعة والانفصـال النفسي عن عامة المسـلمين، ويحـدث شرخا بينهم وبين الشيعة.

وفي دعـاء آخـر، يرويه القمي عن ابن طـاووس، في القـرن السابع الهجري، الذي يرويه بدوره عن الشيخ المفيد، في القــرن الخــامس الهجــري، دون أن يــذكر الســند والمصــدر، جــاء ما يلي:"اللهم إني أســألك بحق محمد وآل محمد أن تصــلي على محمد وآل محمــد، وأن تلعن من جحد حق هــذا اليــوم، وأنكر حرمته فصد عن سبيلك لإطفاء نورك". وكأن الإيمـان بهـذا اليـوم

من ضــروريات الاســلام الــتي لا ينكرها الا كــافر، وانه لم يكن الموضوع محل جهل ونفي من قبل الشيعة في القرون الأولى.

ولكي يكـرس القمي يـوم الغـدير عيـدا تاريخيـا، منذ أعمـاق التاريخ، ويضـفي عليه هالة قدسـية، ذكر أن هـذا هو اليـوم الـذي جعل الله تعــالى فيه النــار على إبــراهيم الخليل بــردا وســلاما، واليوم الـذي انتصر فيه موسى على السـحرة، ونصب فيه وصـيه يوشع بن نــون، وجعل فيه عيسى شــمعون الصــفا وصــيا لــه، واستخلف سليمان آصف بن برخيا على قومـه، وآخى فيه رسـول الله بين أصحابه.

زيارات الأئمة

الزيارة المطلقة الأولى: رواها الكليني في الكافي بسـنده عن الحسين بن ثوير، عن أبي عبد الله. ورواها الشـيخ الطوسـي في التهذيب، والصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه، قال الصدوق: اني قد ذكـرت في كتـابي المـزار والمقتـل أنواعـا من الزيـارات، وانتخبت هذه الزيارة لهذا الكتاب، فإنها **أصح الزيـارات عنـدي رواية**، وهي تكفينا وتفي بالمقصود.
ويوجد في هذه الزيارة ما يلي:" بكم فتح الله وبكم يختم وبكم يمحو ما يشاء ويثبت، وبكم يفك الذل من رقابنا وبكم يدرك اللــه ترة كل مؤمن يطلب بها، **وبكم تنبت الأرض أشجارها وبكم تخــرج الأرض ثمارهــا، وبكم تــنزل الســماء قطرهــا ورزقها وبكم يكشف الله الكرب وبكم ينزل اللـه الغيث وبكم تسبح الأرض التي تحمل أبدانكم وتسـتقر جبالهـا على مراسـيها، إرادة اللـه في مقـادير أمـوره تهبـط إليكم وتصـدر من بيـوتكم**، والصـادر عمـا فصـل من أحكـام العبــاد. لعنت أمــة قتلتكم، **وأمــة خــالفتكم، وأمــة جحـدت ولايتكم**، وأمة ظاهرت عليكم وأمة شهدت ولم تستشهد، الحمد لله الذي جعل النار مأواهم وبئس الورد المورود". حيث لا تكتفي هذه الزيارة بلعن من قاتل الحسين وانما تلعن من يخالف الأئمـة أو يجحــد ولايتهم، ولا تفــرق بين من يمتلــك دليلا على وجــوب الولاية لهم أو لا يجد أي دليـل. فضـلا عن ان الزيـارة تتحـدث عن هبوط إرادة الله الى الأئمة وصدورها من بيوتهم، وهذه فكرة في منتهى الغلو والانحراف.

الزيارة الثالثة: هي ما رواها ابن طـاووس في المـزار، وروى لهـا فضلا كثيرا، بحذف الأسناد عن جـابر الجعفي، قـال قـال الصـادق

لجابر:... ان الرجل منكم ليأخذ في جهازه ويتهيأ لزيارته، فيتباشر به أهل السماء، فاذا خرج من باب منزله راكبا أو ماشيا وكل الله بـه أربعـة آلاف ملـك من الملائكة، يصـلون عليـه حـتى يـوافي الحسين (ع)... الزيارة... ثم تمضي الى صلاتك ولـك بكـل ركعـة ركعتها عنده كثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، وكأنما وقف في سبيل الله ألف مرة مع نبي مرسل.

وجـاء في مقدمـة الزيـارة السـابعة مـا يلي، نقلا عن "مصـباح المتهجد" للشيخ الطوسي، نقلا عن كتـاب "المـزار" لابن قولويـه عن الصادق أنه قال: إن أبي حدثني عن آبائه عن رسول الله أنـه قال:"ان ابني هـذا الحسـين يقتـل بعـدي على شـاطيء الفـرات، ومن اغتسل من الفرات تساقطت خطاياه كهيئة يوم ولدته أمه". وأمـا مـا جـاء في نفس الزيـارة فهـو بعـد السـلام، ولعن قتلـة الحسـين:"أشـهد أنـك الامـام الـبر التقي الرضـي الـزكي الهـادي المهدي، وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمـة التقـوى وأعلام الهـدى والعروة الوثقى والحجـة على أهـل الـدنيا، وأشـهد اللـه وملائكتـه وأنبياءه ورسله أني بكم مؤمن وبإيابكم موقن...". وهـذه الفقـرة تتضمن نظرية الامامة ونظرية الرجعة التي قال بها بعض الشـيعة القدماء.
وكما يلاحظ فان الشـيخ عبـاس القمي لا يـذكر سـند الروايـة من ابن قولويه الى الصادق، ولسنا نعرف فيما اذا كان ابن قولويه قد ذكر السند؟ أم لا؟ وما هو وفيما اذا كان صحيحا عند الشـيعة؟ أم لا؟

وجاء في مقدمة زيارة النصـف من شـعبان مـا يلي، نقلا عن الامـام الصـادق:" من أحب أن يصـافحه مائـة ألـف نـبي وأربعـة وعشرون ألف نبي، فليزر قبر أبي عبد الله الحسـين بن علي في النصف من شعبان، فـان أرواح النبـيين (ص) يسـتأذنون اللـه في زيارتـه فيـؤذن لهم، فطـوبى لمن صـافح هـؤلاء وصـافحوه، ومن خمسـة أولـو العـزم من الرسـل، هم نـوح وابـراهيم وموسـى وعيسى ومحمد (ص)".
وكذلك ورد عن الامام التقي في زيـارة ليـالي القـدر:"أن من زار الحسين ليلة ثلاثـة وعشـرين صـافحه روح أربعـة وعشـرين ألـف نبي، كلهم يستأذن الله في زيارة الحسين في تلك الليلة".
وقد سقطت في هذه الرواية (مائة ألف)

وروى ابن قولويه عن الصادق:"ان من زار قبر الحسين بن علي في شهر رمضان، ومات في الطريق لم يعرض ولم يحاسب، وقيل له: ادخل الجنة آمنا".
ويروي القمي عن الصادق أنه قال:" من زار الحسين بن علي ليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة عرفة في سنة واحدة، كتب الله له ألف حجة مبرورة، وألف عمرة متقبلة، وقضيت له ألف حاجة من حوائج الدنيا والآخرة". وهذا ما لم يرد عن رسول الله (ص) حول أي عمل صالح آخر.
ويوجد في زيارة العيد ما يلي:"يا مولاي أنا موال لوليكم ومعاد لعدوكم، وأنا بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرائه ديني وخواتيم عملي وقلبي لقلبكم سلم، وأمري لأمركم متبع، يا مولاي أتيتك خائفا فآمني، وأتيتك مستجيرا فأجرني وأتيتك فقيرا فأغنني".
وهذه فقرة لم ترد في الزيارات الأخرى، وتتضمن نوعا من التوسل والدعاء والاستغاثة المباشرة بالامام الحسين، بما يخالف عقيدة التوحيد والدعاء الى الله تعالى.

ويشابه ذلك ما يرويه الشيخ عباس القمي في كتابه الآخر الملحق بمفاتيح الجنان "الباقيات الصالحات" تحت عنوان "صلاة خاصة بالاستغاثة بفاطمة الزهراء" فيقول:"اذا كانت لك حاجة الى الله تعالى، وضاق صدرك منها، فصل ركعتين، فاذا سلمت كبر ثلاثا، وسبح بتسبيح فاطمة (سلام الله عليها) ثم اسجد وقل مائة مرة: **يا مولاتي يا فاطمة أغيثيني**. ثم ضع خدك الأيمن على الأرض وقلها مائة مرة. ثم ضع خدك الأيسر وقلها مائة مرة، ثم عد الى السجود وقلها مائة وعشر مرات، واذكر حاجتك، فان الله تعالى يقضيها ان شاء الله".

ومن الواضح انحراف هذا الدعاء البدعي الموضوع، الذي يتضمن الاستغاثة بالسيدة الزهراء، وتناقضه مع عقيدة التوحيد، وإخلاص الدعاء له، والاستغاثة به. ويقدم القمي "دعاء" بدعيا آخر، ينطوي على الخلط بين دعاء الخالق ودعاء المخلوقين، وهو: (**الاستغاثة بالأئمة**) حيث يقول:" من أراد منكم أن يستغيث الى الله (عز وجل) فليصل ركعتين، ثم يسجد ويقول: يا محمد يا رسول الله، يا علي يا سيدَي المؤمنين والمؤمنات، **بكما أستغيث الى الله تعالى**، يا محمد يا علي أستغيث بكما، يا غوثاه بالله وبمحمد وعلي وفاطمة. وتسمي كلا من أئمتك ثم تقول: **بكم أتوسل الى الله تعالى، فانهم يغيثوك لساعتك** ان شاء الله تعالى".

زيارة عرفة:

يقول الشيخ عباس القمي في "مفاتيح الجنان":"اعلم ان ما روي عن أهـل الـبيت الطـاهرين المعصـومين (صـلوات اللـه عليهم أجمعين) في زيـارة عرفـة ممـا لا يحصـى فضـلا وعـددا، ونحن تشويقا للزائرين نورد منها البعض اليسير بسـند معتـبر عن بشـير الدهان، قال قلت للصادق (ع): ربما فاتني الحج فأعرف عند قـبر الحسين (ع) قال:"أحسنت يا بشير أيما مـؤمن أتى قـبر الحسـين عارفا بحقه في غير يوم عيد، كتب له عشـرون حجـة، وعشـرون عمرة، مبرورات متقبلات، وعشـرون غـزوة مـع نـبي مرسـل، أو إمام عادل، ومن أتاه في يوم عرفـة عارفـا بحقـه، كتب لـه ألـف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات، وألف غزوة مع نبي مرســل أو إمام عادل"... وفي أحاديث كثيرة معتبرة:"ان الله تعالى ينظر الى زوار قبر الحسين نظر الرحمة في يوم عرفـة قبـل أن ينظـر الى أهل عرفات". وفي حديث معتبر عن رفاعـة، قـال : قـال لي الصادق:" يا رفاعة أحججت هذا العام؟ قلت: جعلت فداك ما كان عندي ما أحج به ، ولكني عرّفت عند قبر الحسـين، فقـال لي: يـا رفاعة ما قصرت .. لولا أني أكـره أن يـدع النـاس الحج، لحـدثتك بحديث لا تدع زيارة قبر الحسين أبدا. ثم سكت طـويلا، ثم قـال : أخبرني أبي قال: من خـرج الى قـبر الحسـين عارفـا بحقـه، غـير مستكبر. صحبه ألـف ملـك عن يمينـه، وألـف ملـك عن شـماله، وكتب له ألف حجة وألف عمرة، مع نبي أو وصي نبي".

وكل هذه أمور غيبية لا يعلمها الا الله أو نبي من أنبياء اللــه، فمن أين جاء بها الامام الصادق أو الامام الباقر، ولم يروها عن رسـول الله ولم تعرف عن الأئمة السابقين، وهـو مـا يؤكـد اختلاقهـا من قبل الرواة على لسان أهـل الـبيت، حيث يسـتبعد عنهم التحـدث عن الغيب أو نسبة أمور الى الله من عند أنفسهم، بدون دليل أو ادعاء نزول الوحي عليهم، كما كـان يقـول الغلاة من الشـيعة في تلك الأيام.

زيارة عاشوراء

وينقل الشـيخ عبـاس القمي عن "مصـباح" الشـيخ الطوسـي عن الامــام البــاقر مــا يلي:أن "من زار الحســين بن علي في يــوم عاشوراء من المحرم، يظل عنده باكيـا لقي اللـه عـز وجـل يـوم يلقاه بثواب ألفي حجـة، وألفي عمـرة، وألفي غـزوة، كثـواب من حج واعتمر وغزا مـع رسـول اللـه (ص) ومـع الأئمـة الراشـدين".

وأنه قال للراوي:" يا علقمة اذا انك اذا قلت ذلك – الزيارة- فقد دعوت بما يدعو به زواره من الملائكة، وكتب الله لك مائة ألف درجة، وكنت كمن استشهدوا معه، تشاركهم في درجاتهم، وما عرفت الا في زمرة الشهداء الذين استشهدوا معه، وكتب لك ثواب زيارة كل نبي وكل رسول، وكل من زار الحسين منذ قتل".
وينقل القمي نسختين لزيارة عاشوراء يقول إن إحداهما مشهورة والأخرى غير مشهورة، ولكنه لا يقيمهما من ناحية الصحة والضعف، أو يناقش في سندهما،أو في متنهما ومدى تطابقه مع القرآن الكريم والثابت من السنة النبوية، أو أحاديث أهل البيت الصحيحة، وبالرغم من تضمن الزيارة "المشهورة" الأولى لموضوع "اللعن" فانه يتلقاها بالقبول، وينقلها بكل ما فيها من غث و غلو وعنف، مع ان الزيارة الأخرى تخلو من ذلك، مما يرجح إضافة اللعن من قبل الرواة على الرواية الأولى "المشهورة".
وقد ورد في هذه الزيارة ما لم يرد في أية زيارة أخرى من اللعن على الصحابة الكرام كما يلي:" اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني وابدأ به أولا، ثم العن الثاني والثالث والرابع، اللهم العن يزيد خامسا، والعن عبيد الله بن زياد وابن مرجانة وعمر بن سعد وشمرا وآل أبي سفيان وآل زياد وآل مروان الى يوم القيامة".
ولكي يرسخ المبتدعون أفكارهم الشيطانية، ويعمقون الجراح بين الأمة الاسلامية، ينقلون عن الامام الباقر أنه قال:" ان استطعت أن تزوره في كل يوم بهذه الزيارة في دارك فافعل، فلك ثواب جميع ذلك". ويروي القمي عن صفوان بن مهران عن الصادق أنه قال:"تعاهد هذه الزيارة، وادع بهذا الدعاء وزر به، فاني ضامن على الله لكل من زار بهذه الزيارة، ودعا بهذا الدعاء، من قرب أو بعد، أن زيارته مقبولة، وسعيه مشكور، وسلامه واصل غير محجوب، وحاجته مقضية من الله تعالى، بالغة ما بلغت ، ولا يخيبه. يا صفوان وجدت هذه الزيارة مضمونة بهذا الضمان، عن أبي وأبي عن أبيه علي بن الحسين مضمونا بهذا الضمان، عن الحسين، والحسين عن أخيه الحسن مضمونا بهذا الضمان، والحسن عن أبيه أمير المؤمنين مضمونا بهذا الضمان، عن رسول الله مضمونا بهذا الضمان، ورسوله الله (ص) عن جبرائيل مضمونا بهذا الضمان، وجبرائيل عن الله تعالى مضمونا بهذا الضمان، وقد آلى الله على نفسه أن من زار الحسين بهذه الزيارة من قرب أو بعد ، ودعا بهذا الدعاء، قبلت منه زيارته وشفعته في مسألته بالغة ما بلغت، وأعطيته سؤله، ثم لا ينقلب عني خائبا، وأقلبه مسرورا قريرا عينه بقضاء حاجته،

والفوز بالجنة، والعتق من النار، وشـفعته في كـل من شـفع، خلا ناصب لنا أهل البيت آلى الله تعـالى بـذلك على نفسـه، وأشـهدنا بمـا شـهدت ملائكتـه ملكوتـه، ثم قـال جبرائيـل: يـا رسـول اللـه أرسلني الله اليك سرورا، وبشرى لك، ولعلي وفاطمـة والحسـن والحسـين والأئمـة من ولـدك، وشـيعتكم الى يـوم البعث، لا زلت مسـرورا، ولا زال علي وفاطمـة والحسـن والحسـين وشـيعتكم مسرورين الى يوم البعث".

ولكي يشجع القمي على تلاوة الزيارة ينقـل قصـة أسـطورية عن كتاب "النجم الثاقب" للشيخ النوري، دون أن يذكر اسم الـراوي، او تاريخه ، يقـول فيهـا أن الحـاج السـيد أحمـد الرشـتي تشـرف بالحضور عند إمام العصر (الامام المهدي الغائب) (أرواحنا فـداه) في سفر الحج، وقوله له: لماذا لا تقرأ زيارة عاشوراء، عاشوراء، عاشوراء، عاشوراء؟

كما ينقل الشيخ عباس القمي في كتابه "مفـاتيح الجنـان" عن "جنـة المـأوى" و "النجم الثـاقب" لشـيخه النـوري ، قصـة رجـل بغدادي اسمه الحاج علي، يقول فيها انـه التقى بالامـام المهـدي وهو في طريقه من الكاظمية الى بغداد، ومحادثته بشؤون خاصة لا يعلمها الا الحاج علي البغدادي، وتأكيده له على صحة عـدد من الزيارات المعروفة الواردة في كتاب "مفاتيح الجنان" ووصيته لـه بتلاوتها، ونفيه أن تكون زيارة الحسين بدعة، وقولـه :"انهـا أمـان لزوار الحسين من النار يوم القيامة".

وبغض النظر عن صحة وجود الامام المهدي، وجواز ادعاء رؤيته أو نقـل الأحـاديث عنـه، وبغض النظـر عن صـحة القصـة من أساسها، فان الشيخ عباس القمي ينقل عن الـراوي (الحـاج علي البغدادي) نهي الشيخ محمد حسن آل ياسين له عن إفشاء هـذه القصة، وكتمان البغدادي لها، بل وانكـاره لهـا أشـد الانكـار، ومـع ذلك يحاول القمي تبعا لاستاذه الشيخ النوري الإيحاء بصـحة هـذه الاسطورة ونشرها بين العوام من الشيعة، من أجل تكريس عـدد من الزيارات المبتدعة والمختلقة والتي لا سند صحيح لها.

ان معظم الزيارات منقولة عن كتاب "الكافي" للكليني، و"من لا يحضره الفقيه" للصدوق، الذي ينقلها عن الكليني، وكـذلك عن "التهـذيب" للطوسـي، وهـؤلاء الـرواة عاشـوا في القـرن الرابـع والخامس الهجريين، ولا توجد أية رواية في أي كتاب صحيح قبـل هذا التاريخ، وان النظـر الى مضـامين تلـك الزيـارات، واشـتمالها على أسماء الأئمة الاثني عشـر، يؤكـد اختلاقهـا من قبـل أقطـاب النظرية الإثني عشرية، الـتي تـألفت في القـرن الرابـع الهجـري،

بعد أن كـان الشـيعة الامامية يؤمنـون بامتـداد الامامـة الى يـوم القيامة، وعدم اقتصارها على عدد محدد. وهذا ما نجده في بعض الأدعيــة الــتي تســربت الى الــتراث الشــيعي ووردت حــتى في "مفـاتيح الجنـان" كمـا في "الـدعاء لصـاحب الأمـر" الـذي جـاء فيه:"اللهم صل على ولاة عهده والأئمة من بعده، وبلغهم آمـالهم وزد في آجـالهم وأعـز نصـرهم وتمم لهم مـا أسـندت اليهم من أمرك وثبت دعائمهم".

وبالرغم من وقوع الحيرة لدى الشيعة الامامية، بعد وفاة الامام العسكري في منتصف القرن الثالث الهجـري، دون أن يشـير الى وجود ولد له لكي تستمر فيه الامامة، ونفي أهل البيت وجود ولـد له في السر، وتفتيش الشيعة عنه الى حـد اليـأس وعـدم العثـور على أي أثـر لـه، فـان بعض الـدجالين ادعـوا وجـود ولـد للامـام العسكري وغيبته في سرداب داخل البيت، ولم يكتفوا بذلك حتى ألفوا زيارات خاصة للامـام الغـائب في السـرداب، ونقلوهـا عنـه، كمــا ينقــل عن محمــد الحمــيري أنــه خــرج اليــه من "الناحيــة المقدسة". ولكن الملفت في بعض تلك الزيارات هو أنهـا تحتـوي على شكوى بطول الغيبة واختلاف الناس وشـكهم بوجـود الامـام الغائب، مما يرجح الظن باختلاق تلك الزيارات في قرون متأخرة.

يقول الشيخ عباس القمي في باب "زيارة صاحب الزمان":" ثم انزل السرداب وزره (عليه السلام) بما روي عنه نفسه الشريفة، كما عن الشيخ الجليل أحمد بن أبي طـالب الطبرسـي في كتـاب الاحتجاج، أنه خرج من الناحية المقدسة الى محمد الحميري، بعد الجواب عن المسائل التي سألها... إذا أردتم التوجه بنـا الى اللـه (تعالى) والينا فقولوا كما قال الله تعالى...".

والمعـروف ان الطبرسـي عـاش في القـرن الخـامس الهجـري، فكيـف نقـل عن الحمـيري الـذي كـان يعيش في القـرن الثـالث الهجري، ما لم ينقله السابقون عنه؟

وينقل القمي زيارة أخـرى عن "الكتب المعتـبرة" (...) وقـد جـاء فيها:" السلام عليك يا حافظ أسـرار رب العـالمين (؟)... السـلام عليك يا معدن العلوم النبوية (؟) السلام عليكم يا باب اللـه الـذي لا يؤتى الا منه، السلام عليك يا سبيل الله الـذي من سـلك غـيره هلـك، السـلام عليـك يـا نـاظر شـجرة طـوبى وسـدرة المنتهى، السلام عليك يا نور الله الذي لا يطفأ، السلام عليك يا حجـة اللـه الـتي لا تخفى، السـلام عليـك يـا حجـة اللـه على من في الأرض والسماء...أشهد أنك الحجـة على من مضـى ومن بقي... رضـيت بك يامولاي إماما وهاديا ووليا ومرشدا لا أبتغي بك بـدلا، ولا أتخـذ من دونك وليـا، أشـهد.. أن وعـد اللـه فيـك حـق لا أرتـاب لطـول

الغيبة وبعد الأمد، ولا أتحير مع من جهلـك وجهـل بـك...أشـهد أن بولايتك تقبل الأعمال وتزكى الأفعال وتمحى السـيئات، فمن جـاء بولايتــك واعــترف بإمامتــك قبلت أعمالــه،وصــدقت اقوالــه، وتضاعفت حسناته،ومن عدل عن ولايتك وجهل معرفتك واستبدل بك غيرك أكبه الله على منخره في النار ولم يقبـل اللـه لـه عملا ولم يقم له يوم القيامة وزنا... فلـو **تطاولت الـدهور** وتمـادت الأعمــار لم أزدد فيــك الا يقينــا، ولــك الا حبــا، وعليــك الا متكلاً ومعتمدا، ولظهورك الا متوقعا ومنتظرا...".

ويضيف القمي بعـد ذلـك:"ثم ائت سـرداب الغيبـة، وقـف بين الباب ماسـكا جـانب البـاب بيـدك، ثم تنحنح كالمسـتأذن.. وانـزل بسـكينة وحضـور قلب، وصـل ركعـتين في عرصـة السـرداب، وقـل:"...الحمـد للـه الـذي هـدانا لهـذا وعرفنـا أوليـاءه وأعـداءه ووفقنا الله لزيارة أئمتنا ولم يجعلنـا من المعانـدين الناصـبين، ولا من الغلاة المفوضـين، ولا من المرتـابين المقصـرين...أشـهد أن الله اصطفاك صغيرا وأكمل لك علومه كبيرا، وأنـك حي لا تمـوت حتى تبطل الجبت والطـاغوت...اللهم طـال الانتظـار وشـمت بنـا الفجار، وصعب علينا الانتظار...".

ومن الواضح اختلاق هذا الدعاء أو هذه الزيارة في وقت متأخر، بعد "طول الانتظار وشـماتة الفجـار" وانـه ليس دعـاء مرويـا عن أئمة أهل البيت، ومما يؤكد ذلك روايـة القمي لكثـير من زيـارات السرداب عن كتـاب "مصـباح الزائـر" لابن طـاووس، الـذي كـان يعيش في القرن السابع الهجري. ورغم ان الزيارة السابقة تشير الى وجود الشك والارتياب في وجـود الامـام الغـائب، الا انهـا لم تحاول إثبات الأمر، وانما تقفز عليه بحمـد اللـه الـذي "لم يجعلنـا من المرتابين المقصرين".

وفي هذا الإطار من النقل الحشوي البدعي ، يضيف القمي في كشكوله "الباقيات الصالحات" الملحق بكتاب "مفاتيح الجنان" ما يلي:" وقد حكى الشــيخ (رحمه اللــه) في كتــاب النجم الثــاقب حديث بناء جامع جمكران (بـالقرب من مدينة قم الإيرانيـة) بـأمر صــاحب العصر عليه الســلام، وقد أتى ذلك الحــديث: أنه قــال للحسن المثلة الجمكراني: قل للناس لـيرغبوا في هـذا الموضـع، وليعــزوه، وليصــلوا فيه ... وهــذه الكلمة مروية بنصــها عنه عليه الســلام: فمن صــلاهما فكأنما صــلى في الــبيت العــتيق، أي الكعبة".!

الزيارة الجامعة

تقدم الزيارة الجامعة لجميع أئمة أهل البيت في البداية موقفا خاصا منهم حيث تبدأ بالسلام عليهم ثم تصفهم بأنهم :"

معدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخزان العلم، وامناء الرحمن، وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى، وحفظة سر الله، وأوصياء نبي الله". وتؤكد على أنهم "الأئمة المعصومون المصطفون" و"ان الله اصطفاهم بعلمه، وارتضاهم لغيبه، واختارهم لسره، واجتباهم بقدرته، ورضيهم خلفاء في أرضه. وجعلهم حججا على بريته".

وترتفع الزيارة بالأئمة الى درجة غالية جدا بحيث تعطيهم بعض أدوار الله تعالى، فتخاطب الأئمة هكذا :" إن إياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم". وذلك خلافا لقول الله تعالى الصريح في القرآن الكريم:"إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم".

واذا كانت الزيارة قد ارتفعت بالأئمة الى هذه الدرجة المغالية، فليس من الصعب بعد ذلك أن تخاطبهم وكأنهم في منزلة الأنبياء أو أعلى من الأنبياء، حيث تقول:"بلغ الله بكم اشرف محل المكرمين، واعلى منازل المقربين وارفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في ادراكه طامع، حتى لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد. إلا عرفهم جلالة أمركم، وعظم خطركم، وكبر شأنكم ، وقرب منزلتكم منه".

ولكن ما فائدة هذا الولاء والتعظيم؟ وكيف يمكن تقديم فروض الطاعة لهم؟ وقد مضى الزمان وذهب أهل البيت؟ ان الجواب يأتي في فقرة لاحقة تتحدث عن المستقبل، وتقول:"أنا مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لامركم، مرتقب لدولتكم، آخذ بقولكم، عامل بأمركم، مستجير بكم".

وعندما تخاطب الزيارة الأئمة قائلة:" ان آيات الله لديكم، وعزائمه فيكم، ونوره وبرهانه عندكم، وامره اليكم" فمن الطبيعي أن يصبح الأئمة المحور الفاصل بين الحق والباطل، ولذلك تقول:" من والاكم فقد والى الله، ومن عاداكم فقد عاد الله، ومن احبكم فقد احب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله، ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله". وتضيف:" من اتاكم نجا ومن لم يأتكم هلك". أو "سعد من والاكم، وهلك من عاداكم،

وخــاب من جحــدكم، وضل من فــارقكم، وفــاز من تمسك بكم، وأمن من لجأ اليكم، وسلم من صـدقكم، وهـدي من اعتصم بكم، من اتبعكم فالجنة مأواه، ومن خالفكم فالنار مثواه، ومن جحدكم كافر، ومن حاربكم مشـرك ومن رد عليكم، فهو في اسـفل درك الجحيم".

وتقوم الزيارة بتكريس مفهوم التبري، فتقول:"بـرأت إلى الله عز وجل من أعـــدائكم ومن الجبت والطـــاغوت والشـــياطين وحزبهم، الظالمين لكم الجاحدين لحقكم، والمـارقين من ولايتكم والغاصـبين لإرثكم، الشـاكين فيكم، المنحـرفين عنكم، ومن كل وليجة دونكم وكل مطاع سـواكم، ومن الائمة الـذين يـدعون إلى النــار" . وفي هــذا السـياق تنتقل الزيـارة لتتخذ موقفا عنيفا من الآخـرين، فتقـول في مخاطبة الأئمـة:"ان الـراغب عنكم مـارق، والمقصر في حقكم زاهق".

إذن فــان هــذه الزيــارة والزيــارات الأخـرى، وخاصة زيــارة عاشــوراء، تقــوم ببنــاء نظرية الامامــة، في نفــوس من يقرأهــا، فتعطي لأئمة أهل الــبيت موقعا يشــابه النبــوة، يــوجب الطاعة والتسليم ويحـرم المخالفة أو التخلف والمـروق والخـروج عليهم، وبالرغم من كـونهم عاشـوا في فـترة ماضـية قبل أكـثر من ألف عام، فان الزيارات تبني حولهم موقفا عقـديا، ينعكس سـلبا على خصومهم المفترضين الذين عاشوا في زمــانهم، ثم يمتد الموقف ليشمل أتباع الفريقين، وبما أن الزيارات تشكل حزبا تاريخيا تابعا الى الأئمة عبر الزمان، فانها تفترض استمرار المعركة المزعومة بين أهل البيت وخصومهم، وانتقالها الى الأجيال اللاحقة الى يــوم القيامة، باعتبار كل من لا يؤمن بأهل البيت أو يواليهم معاديا لهم ومخالفا ومارقا ومقصرا.

ان الولاء لأئمة أهل البيت في زمانهم يمكن أن يكـون مفهوما ومعقولا وذا معنى، باعتبار وجود أشخاصـهم ، والالتفـاف حـولهم واتبـــاعهم ومشـــايعتهم في مقابل خصـــومهم السياســـيين من الأمويين والعباسيين، ولكن الولاء لهم يفتقد أي معـنى حيـوي في الزمن التالي، حيث يستحيل الالتفاف حولهم سياسيا، أو تنصيبهم في منصب الخلافة والامامة، ولا يمكن الا التعبــير عن الحب لهم، وهــذا أمر لا يختلف عليه المســلمون من جميع الطوائــف. الا اذا حولنا معنى الولاء الى "مفهوم اعتقـادي" ورفعنا أئمة أهل الـبيت الى درجة تشبه النبـوة أو الالوهيـة، وهو ما يقـول به الغلاة الغلاة

من الشيعة. وهذا ما لا يقبله أي مسلم أو شيعي ينهل من ثقافة أهل البيت.

وتكمن خطورة ذلك الموقف المتطرف من الآخرين، في قيامه على أساس قاعدة دينية موهومة، باعتبار أن الزيارات واردة عن أئمة أهل البيت . ولا يشك أي شيعي عادة بصحة هذه الروايات أو الزيارات، ولا يسأل عن سندها، بل يعتمد على وجودها ضمن كتاب "مفاتيح الجنان" وكتب الادعية الأخرى. وكيف يعرف عامة الناس أو يقدرون على التميز بين الروايات والزيارات اذا كان الشيخ عباس القمي نفسه، بغض النظر عن المناقشة في سندها، لمجرد روايتها في كتب الأقدمين، ويعتبر ذلك ضمانة للصحة.

وذلك رغم كل الضعف والقطع والإرسال والإهمال الموجود في سند تلك الزيارات، فضلا عن مخالفة بعضها للقرآن الكريم وللسنة النبوية ولأحاديث أهل البيت الصحيحة، التي تضعهم في موضع طبيعي، مما يؤكد وضع تلك الزيارات واختلاقها ونسبتها الى أئمة أهل البيت كذبا وزورا.

ومن هنا لا بد من تصفية تراث أهل البيت من هذه الأدعية والزيارات الموضوعة والمختلقة والمتطرفة. ولا بد من النظر الى أسنادها بصورة محايدة، بدلا من تقليد العلماء السابقين مهما كان فضلهم، فان الأقدمين رووا كثيرا من الروايات ثم جاء من بعدهم من محصها فوجد أكثرها ضعيفا أو بلا سند صحيح. ولا يجوز الاحتجاج بالتزام العلماء السابقين بها، فان كثيرا منهم أخباريون وحشويون، يجمعون في كتبهم الغث والسمين، ولا يفرقون بين الصحيح والضعيف.

واذا أخذنا بنظر الاعتبار ان الفرقة الاثني عشرية التي ولدت في القرن الرابع الهجري، هي واحدة من عشرات الفرق الشيعية التي كانت كل فرقة منها تضع من الأحاديث على لسان أهل البيت، ما يعجبها وما يؤيد نظريتها، فسوف نعلم عدم حجية أية رواية يرويها "مشايخ الطائفة" المتهمين بالوضع والتزوير. ولذلك لا بد من النظر الى "مشايخ الطائفة" الذين يروون تلك الأدعية والزيارات، نظرية علمية محايدة غير متأثرة بأجواء التعظيم وهالات التقديس التي يحيطهم بها أتباعهم المقلدون لهم عبر التاريخ.

الفصل الثالث: السياسة

- **الخلاف في النظرية السياسية الدستورية**
- **تضاؤل الأهمية العملية لهذا الخلاف اليوم**

في البدء كانت الأمة الاسلامية الواحدة، ولم تكن الطوائـف. وكانت الشورى كدستور للمسـلمين، ولم تكن النظريـات الوراثية المختلفة. وعنـدما انهـار نظـام الشـورى في الفتنة الكـبرى الـتي عصفت بالمسلمين، وقام على أنقاضه النظام الـوراثي الأمـوي ، كان من الطبيعي أن يولد رد فعل عند بـني هاشم الـذين اعتـبروا أنفسهم أولى من الأمويين بوراثة الرسول الأعظم (ص)، فولـدت النظرية الشيعية حول أحقية أهل البيت بتوارث السـلطة. وما أن سـيطر العباسـيون على الحكم حـتى اختلفـوا مع أبنـاء عمهم العلويين الذين قـالوا بـأحقيتهم من العباسـيين بتـوارث السـلطة، مما دفعهم للثـورة عليهم عـدة مـرات طـوال القـرنين الثـاني والثـالث، الى أن نجح فريق منهم من أبنـاء اسـماعيل بن جعفر الصادق، بإقامة حكم لهم في شمال افريقيا، وكادوا يقضون على العباسـيين في عقر دارهم بغـداد في القـرن الخـامس الهجـري. وهو ما أجج صراعا سياسيا بين الأطراف الهاشـمية اسـتمر عـدة قـرون، وشـهد أيضا ولادة أحـزاب وتيـارات وقـوى مختلفة كالبويهيين والغزنويين والسلاجقة والأيوبيين والحمدانيين وغـيرهم من الذين دخلوا ساحة الصراع بين الفـاطميين والعباسـيين. وفي حين كانت التيـارات الشـيعية الهاشـمية أو العلوية أو الحسـنية أو الحسينية تتصارع فيما بينها ، كـان الفكر السياسي السـني يعيش بعيدا عن السياسة، أي "غـير سياسـي" بمعـنى انه يقبل بكل من يتـولى السـلطة ويسـيطر عليها سـواء كـان عباسـيا أو فاطميا أو بويهيا أو سـلجوقيا. وهـذا يثبت أن الصـراع الحقيقي لم يكن بين الطوائف (السنة والشيعة) بقدر ما كان بين الأطـراف السياسـية الـتي كـانت تسـتغل المـذاهب الفكرية والفقهية أحيانا لتحشـيد القـوى الاجتماعية وراءهـا. فـإذا لا حظنا مثلا تجربة الخليفة العباسي القـادر بالله (381ـ 422) الـذي يعتـبر مؤسس "الحالة السياسـية السـنية" فانا نجد انه كـان يخـوض معركة وجـود مع الفاطميين الذين هددوا عاصمة خلافته بغداد سنة 401، في حين انه كـان يتـآلف مع البويهـيين الزيدية والشـيعة الامامية الاثـني عشرية.

ورغم تبني "أهل السنة" عبر التاريخ للفكر الواقعي بالاعتراف بأية حكومة قوية تسيطر على الأمور، الا ان بعض أوائل السنة (أهل الحديث) كان يتبنى نظرية النص على أبي بكر، وهو ما عرف بالبكرية، ثم قال بعض المتكلمين المتأخرين المتأثرين بالمعتزلة، بشرعية نظام الشورى، وان النبي (ص) لم ينص على أحد، وانما ترك الأمر للمسلمين. وهذه كانت في الواقع نظرية عموم المسلمين من السنة والشيعة الأوائل، ولكن أهل السنة بدأوا يطرحون هذه النظرية ويتمسكون بها خصوصا في مقابل الشيعة الإمامية الذين قالوا بنظرية النص على الامام علي وحق ذريته بتوارث الى يوم القيامة.

كان هذا على مستوى النظرية، وأما على مستوى الواقع، فقد كان أهل السنة لا يعبأون كثيرا بالشورى، وانما كانوا يتمسكون أكثر شيء بشرط القرشية في الامام، واذا نظرنا الى هذا الشرط فسوف نجده لا يتناقض مع الفكر الامامي الذي يقول بحق أهل البيت في الخلافة، مما جعله يتعايش مع الفكر الامامي، كما في العهد الفاطمي في مصر. ولذلك عندما حاول الخليفة العباسي القادر بالله محاربة الفاطميين وتجريدهم من شرعيتهم، لم يجد أفضل من استخدام سلاح "القرشية"، وذلك بالتشكيك بنسب الفاطميين، فقال انهم من أصول أخرى غير علوية، وعمل مضبطة خاصة شهد عليها كبار الشيعة والعلويين في بغداد.

ومع ان الفاطميين كانوا يشكلون قطبا منافسا للعباسيين، الا انهم لم يستمروا طويلا ، حيث انهارت دولتهم في أواسط القرن السادس. وكان الجناح العلوي الآخر، وهو الإمامي الاثني عشري، قد فَقَدَ حيويته ومصداقيته، من قبل ، بوفاة الامام الحادي عشر الحسن العسكري سنة 260 دون ولد ظاهر يستلم زمام القيادة، ومع قول الشيعة الاثني عشرية بوجود ولد له في السر، الا انهم تحولوا الى مذهب غير سياسي لا يستطيع منافسة العباسيين، الذين سارعوا الى احتضان هذا المذهب، الى حد تبنيه علنا في أيام الناصر لدين الله في أواخر القرن السادس .

ومع سقوط الدولة العباسية على يد المغول في أواسط القرن السابع، سقط العمود الفقري السياسي أو قطب الرحى لأهل السنة، ولم يُجدِ كثيرا تبني الحكام المماليك في مصر لبقايا العباسيين وجعلهم "خلفاء" صوريين.

وفي غياب الأقطاب السياسية السنية والشيعية، اشتدت في القرن السابع والثامن، الصراعات السياسية بين المذاهب السنية نفسها، حين كان أتباع أو شيوخ كل مذهب يحاولون الهيمنة على

أي حـاكم، وينصـرونه لينصـرهم، الى ان نجح الأحنـاف في إقنـاع الأتراك بتبني مذهبهم لأنهم لا يشترطون "القرشـية" في الامـام، وهو ما مهد لقيـــام الخلافة العثمانية التركية الـــتي هيمنت على مصر والشام والحجاز في القرن العاشر.

ومع قيـام الخلافة "السـنية" الجديـدة في تركيـا، ولـدت دولة "شـيعية" في ايـران هي الدولة الصـفوية، الـتي أعلنت المـذهب الاثـني عشـري غطـاء لهـا، بعد أن قـامت بالالتفـاف على عقـدة الإمام المعصوم وحرمة تشكيل أية حكومة في عصر الغيبة.

وبينما كانت الخلافات السياسية بين الشيعة والسنة في طريقها الى الـزوال، أدى قيـام هـاتين الـدولتين وصـراعهما الطويل على العـراق، الى تـأجيج الخلافـات القديمة والميتـة. كـانت الـدولتان الصـفوية والعثمانية دولتـان مسـتبدتان أبعد ما تكونـان عن روح الشورى أو أخلاق أهل البيت، ولكنهما كانتا ترفعـان بيـارق الـولاء للتشيع والتسنن.

لقد كان واضحا أنه لم يبق في ظل الـدولتين الـديكتاتوريتين ، من التشــيع والتســنن، أي معــنى للخلاف السياسي القــديم بين أنصــار المــذهبين، وأن صــراعهما لم يكن ينطلق من اي منطلق مـذهبي، وانما كـان يحـاول كل منهما اسـتغلال الـتراث المـذهبي لصـــالحه في معركته على مواقع النفـــوذ. ولم يمنع كل ذلك من نشوب الصراعات الدموية في البيوتات الحاكمة نفسـها في تركيا وايران.

ان قـراءة خاطفة لتـاريخ المسـلمين السياسـي، تؤكد هيمنة الفكر الديكتاتوري على جميع المـذاهب الاسـلامية، وعـدم وجـود رحابة ديموقراطية كافية تســـــمح بالتعددية وقبـــــول الآخر أو الاعـتراف بـه، وخاصة في ظل انتشـار واشـتهار الحـديث الـذي يقول" ستفترق أمتي على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والبقية في النـار" ، واعتقـاد كل فرقة من فـرق المسـلمين بأنها تلك الفرقة الناجية المقصـــودة من حـــديث الرســـول، وان بقية الفــرق كلها في النــار، مما كــان يســمح لها باحتكــار الســلطة والحقــــوق المدنية ومصـــــادرتها من المنــــافقين والمرتـــــدين والمشركين والضالين والمبتدعين. وعـدم تفسـير الحـديث ، على فــرض صــحته، بــأن المقصــود هو ما أجمع عليه المســلمون من التوحيد والإيمـان بـالنبوة والمعـاد في الآخـرة، بحيث يسـمح لهم بتقبل الآخر والتعايش معه بمحبة وسلام.

وعلى أي حال فان انقراض العباسيين والعثمـانيين والفـاطميين والعلويين، وقيام الأنظمة الجديـدة الملكية والديموقراطيـة، وضع المسلمين من كل المذاهب أمام مرحلة جديدة من الوحـدة على

أساس إسلامي أو اقليمي أو قطري أو قـومي، وبنـاء مجتمعـاتهم السياسـية الموحـدة على أسـاس التعـايش والمسـاواة والعدالة بغض النظر عن هويـاتهم الطائفيـة. وقد مضت فـترة من الـزمن خيل للكثيرين بـأن التقسـيمات الطائفية قد ولت الى غـير راجعة وان الأمة الاسـلامية مقبلة على مرحلة من الوحـدة والانـدماج، ولكن لجوء عدد من الأنظمة السياسية الديكتاتورية الى اسـتغلال الخلافـات الطائفية لتكـريس هيمنتها على السـلطة في بلـدانها، ساعد على إحيـاء الـروح الطائفية من جديـد، ودفع الطوائف الى اللجوء الى قياداتها الدينية والالتفاف حولها.

وربما كان نظام صدام حسين ، البعثي العلماني، قد لعب دورا كبـيرا في تـأجيج الطائفية الحديثـة، وذلك من منطلقين، الأول: المحافظة على نظامه الـديكتاتوري العسـكري، من رفض غالبية الشـعب العـراقي الشـيعية، بالاحتمـاء بالقبائل السـنية العربيـة، وتصوير ثورة الشيعة على أنها تهديد لسـيطرتها على العـراق. أما المنطلق الثـاني، فهو تحشـيد الـرأي العـام العـربي ضد الثـورة الاسـلامية في ايـران، وخصوصا أثنـاء الحـرب الـتي شـنها ضد طهران، واستمرت ثمانية أعوام، من 1980 وحتى 1988

ومن المعلـوم أن دولا إقليمية وغربية شـاركت في الحملة الطائفية ضد الشـيعة، في الثمانينـات، في محاولة منها لتحجيم الثـورة الإيرانية ومنعها من الامتـداد الى دول الخليج. وفي هـذه الحملة تم اسـتعادة كل الـتراث الطـائفي التـاريخي الموجه ضد الشيعة "الروافض" وتضـخيم نقـاط الخلاف، وتكفـير الشـيعة من أجل تبرير الحرب العدوانية على إيران.

وترجمت هذه الحملة موقفا سلبيا خليجيا وعربيا من انتفاضة الشيعة في العراق في آذار سنة 1991 رغم العداء المستجد بين دول الخليج وأمريكا وصدام، بعد غزوه للكـويت. وظهر الانقسـام الطـائفي جليا في داخل العـراق أيضـا، حيث انتفضت أربعة عشر محافظة ما عدا بغـداد والمحافظـات الغربية الشـمالية (الموصل والرمادي وصلاح الدين)، ذات الغالبية "السنية".

ولكي يعـزز صـدام نفـوذه بين الطائفة السـنية، قـام خلال التسعينات بإطلاق ما عرف بالحملة الإيمانية، التي اشـتملت على دعم المدارس والمعاهد والكليات والمساجد السـنية، في الـوقت الـذي كـان يضـيق أشد التضـييق على الشـيعة ويقتل علمـاءهم ويطارد شبابهم وينتقم من مدنهم.

وانعكس الشحن الطائفي موقفا سلبيا من غالبية العرب السنة في المنطقة، تجـاه حركة المقاومة اللبنانية ضد اسـرائيل، والـتي كان يقودها "حزب الله" الشيعي المدعوم من إيـران، فبالاضـافة

الى أنه لم يشـــارك أحد من الســـنة من خـــارج لبنـــان في تلك المقاومــة، كــان بعض "الســلفيين" يشــكك في حقيقة المقاومة ويستهين بجهادها وتحقيقها لأول انتصار عربي على اسرائيل.

ورغم أن السنة في الكويت والسعودية سارعوا الى استدعاء أمريكا لمقاومة غـــزو صـــدام عـــام 1990 للكـــويت، وإصـــدار خمسـمائة رجل دين سـعودي بزعامة المفـتي الشـيخ عبد العزيز بن بــاز، لفتــوى تجــوّز الاســتعانة بالكفــار في مواجهة "الكــافر الملحد" صدام حسين. ورغم أن الشيعة في العراق ، الذين عانوا من بطش صدام وإرهابه وحروبه طوال ثلاثة عقـود، لم يسـتعينوا بأمريكا، وقاوموها في بلادهم، وأصدروا بيانـات التنديد بـالاحتلال، فـانهم اتهمـوا من قبل بعض السـنة ، بـأنهم تعـاونوا مع الاحتلال، لأنهم لم يعلنـــوا المقاومة المســـلحة الشـــاملة ، وفضـــلوا الحل السلمي، وبناء بلـدهم قبل ان يطـالبوا القـوات الغازية بالرحيـل. وفي الحقيقة لم يكونـوا وحـدهم في انتهـاج هـذا الخيـار، بل ان كثيرا من قادة السنة عربا وأكرادا وتركمان، كـانوا يتفقـون معهم في هـذا الاسـلوب، ولكن اللـوم وقع عليهم وحـدهم، باعتبـارهم الأكثرية في العراق.

وعنــدما اختــار الشــيعة والســنة الأكــراد انتهــاج الطريق الـديموقراطي والمشـاركة في الانتخابـات الأولى لاختيـار مجلس نيابي يرسم الدستور، قاطع غالبية السنة الانتخابـات، وقـام بعض الانتحــاريين بمهاجمة صــناديق الاقــتراع، قبل ان يلتحق مجموعة من قادة السنة بأعضـاء المجلس للمشـاركة في كتابة الدسـتور، واتخاذ قرار مغاير في المشاركة في الانتخابـات التاليـة، من أجل تشكيل حكومة ديموقراطية منتخبة في العراق.

من ناحية أخــرى شــهدت الســاحة الشــيعية ولادة ونشــوء "المرجعية الدينيــة" الــتي اختلفت عن المرجعية الدينية الســنية، في أنها لم تقتصر على بيـــان الأحكـــام الشـــرعية وفق الرؤية الشــيعية، وانما اكتســبت اضــافة الى ذلك مســحة روحية وثوبا سياسيا، أما المسحة الروحية فقد اكتسبتها من فرضـية انتشـرت في عهود غابرة تقول بأن الفقهـاء المجتهـدين هم نـواب عـامون للامام الغائب المنتظر (محمد بن الحسن العسكري) وهو ما رفع من مكـــانتهم الروحية في أذهـــان العامة الى درجة كبـــيرة. وقد ازدادت هذه المسحة الروحية قوة بتطور نظرية المرجعية الدينية الى نظرية "ولاية الفقيه" وحق الفقهـاء بـالحكم نيابة عن الامـام الغـائب. وهو الأمر الــذي أدى الى ولادة نظرية سياســية شــيعية

جديـدة في مقابل السـنة الـذين لم يكونـوا يملكـون هكـذا نظرية خاصة بهم، كما كان الحال في أيام الدولة العباسية.

واذا كـانت نظرية ولاية الفقيه قد طبقت في ايـران، الـتي حـاولت وتحـاول ان تشـكل "قطب الشـيعة" في العـالم، الا ان معظم علماء الشيعة في العراق لم يؤمنـوا بهـذه النظرية ، وانما مالوا الى الفكر الديموقراطي، أو الشـورى، وهو الفكر السياسي الاسلامي القـديم الـذي كـان يجمع المسـلمين في الـزمن الأول، والفكر الــذي عُــرف "الســنة" بالتمسك به نظريا على الأقل في كل العصور.

واذا استطعنا اليوم، تجـاوز الفكر السياسي الشـيعي الخـاص، المتمثل في (ولاية الفقيـــه) والتمسك بـــالفكر الـــديموقراطي، وضمنا تقبل السنة له بقوة، فانه يمكننا التوصل الى فكر سياسي مشترك يستطيع توحيد المسلمين، ويـذيب ما بينهما من خلافـات سياســية قديمة وميتــة. وفي الحقيقة يمكننا الانتقــال بالشــيعة والسنة الى مرحلة وحدوية جديدة تصبح فيها المسـميات القديمة "سنة" و "شيعة" من مخلفات التاريخ.

ويلاحظ في هذه المرحلة ان الشيعة في العراق، الذين ينطوون على أحـزاب وتيـارات مختلفة علمانية ودينية وقومية وعشـائرية، ورغم تصـاعد النـبرة الطائفيـة، أعربـوا بصـراحة وعلى لسـان قيـــاداتهم المرجعية الدينية والسياســـية، تبـــنيهم للخيـــار الـديموقراطي، والاصـرار على مشـاركة اخـوانهم من السـنة في بناء البلاد، ولم يقدموا أية اشارة على محاولة احتكار السـلطة أو الانفراد بها. ويعتبر ذلك تحولا استراتيجيا كبيرا على طريق تذويب الكيانات الطائفية في بوتقة واحدة، والتخلي عن الفكر السياسي الخـاص "الإمـامي" أو "المـرجعي" أو "ولاية الفقيـه". وهو تطـور يقــربهم جــدا من فكر الســنة السياسي (الشــورى) ولا يبقي أي فرق بينهم وبين الآخرين الا بالاسماء الوهمية.

واذا كان الشيعة اليوم قد أصبحوا ديموقراطـيين، فـان بعض أهل الســنة، من الســلفيين والبعثــيين العلمــانيين، قد رفضــوا الديموقراطية في العراق، ليس دفاعاً عن مبـاديء أهل الحـديث أو السنة النبوية الشـريفة، وانما دفاعا عن مصـالحهم الشخصـية واستعلاء على قطاعات واسعة من الشعب.

الباب الثالث: الطريق إلى الوحدة

إذن فان الشيعة والسنة متفقون في العقيدة ومختلفون في التاريخ والسياسة، وان الأزمة الطائفية التي نشاهدها أحيانا هنا وهناك هي وليدة الديكتاتورية وثمرة من ثمارها المرة، وليست الخلافات بين الطائفتين بخلافات حيوية معاصرة، أو ذات مضمون اجتماعي راهن، وانما هي خلافات "اسمية" وهمية، تاريخية، قشرية، وليست جوهرية.

ان الطريق الى الوحدة الاسلامية يبدأ من الديموقراطية، والديموقراطية تبدأ من العقل والنفس. انها تبدأ من الزهد في الدنيا، والتواضع للآخرين، وعدم التكبر عليهم والاستئثار بأموالهم وحقوقهم ومصالحهم. وتنتهي بالالتزام بالنظام الديموقراطي الذي يحترم التعددية ويقبل بالآخر، ويعترف بحق الاختلاف للآخرين ، ويحترم مشاعرهم. ولقد أخطأ كثير من السلف حين اعتقد كل منهم أنه فقط يشكل الفرقة الناجية أو الشخص الناجي من الأمة، وذهب الى تكفير الفرق الأخرى أو تبديعها أو تضليلها، في أمور خلافية جزئية بسيطة لا تصل الى درجة الكفر بالله تعالى.

وغني عن القول هنا انه لا بد من اعتبار كل من يؤمن بالله واليوم الآخر وبنبوة الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله) هو أخ مسلم بغض النظر عن هويته الطائفية، أو الاختلاف معه حول بعض التفاصيل الجزئية، ولا بد من وضع الأمور في نصابها بعدم تضخيم السلبيات الجزئية، أو توهين المشتركات الأساسية الجامعة، انسياقا وراء حملة إعلامية مضادة أو تمهيدا لحرب سياسية أو عسكرية شيطانية.

ومن أجل تعزيز هذا الموقف لا بد من الاستعانة بالقرآن الكريم والعودة اليه، حيث يقول:"وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" الأنبياء 92 وفي آية أخرى "...فاتقون" المؤمنون 52. وفي نفس الوقت لا بد من التحرر من أسر التراث وفتاوى العلماء السابقين حتى لو كانوا رؤساء مذاهب، اذا كانت فتاواهم متطرفة وتتعارض مع روح القرآن الكريم والوحدة الاسلامية. ولكي نتحرر من ذلك التراث الثقيل الذي يفرض نفسه على العقل المعاصر، لا بد من القيام بحركة نقد قرآنية للأحاديث المنسوبة الى الرسول الأعظم، ودراسة الظروف السياسية التي ساهمت بتكوين المذاهب، والاجتهاد في أمور العقيدة والفقه والتاريخ. وبالطبع فان ذلك لن يمكن الا بنبذ التعصب الأعمى والتقليد للآخرين. والتحرر من أسر المصطلحات الموروثة (كالسنة والشيعة) لأنها غير دقيقة ولا معبرة عن الحقيقة، خاصة

عنــدما يتم إلصــاقها بالوراثة على كل مولــود يولد في العــالم الاسلامي وهو لا يفقه من تلك الأسماء شيئا.

لقد نشأت تلك الأسماء والمسميات في ظروف تاريخية معينة ، وكـانت تحمل دلالاتها الواضـحة، ثم تطـورت وانتشـرت، ودخل في كل طائفة أو مــذهب، أشــخاص جــدد، وجماعــات مختلفــة، حاولوا صبغ المذاهب السابقة بهوياتهم وأفكارهم، وطرد أصـحاب المذاهب الأصليين من العنـاوين الـتي "تنتمي" اليهم، ثم تشـعبت المـذاهب والطوائـف، عـبر التـاريخ، واحتـوى كل واحد منها على مجموعة تيارات وأحزاب ومذاهب، حـتى لقد أصـبحت كل طائفة تضم مجموعة طوائف، وربما تقاتل هـؤلاء مع اخـوانهم، وتحـالف فريق منهم مع أعداء الأمس أو اقتربوا من فكـرهم، حـتى صـعب في الواقع تعريف أي مــــذهب او التفريق بينه وبين المـــــذاهب الأخرى.

ومن هنا لا بد من الحــذر من الانخــداع بتضــليل الأســماء، وضرورة النظر الى واقع كل انســان على حـدة، وتقييمه بصـورة خاصــــة، وعــــدم الخلط أو التعميم أو النظر الى الجميع نظــــرة واحـدة. وأن من الخطأ الكبـير التقـاط صـورة فتوغرافية جامـدة وثابتة لفئة معينة في حقبة معينــــة، والاعتقــــاد باســــتمرار تلك الصورة عبر التاريخ، أو انتماء جميع الناس اليها الى يوم القيامــة، فــان المجتمعــات الانســانية ، والطوائف جــزء منهــا، متحركة ومتغيرة كأمواج البحر، وكل يـوم هي في شـأن. وهـذا يحتم علينا قراءة كل طائفة أو مذهب، كل يوم، وعدم الاعتمـاد على قـراءة السـلف لهم في القـرون الأولى. وهكـذا يصح القـول: ان أسـماء الطوائف "السـنية" و"الشـيعية" هي أقـرب الى الـوهم منها الى الحقيقة. وان التقسيم الحقيقي الذي يقسم الأمة الاسلامية اليوم هو الذي يضع غالبية الأمة في جـانب، ويضع الطغـاة والمسـتبدين (المنافقين) في جانب آخر.

لقد قسم القرآن الكريم المجتمعات الانسانية ، في أول سورة البقـرة، الى ثلاثة أقسـام هي: المؤمنـون، والمنـافقون والكفـار، وأوضح صــفات المؤمــنين المفلحين وهي الإيمــان بالله والغيب والملائكة والنبــيين واليــوم الآخر وإقامة الصــلاة والزكــاة، تلك الصفات التي نجدها لدى عامة أتباع المـذاهب الاسـلامية. وحـذر من صـفات المنـافقين ، الـتي قد نجـدها بين فئـات تنـدس بين صـفوف مختلف الطوائـف، ولم يقسم المسـلمين الى "سـنة" و "شيعة". فلماذا لا نبحث عن الخارطة الحقيقية التي يرسمها الله تعــالى، ونتحد في مواجهة المنــافقين، الــذين يعتــبر الظلم والاستبداد والاعتداء على حقوق الآخـرين وحريـاتهم ومصـالحهم،

أهم صفاتهم، وهم الذين يعاني منهم جميع المسلمين من مختلف الطوائف.

الخطوات العملية لتحقيق الوحدة الاسلامية:

واذا كان ما وصلنا اليه صحيحا، ونعتقد انه صحيح، فعلينا ان نقوم بخطوات عملية من أجل تذويب الرواسب التاريخية وهدم الجدران الطائفية الوهمية، وتوحيد القواعد الشعبية، وذلك من خلال ما يلي:

1- دمج المعاهد الدينية والحوزات العلمية، من ناحية البرامج والطلاب والأساتذة، وخلق بيئة وحدوية للحوار والمقارنة والتفكير الحر.
2- توحيد زي رجال الدين، أو نزع الصبغة الطائفية عنه، وذلك لما لأزياء رجال الدين من دور في تكريس الانقسام الطائفي في ذهن الرأي العام.
3- الانفتاح الثقافي على الآخر وتوفير الحرية الاعلامية للجميع، وعدم فرض الرقابة على اي منتج ثقافي مغاير.
4- الدراسة في الجامعات المختلطة، وتبادل الزمالات الدراسية بني المدن والدول المختلفة طائفيا
5- رفع الصبغة الطائفية عن مساجد الله، وجعلها لجميع المسلمين، وذلك بأداء الصلاة المشتركة وراء علماء من السنة والشيعة، واتخاذ قرار شعبي بالصلاة في جميع المساجد دون استثناء، ورفض الفتاوى الطائفية الضيقة التي تحرم الصلاة خلف المذاهب الأخرى.
6- تجنب السكن في المناطق المنعزلة طائفيا ، والاصرار على التعايش المشترك في المناطق العامة، والانفتاح على أبناء الطوائف الأخرى اجتماعيا، بإقامة علاقات حسن جوار وصداقة وتعارف.
7- الزواج المختلط، ونبذ الفتاوى الضيقة المتعصبة الانعزالية التي تحرم ذلك الزواج.
8- الاشتراك في النوادي الرياضية المختلطة، وعدم تشجيع النوادي ذات الصبغة الطائفية.
9- الاشتراك في الجمعيات والاتحادات الطلابية والعملية والنقابات والمنتديات الثقافية الوطنية، فوق الطائفية
10- السياحة والسفر الى البلاد المحتلفة طائفيا، والاختلاط بالناس والتعرف على الثقافات الأخرى.

11- الانتمـاء الى الأحـزاب الوطنيـة، وفي الأطر الوطنيـة، بعيدا عن الطائفية.
12- التعاون الاقتصادي، وتشكيل شركات مساهمة وطنية، ونـزع الصـبغة الطائفية عنهـا، وتجنب المقاطعة الاقتصـادية الطائفية، أو التحقيق عن الهوية الطائفية لأصحابها.

تم بحمد الله الانتهاء من تسجيل وجهة نظري حول مشروع كتاب (الســنة والشـيعة.. وحــدة الــدين والأصــل، وخلاف التــاريخ والسياسة) وذلك بتاريخ 18 تموز 2005 في لندن

أحمد الكاتب

محتويات كتاب
السنة والشيعة
وحدة الدين وخلاف التاريخ والسياسة

علم الرجال الشيعي
المبحث الثالث : الإجماع
المبحث الرابع: الدليل العقلي

الفصل الثالث: الفقه
المبحث الأول:القضايا الخلافية الفقهية
الـزواج المـؤقت ، أدلة الشـيعة على تحليله ، أدلة السـنة على تحريمه، نوعية التحريم ، الإباحة عند الضرورة

الباب الثاني: خلاف التاريخ والسياسة
الفصل الأول: التاريخ
المبحث الأول: **الموقف من الصحابة:**
1 – **النظرية الاسلامية الأولى**
ميزان العمل الصالح / عدم التكفير

2- النظرية السنية حول الصحابة
الاطلاق والتعميم في الفضل
نظرية عدالة الصحابة

تكفير من يسب الصحابة

تقييم النظرية السنية حول الصحابة

3- موقف الشيعة من الصحابة

أ- الموقف الإيجابي الأول

ب- الموقف الثاني، بعد القول بنظرية الإمامة

محاولة إعادة كتابة التاريخ
أسطورة الهجوم على بيت فاطمة الزهراء

الروايات السنية
الروايات الشيعية:
1- رواية إبراهيم الثقفي
2- رواية سليم بن قيس الهلالي

ج - واقع الشيعة اليوم..

الفصل الثاني:**دور الأدعية والزيارات في إضفاء المسحة الدينية على التاريخ**

(مفاتيح الجنان نموذجاً)

أدعية موضوعة تحتوي على أباطيل
"حديث الكساء" /دعاء يوم الغدير/زيارات الأئمة/الاستغاثة بالأئمة
زيارة عرفة/زيارة عاشوراء/ الزيارة الجامعة

الفصل الثالث: السياسة

- **الخلاف في النظرية السياسية الدستورية**
- **تضاؤل الأهمية العملية لهذا الخلاف اليوم**

الباب الثالث: الطريق إلى الوحدة
الخطوات العملية لتحقيق الوحدة الاسلامية

المصادر

1- اللالكائي، شرح اصول اعتقاد أهل السنة،

2- الأشعري، الإبانة عن اصول الديانة،

3- الخلال، السنة ،

4- عبد الله بن أحمد بن حنبل، السنة، تحقيق الدكتور محمد بن سعيد القحطاني
5- الندوة العلمية الدولية حول الشيعة والتشيع عبر التاريخ وفي الوقت الحاضر
6- البربهاري، شرح السنة،

7- المجلسي، بحار الأنوار

8- الأشعري القمي، المقالات والفرق،
9- رجال الكشي :
10- الكليني، أُصول الكافي
11- الصدوق، الاعتقادات في دين الامامية
12- الصدوق ، الأمالي،
13- الصدوق ، من لا يحضره الفقيه
14- المفيد، الفصول المختارة
15- المفيد، الارشاد،

16- المفيد، تصحيح الاعتقاد ،

17- المفيد: اوائل المقالات، وشرح اعتقادات الصدوق

http://www.rafed.net/research/05/03.html

18- المفيـــــــــــــــــــــــــد ، الأمـــــــــــــــــــــــالي، http://www.rafed.net/research/05/03.html

19- الوحيد الخراساني، مقتطفات ولائية،

الشيرازي ، محمد: من فقه الزهراء

-
http://www.al-kawthar.com/maktaba/moallef1.htm#imam

20- الخميني، مصباح الهداية الى الخلافة والولاية

21- الخميني، الحكومة الاسلامية

22- الخميني، الأربعون حديثا، طبعة مؤسسة دار الكتاب الاسلامي تعريب محمد الغروي

23- المطهري، الامامة،

http://www.al-kawthar.com/maktaba/moallef2.htm#motahari

24- المدرسي، الامام المهدي قدوة الصديقين،

25- العاملي، مرتضى، دراسة في علامات الظهور، ط 1 بـيروت دار البلاغة 1992م

26- المجلسي، محمـد بـاقر ،مـرآة العقـول ط 2 طهـران دار الكتب الإسلامية 1363هـ

27- الكـاظمي، مصـطفى آل السـيد حيـدر،بشـارة الإسـلام في علامـات ظهـور صـاحب الزمـان، بـيروت دار الكتب إلاسـلامي 1991م

28- القزويـني، علاء الـدين، مسـائل عقائديـة، موقـع : الامـام علي.نت

29- الخوئي، التفسير

30- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن

31- الشيرازي، مكارم، تفسير نمونه

32- نهج البلاغة

33- الطوسي ، التهذيب

34- الطبرسي، الاحتجاج ،

34- الشنقيطي، محمد بن المختار ، الخلافات السياسية بين الصحابة

35- الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى،

36- موقع الاسلام اون لاين

37- الحميـــــــــدي، الإبانة لما للصـــــــــحابة من المنزلة

والمكانة.**مقدمة الشيخ عبد الله السعد،**

38- تاريخ الطبري ، الجزء الرابع، السنة الخامسة والثلاثين،

http://www.alwaraq.com/index2.htm?i=49&page=1

39- ابن كثير،كتاب البداية والنهاية،

40- ابن الأثير، الكامل في التاريخ

41- الدينوري، ابن قتيبة، الامامة والسياسة

42- الامام علي بن الحسين، الصحيفة السجادية

43- محب الدين الخطيب، الخطوط العريضة، ويليها مؤتمر النجف http://www.fnoor.com/books.htm

44- النوبختي، فرق الشيعة،

45- الجندي، الامام جعفر الصادق،

46- الماوردي: الأحكام السلطانية،

47- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ،

48- البلاذري، أنساب الأشراف ،

49- ابن عبد ربه، العقد الفريد،

50- الشهرستاني، الملل والنحل

51- الشاهرودي، السيد محمد الحسيني، في محاضرة له عن (مظلومية الزهراء) نشرها مركز الأبحاث العقائدية، التابع لمكتب السيد السيستاني.

http://www.shahroudi.net/arabic/7monasenat/zahraa.htm#إنّ%20في%20الدار%20فاطمة

52- الطبري محمد بن جرير، دلائل الامامة ،

53- ابن قولويه،**كامل الزيارات،**

54- العياشى ، التفسير،

55- القهبائي، مجمع الرجال،

56- الوردي، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث،

57- مكتب الاستفتاءات لسماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله. 26 جماد الأول 1425

صدر للمؤلف:

1- **تطور الفكر السياسي الشيعي .. من الشورى الى ولاية الفقيه**
2- **الفكر السياسي الوهابي.. قراءة تحليلية**
3- **المرجعية الدينية الشيعية وآفاق التطور .. الامام الشيرازي نموذجا**
4- **تطور الفكر السياسي السني.. نحو خلافة ديموقراطية**
5- **التشيع السياسي والتشيع الديني**
6- **هذا الكتاب: السنة والشيعة.. وحدة الدين ، خلاف السياسة والتاريخ**